

دكتورة نغمات احمد فؤاد

# الحيثيات كتابية الشيخ

دار الشروق

أعبدوا كتاباً السائح

الطبعة الاولى

يونيو ١٩٧٤

دارالشروق

القاهرة : ١٦ جواد حسنى ت ٥١٢١٤ برتيا : شروق القاهرة  
بيروت : ص. ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٣٨٢٨ برتيا : داشروق بيروت  
جدة : ص. ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برتيا : شوركورب جدة

دكتورة نعامت أحمد فؤاد

# أعيد كتابة التاريخ

دار الشروق 

## من مؤلفات الكاتبة

---

\* شخصية مصر

\* النيل في الأدب المصرى

\* قمم أدبية

\* أدب المازنى

\* فى بلادى الجميلة

\* خصائص الشعر الحديث

## مقدمة

فى هذا الكتاب مواجهة فاحصة للمفاهيم الخاطئة فى تفكيرنا ، للأوضاع الدائمة فى حياتنا بالتحليل والاستقصاء والغوص عن الاسباب الجذرية ... فطالما كتبت عن شخصية مصر وكنت فى انسحاق الهزيمة ، اتعمد أن أجلو إيجابيات هذه الشخصية وعطائها فى ماضيها الطويل لاعطى الامل للنفس المصرية ، وأنفض بعضا من أحمال وأوحال اليأس التى رزحت تحتها حتى كادت تختنق كمدا وهوانا ....

أما وقد انجابت الظلمات وتنفس المصبح فلا ضير بل لأبد من كشف السلبيات لا شهوة فى النقد أو السادية أو تحطيم أشخاص فان هدف المصرى العابد أكبر من هذا وأكرم وأرفع ... ملاك الامر عندي ألا تتكرر المأساة اذا لم نستقد من الاخطاء ، ونتب عن الخطايا ... وهنا تكون المواجهة ضرورة وفرضا ...

ان أى حاكم لا يقع الجرم عليه وحده ، ولا بالقدر الأكبر لانه لولا من يتبل الجور ما كان من يجور . ولهذا ينصرف أغلب ما فى هذا الكتاب من النقد ، الى الشعب لان الحاكم عادة فى البدايه يكون متهيبا يتلمس مواطن رضاه فلما وجده يتهافت عليه ويفرق فى محبه ثم تأليه ، استخف به ...

ان هذا الكتاب صيحة في وجه هواة الملق ودق الطبول ، الذى بدأ بالفعل نفاقهم الرخيص لا فى الظهور بل فى النـمـو والاستفحال ... الكتاب صيحة فى وجه من نظموا الكواكب عقود مدح بالامس ، ويعاودون الكرة اليوم بلا خجل ... حتى لا يؤذوا حاكمها لديه الاستعداد للاتصال والصالح .

هذا الكتاب يتغيا مصر وحدها ... مصر البسيطة السمجة المؤمنة المعطاء دون نظر الى الالوان والمذاهب والايديولوجيات المختلفة فما احبت مصر يوما التمثذهب او التطرف الى اليسار او اليمين وكل من حاول صبغها بلون صارخ او صاخب نفرت واستعصت عليه .. وسخرت منه فى النهاية حين يجد نفسه بعد الجهد والعناء يقف وحده وهى فى مكانها لا تريم .

لقد حاولت الدولة الفاطمية ان تمكن لنفسها فيها مائتى سنة ثم دالت الدولة الفاطمية فقلبت مصر الصفحة وكان لم يك بها شيء اسمه الشيعة والشيعةيون ...

وجاء دور الدولة الايوبية لتحاول فلم يكن نصيبها من تتبع مصر اوفى حظا من غريمتها ...

لقد آمنت مصر بالاسلام فى صورته الاولى المصفاة التى توافق طبيعتها هى .

وآمنت بالمسيحية ، قبله ، بطريقتها هى فصارت المسيحية فيها دون غيرها من البلاد ، قبطية .

هذا هو موقف مصر من الاديان فكيف الحال مع من لا يرتقى الى هذا الافق الاعلى ؟ مهما اختلفت اسماء .

مصر هى مصر وكفى .

وأنا في هذا الكتاب في كل كلمة .. في كل نبضة مصرية وكفى ..  
لها .. وعنها .. ومنها ينبع رأيي وسخطي ورضاي ... فلا  
أعرف غيرها ولا أدين بعد الله وكتبه ورسله إلا بها ... أرى  
الأشياء والأفعال والمعاني من خلال رؤيتها هي على مسار تاريخها  
الذي درستته ، ودينها الذي اعتنقته ، وأدبها الذي عشته وفكرها  
الذي سافرت فيه بالعقل والروح .

من هنا كتبت فصلا ضافيا عن الدين .

ومن هنا كتبت فصلا عن الفن .

لأن مصر لها في الدين والفن مفهوم خاص وافق أرحب ..

ومن هنا ناقشت الأفكار الثابتة أو المفاهيم الثابتة التي نتوارثها  
بدون نقاش أو اقتناع أو اقتناع . وغير هذا أسلوب مصر في الأخذ  
والعطاء ...

ومن هنا وقفت عند الدعوة إلى الدولة العصرية لأرشد الضوء  
على خطاها في الطريق الذي تختار بعد روية وتفكير .

فالكتاب في فصوله كلها يدور ، شمعة ، حولها .. يستوحىها  
الفكرة ، ويستهديها المعنى ، ويفسح لها الطريق لتسير .

بنور من الله

ونخر من العلم

وهدى من الدين

فما رشدت مسيرتها يوما إلا بكشف من هؤلاء .. وعطاء .



ومن هنا نريد :  
الدين لله  
والوطن للجميع  
والعمل لذى الخبرة فيه  
والأمر بيننا شورى  
ليصلح آخرنا بها صلح به أولنا .. وهيئات أن يصلح الله  
ما بنا حتى نصلح ما بأنفسنا .. وكيفما نكن يول علينا ..  
هذا الكتاب مرحلة أخرى من الرؤية لشخصية مصر ..  
في محاولة موصولة للوفاء  
بها  
ولها  
فאלلهم اشهد ... ٩

دكتورة نعامت احمد فؤاد

## أعيدوا كتابة التاريخ

مهما كتب الكاتيون أو تحدث المتكلمون عن ( العبور ) فلان الآن، تسمع وتقدر وتعى لان العمل صنيع شعب ومولد أمة من جديد... ورد اعتبار لا عن هزيمة عسكرية فحسب ولكن عن جيل كامل كان يعيش ولا يحيا .

( العبور ) بارادته ، وإدارته ، وأعجازه كان رد اعتبار عن حنقه من الفسولة والقهالة والعجز الاضطرارى فلم تمارس ملكات الشعب المصرى وطاقاته قدراتها الحقيقية حين اسقط من الحساب وعجز عن الحساب فلم يكن له رأى ولم تتح له فرصة وان كان فى أول الامر - أحس بغير قليل من الزهو القسوى حين توهم بعد سقوط الملكية ومحاولة الاستعمار ، انه صاحب الامر من خلال مصرية الحاكم القحة، فاذا به توسم الخير ، من طيبة قلبه فلما وقعت الواقعة ، أعطى الوعى للرجال حق التخطيط بما علموا ، فأعطى بدورة كل قادر وعالم عطاءه كاملا .

وهنا وجد الشعب نفسه ، ووجدته الدنيا حوله ، على حقيقته عندما أتحت له الفرصة ، واشترك فى الرأى واضطلع بالعمل... .

وهو درس من دروس ( العبور ) يجب أن نعيه ونتخذ منطلقا لالوان أخرى من العبور فى نواحي حياتنا كلها .

وهنا نقول : أعيدوا كتابة التاريخ .

توقفوا عند انجازات الطوب والاحجار واسألوا انفسكم عما وراءها ان كان وراءها شيء له قيمة باقية ... فليس الحاكم مقاولا لتقيسه بما تم على يديه من مبان وصروح مما قام في الحقيقة على اكتاف « الانفار » و « الفعلة » الذين رماهم بؤسهم أو خوفهم ففرضت عليهم لقمة العيش المرير أن يأتروا بأمره ليسبح في عرقهم ولو غرقوا صرعى .

ان العصر التاريخي أو عصر الحاكم يجب أن يقاس بقيمة الانسان فيه ... هل قال الفرد كلمته أو عبر عن رأيه ؟ هل فيه حرية وأحرار ومفكرون ؟

ولناخذ تجربة قريبة من تاريخنا الحديث ... في العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر وفي الخمسين الأولى من القرن العشرين كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطاني الذي قلنا فيه الكفاية من أوصاف السوء ، وبحق . فلندع التشنجات اللفظية ونمض في تحليل الظاهرة ...

فقدت مصر حريتها السياسية وهي ليست بالقليلة أو الهينة . ولكنها أيضا ليست انكى أنواع الفقد اذا أخذنا في الاعتبار أن الفقد هنا عارض محكوم عليه بالزوال وقد حدث بالفعل بل لعل الفقد هنا لو جاز أن له وجهاً آخر ، يوقظ جوهر الشعب ويحفز عزائمه الى التفاعل والعمل في محاولة الخلاص منه ...

في عهد الاحتلال البريطاني وفي أوجه أى في أعقاب فرض الحماية على مصر إراد الجنرال مكسويل بصفته حاكما عسكريا عاما ، أن يفرض الحراسة على أموال المصريين الموالين للخديوى عباس ممن نفوا خارج البلاد فاعترض عليه رئيس الوزراء المصري وقتئذ حسين رشدي باشا مستندا الى القانون العام الذي ينص على أن الحراسة لا تفرض الا على الأعداء وفي زمن الحرب .

وحين عاود الجنرال اللنبى المحاولة عام ١٩٢٢ بالنسبة لسعد زغلول وصحبه اعترض عليه هذه المرة رئيس الوزراء الانجليزى نفسه لويد جورج !!

ولكننا عام ١٩٦١ بعد نصف قرن تقدمت فيه الدنيا ، فرضت مراكز القوى على مصريين الحراسة بشكل هيجى للارهاب المادى والمعنوى . وجرى من المآسى والمخازى ما سجلته ( لجنة الاقتراحات البرلمانية ) التى تشكلت عام ١٩٧٢ .

هذا عن حرية العيش . اما حرية الراى ففى عهد الاحتلال البريطانى نادى لطفى السيد **بالمصرية** ، ونادى طه حسين بحرية الفكر والتحلل من الغيبات والهالات الصناعية نحيط بها كل قديم لمجرد القدم حتى ولو كان صادرا عن غير أصحابه الظاهرين ... ناقش طه حسين الشعر الجاهلى فى عقلانية وانفتاح كما ناقش مستقبل النقسافة فى مصر ... ولا اريد أن اقول ان كل كلبة قالها صواب محض فليس هذا هو المهم ولكن **الهام والأهم هو مبدأ حرية الراى والتفكير والقول والكتابة والنشر ...**

عبد العزيز فهمى وجد من نفسه وعصره ، الشجاعة ، على الجهر باسبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ... ومرة أخرى اقول انى لا ارى التصويب أو التهجين فى هذا الراى ولكنى ارى أولا حرية صاحبه فى اعتناقه والدعوة اليه .

على عبد الرازق تكلم وألف عن اصول الحكم .

أمين الخولى تكلم عن مصرية الادب والتفسير النفسى للقرآن والبلاغة الحقيقية .

العقاد والماسزنى انهالا على أدب التشريفات والمدائح التسولية  
وامتهان كرامة الانسان والفنان بالتبعية والتتاهؤ والنفاق .

انهالا على النظرية العتيقة المقدسة « بيت القصيد » .

الدكتور منصور فهمى ، مصيبا أو مجانبيا للصواب تكلم عن  
حرية المرأة فى الاسلام .

الدكتور أحمد أمين، تكلم عن أدب المعدة وأدب الرأس  
والعقل ... وتكلم عن العامة وأمثالها ومضامينها وجذورنا  
ودلالاتها .

تكلم عن الحياة العقلية للعرب فى فجر الاسلام وضحى الاسلام  
وظهر الاسلام بما يشكل موسوعة جامعة .

محمود عزمى والتابعى استلنا السهولة والخفة والسرعة فى  
الكتابة ، والزيات دافع عن البلاغة ..

ارتاد الحكيم والماسزنى وهىكل وأضرابهم طريق القصة  
والرواية والمسرحية .

ترجم محمد بدران وزكى نجيب محمود قصة الحضارة .

نزل أحمد فؤاد « صاعقة » على ألوان الفساد الموجودة فى  
أيامه وكأنها مسامر النديم ...

ألف إبراهيم عبده ( الطور فى متحف الخزف ) .

صدرت فى حقل الثقافة ، مجلات البيان والرسالة والثقافة  
والهلال والمقتطف ولواء الاسلام .

لم تترك الرسالة بلدا عربيا الا حخلته بل لقد كانت المحلة  
الوحيدة التى يقرعونها ويكتبون فيها حتى لقد كان السوريون

يسمون يوم الثلاثاء الذى كانت الرسالة تصل اليهم فيه ، يوم  
الرسالة ، ولا يقول قائلهم يوم الثلاثاء ....

كما كان الاديب من كتاب الرسالة عندما يزور بلدا عربيا ،  
لا يميزونه باسمه بل بهذه الصفة فكان كتاب الرسالة في هذه  
الظاهرة كاهل بدر .

كانت الكتابة في الرسالة شهادة للكاتب ترفع من اسمه وتعالى  
بين الكتاب مكانه .

كانت الرسالة مدرسة ربت جيلا وربطت شعوبا ووصلت  
بلادا ووثقت علائق ونهجت سبلا . كانت ريادة ومشعلا وسفارة  
لمصر لم تعمل عملها السفارات .

ومن الغريب أو العجيب أن الرسالة والثقافة اللتين ولدتا  
وعملتتا بانفتاح ومقدرة في ظروف عاصفة جثم فيها الاستعمار على  
حياتنا ، احتجبتا في عهد الاستقلال ! : الرسالة في فبراير  
عام ١٩٥٣ ، وقبلها « الثقافة » في يناير عام ١٩٥٣ !!

وقامت بعدهما مجلات عدة تتعلق باسمهما تشبها ، أو لعله  
تبركا ولكن واحدة لم تفن غناءهما أو تعمل عملهما أو تقف وقفتها .

لقد كانت الرسالة تخوض المعارك معارك الراى والوطنية .  
وبعض هذا: مقال الزيات المدوى ( فلاحون وأمراء ) على أثر اهانة  
الأمير عمرو إبراهيم لأحد الاعضاء المصريين بنادى محمد على  
ومقاله ( الامتيازات والدين ) ...

وحين فزع السادة امراء ذلك العصر ذهب جمعهم الى محمد  
محمود باشا رئيس الحكومة وقتئذ فنظر اليهم في شموخه المعروف  
وقال لهم : أنا معه بل ذهب الى القصر مهتاجا ..

وارتطم صاحب الرسالة بالقصر بعد هذا في مقاله ( ليس بعد الدين وازع ) على اثر زواج فتحية من رياض غالى ... وفزع القصر لولا ان توسط في الأمر محمد حسن يوسف وكيل الديوان وتتئذ ..

وهكذا كانت الرسالة مجلة أدب وثقافة ومبدأ وهدف وأسلوب وغاية ...

والى جانب الرسالة والثقافة كان مجلة ( الهلال ) تعنى بالتاريخ ، و ( المقتطف ) يحتفل بالعلم و « الكتاب » يحتفى بالأدب ، و « الكاتب المصرى » تعنى بالترجمة ، كانت هذه المجلات تهتم بالفكر وكأنها الصورة الجديدة لمجلة « البيان » التى صدرت سنة ١٩١١ .

ماذا بقى لنا ؟

أو ماذا عندنا ؟

عدمت الريادة يوم عدمت الحرية الداخلية وكانت موجودة بل سبائة محتقة والحرية الخارجية مكبلة ترهتها انجلترا ، وتجرحها الامتيازات الاجنبية . اليس هذا عجيبا ومذهلا ؟

ومن الغريب اننا حين اطلقت الحريات لم يوجد الكتاب الاحرار لان الكتاب لم يترسوا في ثيابهم بالحرية فلما فتح بابها عليهم لم يفتح عليهم القلم بشيء !!

ماذا حدث ؟

تشارك كل شيء في مصر اى صار اشتراكيا !! لا عن عقيدة اذن لساغ الامر ولكن عن مدهنة . فاستاذ الاقتصاد كتب عن الاشتراكية .

وأستاذ التاريخ السياسى كتب عن الاشتراكية .  
وأستاذ التاريخ الطبيعى أيضا كتب عن الاشتراكية .  
والادب كتب عن الاشتراكية .

حتى علماء الدين كتبوا عن الاشتراكية !

الكل التقط مانشيتات الصحف وراح يرددها فى ببغاوية مضحكة  
الضحك الذى يوصف بأنه كالبكاء .

تعدى السلطة أمريكا فتنسحب العداوة فى درجات السلم  
الهرمى على كل ما هو أمريكى حتى الفكر والثقافة مع أن الدين  
يقول بأخذ الحكمة ولو من أهل النفاق، ويطلب العلم ولو فى الصين .

وقبل هذا عادت الملكية ، الشيوعية ، فاذا بكل ما هو روسى ،  
منفر يثير الذعر حتى القصص على عالميته ...

رسمت قومية عربية ، فسار الكل وراءها يرددون  
كأنها حلقة ذكر غير انها لم يذكر فيها اسم الله أو اسم  
الوطن ...

مسخت حياتنا مسخا مشوها فلا هى الى الشرق ولا هى الى  
الغرب .. فصبت من الماضى وعزلت عن الحاضر .

#### **غامت الرؤيا وانبهم الهدف**

ان رواد الخمسين الاولى واعلامها ، لو تأملنا مسيرتهم ، نجد  
أن فترة الخصب العقلى والابتكار عندهم فى اعمالهم ، كانت  
العشرين أو الثلاثين سنة التالية لفترة التحصيل أى التى تقع بين  
الثلاثين والستين .

فماذا صنع شباب الخمسينات من هذا القرن ؟ داروا فى الساقية  
أو انخرطوا فى الطاحون .



#### ضاع المبريق \*

لا رأى يهز ، ولا فكر يجدد ، ولا ابتكار يرتاد ، ولا جدية تنال ، ولا اسم يتألق .

سادت الموصولية والانتهازية والبيغافوية والحرباوية ...  
وبالطبع الأمية .

وكانت النتيجة أن ضاق كل شيء بكل شيء كما يقول نجيب محفوظ حتى الضيق ضاق بالضيق ...

وهنا لم يملك الأدب إلا الرمز ليعبر عن تمرده أو يبريء ذمته ولو بأضعف الإيمان .

فماذا وراء الرموز ؟

فتح الأدب بنكا للقلق ... يقول توفيق الحكيم « في وعي »  
ما من أحد الآن في حالة طبيعية لأن القلق منتشر بل سائد  
بشكل وبائي عند كل الناس حتى الذي يملك مائة فدان يعيش في  
حالة قلق !

لماذا ؟

في بنك القلق أكثر من جواب :

« ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » .

« كل انسان في حاجة الى أن يتكلم وأن يصيح وأن يوافق  
وأن يعارض » .

« كل ما يخشاه — الانسان — هو أن يرغب على قبول شكل  
في الحياة يسجنه » .

« أصبح الواحد منا يتخبط اليوم في بحر واحد من قلق شامل  
لا يطلق » .

« — الانسان المصرى المعاصر — يعيش فى مجتمع هثى ليس  
داخله ايمان حقيقى بشىء أكثر من اقتناص المغام ! » .  
مجتمع برجوازى داخل قهاط اشتراكى .

والشباب . . . « الشباب أغرقوا أنفسهم فى كل بلاد العالم  
فى خبط الجاز والروك أندروول والخنافس وما شابه ذلك من ألوان  
الضجيج والحركة العنيفة والأصوات المزعجة ! . . ليواجهوا خبط  
الكبار فى ضجيج الحرب والقمع والمؤامرات والمخابرات ! صخب  
عام فى حانة كبرى ، ضمت الكبار والصغار . . . وان اختلفت  
ادوات الزياط وألوان الخمر ! »

بنك القلق اذن « مكان للتنفيس . . . رئة يخرج منها الزفير  
الفاسد ! خير من أن يكتم . . . . هذه هى جوهر فكرة هذا  
البنك » .

وهدف بنك القلق ( ترك الناس تتكلم . . . أقصد اتاحة الفرصة  
للزبون يفضى بكل ما فى صدره . . يكشف عن بواطن نفسه . . . .  
عن أسباب قلقه . . . ) وقد تكلم توفيق الحكيم نفسه فى ( شمس  
الفهار ) و ( السلطان الحائر ) ولو أن دور سلطان العلماء الشيخ  
عز الدين عبد السلام فى التاريخ أكبر وأرسخ من دوره على  
المسرح .

والفنان وسط هذا الزحام ( هو الوحيد فى القرية الذى أدار  
ظهره لحركتها الدائبة ، وانفلت من المحاريث السائرة والفوارج  
الدائرة والسواقى الناعرة وذهب الى شط الثرعة يقطع سيقان  
البوص ويصنع منها مزامير . . . )

ولكن المزامير وحدها لا تكفى . . . وقد أحس الفنان نفسه  
بهذا لأن الامة المطحونة لا يطب لها الغناء وحده . . . بل انها

في حاجة الى من يعيش مشاكلها وينفض همومها بالتعبير عنها  
وطرح علاج لها وتنفيذه ... ولهذا دخل الادب في مرحلة جديدة  
لم تخطئها حتى عين العدو فيها يقوم به من دراسات على الادب  
العربي بعد عام ١٩٦٧ مما فصله كتاب الهلال « الادب الصهيوني  
المعاصر » .

في الستينات بدأت القصة المصرية تتحول عن الواقعية الى الرمزية  
وسفرت هذه الظاهرة بشكل خاص عند الروائي الاديب  
نجيب محفوظ الذي يمر الآن بمرحلة جديدة من مراحل الفنية .

نجيب الآن مباشر يركز على الحوار المتشعب بالأفكار الفسوفية  
التي تتواكب في توال كطرقات المطرقة النشيطة في أسلوب مذهب  
الفاظه شوكية في قصته ( ثرثرة فوق النيل ) .

هل يعد الضياع عذاب ؟ ( فيا أي شيء افعل شيئاً فقد  
طحننا اللاشيء ) .

في قصة نجيب محفوظ ظاهرة هروب المثقفين الذين يعون  
حركات التاريخ لا الى العوامة وحدها ولكن الى شريط التاريخ  
القابع في رؤسهم . وهي ظاهرة ملهوسة اليوم في ادبنا القصصي  
والمسرحي — فيفرون محفوظهم أو يستعرضون الشريط كلما  
تشابهت المواقف أو الظلمات وكأن الأمر ( توارد خواطر ) .

مجمود الروتين وبلادته وتحجره في غباء ، وعبثه في لا مبالاة ،  
يورث الدوار . وفي ( غيبوبة الدوار تختفي جميع الأشياء الثمينة ...  
من بين هذه الأشياء الطب والعلم والقانون والكلمات المشتعلة  
بالحماس ) وفجأة يتذكر الانسان جرائم المهالك الذين كانوا  
يطلقون الحى ويثيرون الغبار ويفرحون بالأبهة والتعذيب ) .

ولكن البغاة راخوا ... انداحوا ... وبقيت مصر .. مصر  
البسطاء الذين يقومون بالأعمال التي تبدو بسيطة وهي في الواقع

ملاك الأمر وسره . فهي كالعوامة والرجل البسيط كعم عبده هو كل شيء . . انه العوامة ، لانه الحبال والفناطيس واذا سها عما يجب ، لحظة ، غرقت وجرفها التيار .

ما هي الاسباب التي حولت طائفة من المصريين الى رهبان ؟ والسؤال هنا استقطب الزمن ليوصل الى مصر المسيحية حين اليأس من عدالة الارض والليث بكنف السماء ثم الصحراء

في القصة عملية تشريح للأخلاق والسمات والأقنعة الخارجية التي سقطت الواحد تلو الآخر في قاع النيل .

ففي القصة سخرية من المظاهر والاطارات والشعارات والتقاليد .

**سخرية من سقوط الفلسفة .**

**سخرية من التمثيليات الهادفة .**

سخرية من موقفنا من الأحداث وكأننا ( أحمد نصر ) أو عم عبده الذي يطل على المعمة من أعلى البرافان على سبيل الفرجة أو التسلية .

**سخرية من النفاق .**

سخرية من لويس السادس عشر الذي لا يدري شيئا عما يدور في الخارج .

**سخرية من الغزاة الذين يتحلون بقسوة حادة كالدرع .**

سخرية من الهاربين من لاشيء الى لا شيء والمقتولين بالسم البطيء والقاتلين على السواء .

**سخرية من المخبرين الذين يراقبون المفيقين لا المساطيل .**

- سخرية من المتعالمين ( ذرية علماء النحو ) .
- سخرية من ( أخذ الأصوات في ديمقراطية دامية )
- سخرية من الخوف من كل شيء حتى يفدو صاحبه لا يخاف شيئاً .
- ، سخرية من العوامة التي تشيع فيها النكتة كحركة تغطية نفسية  
ثم تنعدم حين تصبح الحياة فيها نكتة سمجة ، أشنع تهمة فيها  
هي الرجعية . فكل قلم يكتب عن الاشتراكية ( على حسين  
تحطم أكثرية الكاتبين بالافتناء والاثراء وليالى الأنس في المعمورة ) .
- ضاق كل شيء بكل شيء حتى الضيق ضاق سر الأخر بالضييق .
- وفي زحام ( الثثرة ) تبرق هذه العبارات :
- ( ان السفينة تسير دون حاجة الى رأينا أو معاونتنا وإن التفكير  
بعد ذلك لن يجدى شيئاً ، وربما جر وراءه النكد وضغط الدم )
- ـ ( نحن نعيش فوق الماء فنهتز لوقع أى قدم ) .
- ـ ( ليس الانجليز وحدهم الذين يقتلون بالسم البطيء ) .
- ـ ( راحوا يتساعلون عن كيف يبدأون ، وكيف ينظمون أنفسهم ،  
وكيف يحققون الاشتراكية على أسس شعبية ديمقراطية  
لا زيف فيها ولا قهر )
- ـ ( تدارسوا ) العراقيين المتحدية ، والأخطار التي قد تحقق بهم  
كمصادرة الأرزاق والاعتقال والقتل ) .
- ـ ( الخيام الذي كان مدرسة أمسى فندقاً للملذات ) .
- ـ ( أيها الحكيم القديم « ايوب - ور » أقدم بعصرك الذي اضمحل  
فيه كل شيء الا الشعر وأسبغنا الفناء . حدثني ماذا قلت  
لفرعون . أقبل الحكيم « ايوب - ور » وهو ينشد ) :

ان ندماءك قد كذبوا عليك  
هذه سنوات حرب وبلاء  
قلت أسمعنى مزيدا أيها الحكيم ! فأنشد :  
ما هذا الذى حدث فى مصر  
ان النيل لا يزال يأتى بفيضانه  
ان من كان لا يملك أضحى الآن من الأثرياء  
يا ليتنى رُمعت صوتى فى ذلك الوقت  
قلت ما ذا. قلت أيضا أيها الحكيم ( ايبو — ور ) فقال :  
لديك الحكمة والبصيرة والعدالة  
ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد  
انظر كيف تتهن أوامرك  
وهل لك أن تأمر حتى يأتىك من يحدثك بالحقيقة .

نجيب محفوظ الآن يلتزم قضية شعبه يحس بضغط همومه  
ويعبر عنه فى قصة « ميرamar » عالج انتفاض البسطاء المطحونين  
— من خلال زهرة — الذين يعيشون مع الغالبية فى أيام (منحوتة  
من العسر والصخر) . «الأيام التى تسبق مباشرة يوم القيامة» . . .  
كشف الادعاء فان كثيرين من محترفى السياسة والاهمية  
والمشغولية كسرحان البحيرى ( لا يعرف الفارق بين الوفد والنادى  
الاهلى ) . . . كسرحان لا يهتم فى فى أعماقه بالسياسة رغم نشاطه  
الموفور فيها أو كشعبان بنك القلق ( اشتراكى مائة فى المائة ؛  
وان كان بينى وبينك لا يعرف ما هى الاشتراكية ) .  
نفاق ومتع كما يقول نجيب محفوظ أو ( اشتراسمى ) كما  
يقول الحكيم فى « بنك القلق » . . .

والأجيال عند نجيب محفوظ في « ميرamar » متواكبة فهي يكمل بعضها بعضا ولولا الجيل السابق لما تحقق للجيل اللاحق وجود ...

وهو مذعور من فكرة مصادرة الثروات لأنه يؤمن بأن من يقتل مرة قد يعتاد القتل ...

ان الجنة عنده ( هي المكان الذي يتمتع فيه الانسسان بالأمن والكرامة أما النار فهي ما ليس كذلك ) .  
وحيث تنعيم في عينه الأشياء يتساءل :

« البحر يترامى تحت سطح أمّلس باسم الزرقعة فأين العاصفة الهوجاء ؟ والشمس تهوى الى المغيّب مرسلّة شعاعا ماسيا يلتحم بأهداب سحائب رقيقة فأين جبال الغيوم ؟ والهواء يلعب سعف النخيل في غابة السلسلة بمداعبات شفافة رقيقة فأين الرياح الهوج المزلزلة ؟ » .

ان التوازن كما يقول ( لا يرجع الى الأشياء الا بزلزال شامل )  
( اننا نتدهور معا بأكثر مما تصورت لكننا سنخرج من التجربة كالمعدن النقي ....

وأعطى نجيب محفوظ هذه الفترة ( اللص والكلاب ) ، ( والسلمان والخريف ) ، ( أولاد حارتنا ) ، ( تحت المظلة ) وقصته القصيرة ( الطبول ) طبول الرحلة العقيمة والمستفيضة وأخيرا ( الكرنك ) .

وفي السبعينات أخذ احسان عبد القدوس ينتمى الى مدرسة نجيب محفوظ الرمزية ... مدرسة ثرثرة على النيل ، و ( ميرamar ) و ( روبابيكيا ) ... بدأ يخدم الرمز شفافا وكثيفا في قصة « رصاصه واحدة في جيبي » ومسرحية ( لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص ) .

مصر عند نجيب محفوظ في قصة روبابيكيا مطمح الجميع ومطمع ولكنها في النهاية تسحقهم وتحيلهم الى حطام ملقى في عربة روبابيكيا ، وتتخطر هي على النيل جميلة مشرقة متأقنة شبابها أخضر دائيا وعودها ريان . رأسها شامخ وجمالها فتان .. محاسنها تغرى وتسبى ولكن الويل لمن تحدثه نفسه بالاقتراب منها .

ومصر عند احسان ( ١٩٧٢ ) . هي فاطمة الطيبة الجبيلة في الثوب الأخضر ... وميمى السمرء الحلوة ( أجمل واحدة في الدنيا ) التي لا يكفيها جمالها ولكنها تبحث عن جمال عقلها وجمال ارادتها ... انها تريد أن تتبدى كما خلقها الله بصباححتها كلها ... بحلاوتها كلها ... بنفاستها كلها ... تعطى الحياة ما تريد ... وتأخذ منها ما تختار لا يطرف عينها شيء ولا يعلو وجهها نقاب أبيض أو أحمر ...

تريد أن تسير في طريقها هي التي تعرفها لا تلتفت الى يمين أو يسار لاتها قبل' اليمين وقبل اليسار ، بألوف السنين ، لها مسار .. ولها أسلوب شخصية .

وتستطيع أن تعرف فاطمة من نوعية حب المؤلف لها ..... انه ليس حبا خاصا يتعلق به وحده .. انه حبا جميعا لأن فاطمة هي مصر ...

( فاطمة حبيبتى ... أنك لا تستطيع أن تتصور مدى حبي لفاطمة ، ولا كيف أحببتها . انه حب تضعف أمامه الكلمات ... بل أن فاطمة وأنا لم نكن نتصور ان ما بيننا اسمه حب ... انه احساس ولدنا فيه ... انه الحياة نفسها ... ) .

هل هذه فتاة محددة ومحدودة ؟ لا ... انها حلوة الأبد في قلب كل مصرى . انها جميع الفتيات وجميع الفتيان .. جميع



الرجال .. جميع الاطفال ... انها الحياة نفسها .. انها مصر ...  
أما الشعب المصرى فى القصة فهو ( طالب الفلسفة ) الطيب  
الهادىء الذى يعشق السلام والاحلام والخيال . فهو يحلم دائما  
( بالملخص ) ، ولهفته عليه تجعله يتعلق بكل بارقة أمل تلوح . فما  
يكاد يرى ( عباس ) شابا مثقفا هادئا مهتسما دائما حتى هلل له  
وكبر وتوسم فيه الخير كله ... وتسلسل عباس شيئا فشيئا حتى  
أصبح المشرف الزراعى المسيطر على الجمعية التعاونية ...  
المفتش .... والجمعية التعاونية هى السلف الزراعية وهى  
الكيماوى وهى المبيد وهى التراكتور أى أبواب الرزق جميعا ...  
ومع هذا أحبته القرية ... وأحبته فاطمة ( بأحلامها البريئة  
وبالخرافات التى تملأ خيالها عن صور المستقبل السعيد ) .  
ولكن فاطمة بعد أن استولى عليها عباس غدت بلهاء ... فى  
عينها مأساة . تقف كأنها على حافة بئر تكاد تقع فيها ... فاطمة  
الجميلة الحلوة الهادئة أصبحت فاطمة الحائرة وجهها مكشود  
وقلبها مهدود ، وكرامتها مثنخة بالجراح ...  
ويتساءل صاحبها الحقيقى الذى يحبها أغلى الحب وأصدقه :  
( كيف أعيد اليها شبابها ، ولعة عينيها . كيف أجعلها ترتدى  
الثوب الأخضر الجميل الذى أحبته عليها دائما .... كيف ؟ )  
ومصر فى مسرحية ( لا أستطيع أن أفكر وأنا ارتقص ) هى  
الراقصة ميمى .... انها كالطير يرقص مذبوحا من الألم ..  
وميمى مجروحة نصف مذبوحة طارت ذراعها ونزف دمها ويريدونها  
على أن ترقص ويتجاذبونها ناحية اليمين وناحية اليسار وبينهما  
من البعد والتناقض ما بين المشرق والمغرب ولكنهما يتفقان على  
امتصاصهما . وتشقى وتتمزق وتقف لتسقط من الداء والأعياء والحرارة  
واحساس الضياع والقهر . ولكنهم جميعا يرتدون من عذابها وعطائها

(جائكة مذهب) حتى «مجاهد» خرج من عندها يرتدى هذه  
الجاكت على البنطلون الملهل الذي كان يرتديه . ويسير في عظمة  
ونخامة كأنه أصبح رجلا مهما ) .

انهم جميعا وعودهم لها هباء ، وقلوبهم خواء ، وعينهم مسعورة  
لا تمتلئ من جمالها وجسدها . وهى لا تطيقهم ما تكاد تقترب منهم  
حتى تحس لهم فحيجا تنفر منه السمراء الجميلة (أجمل واحدة  
في الدنيا ) التى تقطر عسلا وشهدا ... ولكنها نعرف انهم  
يمصون عودها وتخشى أن تصير ( تفلأ ) ... انها لا تصدق  
دعواهم الكاذبة . انها لا تريد ذهب هؤلاء ولا مدفع هؤلاء ولا حتى  
قنبلتهم الذرية ... هى تريد أن تحمى نفسها بنفسها وتعطى  
نفسها بنفسها .. ( اللى أقوى منى سيدي ... نفسى اعيش  
من غير سيد ) . وحين يوقن « مجاهد » من رفضها أنفسى له .  
يحاول أن يتفق مع فؤاد ( المطلباتى ) الذى لا يصدقها النصيحة  
بل يريغ لها من النغمات ما ترقص عليه رقصة الذبيح ... فؤاد الذى  
( ينقر على طبلته ) أى ( أيدلوجية ) حتى ضيقت طبلته الجميلة  
السمراء ، التى قذفت بها على الأرض وحطمتها ، لأنها غررت بها  
وخدعتها ، وشغلتها عن البناء ، الحقيقى ، حتى داهمتها الطائرات  
والدبابات ، وراحت فى الحرب ذراعها ، وتغطى وجهها الأسير  
بالدماء ...

ويتساءل المؤلف :

( يا ترى نبتدى نضرب اللى ضرب ميمى والا ناخذ ميمى ونرجع  
الكباريه الأخضر ؟ ) .

وأقول :

أبدا لن ترجع الجميلة السمراء الى الكباريه ... ستعود الى  
الوادي الأخضر تزرع وتبنى وتصنع وتمجد العلم وتبدع الفن

**وتشكل الحجر وتطعم الخشب وتخوض المعركة أيضا ...** ستعود  
الى الوادى الأخضر ترفع للسلم صروحا ، وللبطولة رايات ...  
وفي مجال الرمزية كتب الدكتور يوسف ادريس قصصه :  
« حامل الكرسى » و « الرحلة » و « سنوبزم » ... .

وكما رمز نجيب محفوظ الى الشعب المصرى بـبواب العواممة  
الذى لا يعرف أحد بدايته أو نهايته ، والذى لا يحسب حسابيه  
المتسلطون الناعمون فى العواممة ، وفى قبضته حياتهم ... فى  
استطاعته أن يفك الحبل فيغرقهم .... ، رمز الدكتور يوسف  
ادريس الى الشعب المصرى **بحامل الكرسى** الذى يتعجب الناس  
من قوته وهو بادى الضعف ... ضعف الجسم .

وقصة الدكتور يوسف ادريس « الرحلة » مملوءة بالرموز  
الشفافة حيناً والكثيفة أحيانا أخرى ....

والدكتور يوسف ادريس فى قصته « سنوبزم » رمز الى مصر  
بالسيدة العفيفة التى تتركب الاتوبيس بين أهلها وناسها فإذا بها  
يتحرش بها أثيم ويسىء اليها ، ويحاول أن ينال من وقارها ، بل  
يحاول أن ينال من عرضها ! والناس يرون ويتعامون ، أو ،  
( يفوتون ) أو يهائون الظالم ! وعند هذا الحد انبرى أحد الركاب  
وهو **دكتور فى الفلسفة** ( رمز المثقفين ) وأخذ يهاجم هذا  
الوضع الشائن فسلقوه بالسنة حداد ولكموه لكمة تورمت منها  
عينه وذفوه خارج الاتوبيس !!

وما أكثر الذين قذفوا خارج ( الاتوبيس ) .

\*\*\*

هذا فى الأدب أما الصحافة فقد غدت صحائفها كفصل ( البلدا )  
كل ينقل من السبورة ( **السوداء** ) مها كنبه ( المعلم ) بعد أن  
كانت الصحف كساحة البرلمان ميدانا للمناقشة والمعارضة .

تناولت الصحف يوماً مرتب وزير العدل ويقرأ عبد العزيز فهمى  
عناوينها وهو فى طريقه الى الوزارة فيغير وجهته ويأمر سائقه أن  
يتجه الى قصر عابدين وهناك قدم استقالته الى الملك فؤاد قائلاً :

— كرسى العدالة يهتز من تحتى ١٠

ولكن جميع الكراسى ظلت ثابتة لم يقلقها شئ حين عزلت مراكز  
القوى القضاة بالعشرات ودفعة واحدة لانهم طرحوا رأياً فى عريضة .

ماذا يجدى سد أسوان أمام سد الخوف ؟ ان الانسان المصرى  
لم يبدع حضارته فى أى عصر الا حين تحرر من الخوف ...

لقد قامت الدنيا فى مصر وقعدت يوم قدم رئيس ديوان المحاسبة  
محمود محمد محمود استقالته لأن حقه كتقص فى مراجعة  
ميزانية الدولة .. وقامت الدنيا وقعدت يوم أجرى الملك فاروق  
تصليحات فى اليخت فخر البحار ، وناقشته الصحافة والبرلمان  
علناً لأن تجديد اليخت سيتكلف آلاف الجنيهات فماذا فعلت  
الصحافة مع مراكز القوى يوم ضاعت آلاف الملايين ؟ أصابها الخرس  
بل ان بعضها وجد فى نفسه الجرأة ، ولا ادرى كيف ، فحاول  
التغطية أو التبرير بصورة فاضحة !

هوان وصغار .

لم تعد هناك صحافة سياسية

ولم تعد هناك صحافة اجتماعية .. وغدا الكتاب :

كاتب صومعة وهؤلاء ثلة يحتاجون الى صبر الرسل ليطبقوا  
العزلة والتقصف والمجاهدة .

وكاتب حر يلوذ بالرمز .

وكاتب حرباوى ببغاوى وهؤلاء كثرة لأن مهمتهم سهلة وثمانهم

رخيص .

كانت الصحافة ، صحافة أحزاب نعم .. ولكنها كانت صحافة  
راى فى الوقت نفسه .. اما صحافة اليوم فهى صحافة مذهب  
وموجات .. او كتابة على ظهور الاعلانات .

بين يوم وليلة تصطبغ ادارات الصحف باللون الأحمر وتنغمس  
الأقلام والحروف فى هذا اللون ثم تنحسر هذه الموجة وتضيع فى  
غيابات اليم أو السجن ليأتى مد موجة أخرى بيضاء .. وتقترب  
، راكر القوى أثناء هذا من دولة ، وتناسب العداء دولة أخرى  
فتتعاقب تبعاً لهذا ، الموجتان وكأنهما الليل والنهار ...

**وتمذهب** تبعاً لهذا الفكر وعلاقات انفس ، بل بلغ الأمر أن  
الادب انتم بالميثاق !! كأنه فسرغ من  
قضاياها كلها ، وكأنه نال منه الجهد من كثرة الخلق والابتكار فتخفف  
من مهامه الكبيرة ليؤلف كاتب عن **مفتاح الميثاق** ! .. وما دامت  
مكتبتنا المصرية العربية تعتر بالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن  
الكريم ، فان كدابه الزفة ، امعاننا فى التقديس الأبيسى ، وضعوا  
معجماً لالفاظ الميثاق !! أو مفتاحاً ... ولا أحسب أن أحدا طلب  
منهم هذا .

وامتلأت الشوارع بلامتات القماش المكتوب عليها عبارات  
الميثاق لتأخذ على الناس طريقهم .. ولم يفكر أحد  
فى كتابة أو تعليق آية واحدة من القرآن الكريم حقاً .. كتاب الله .  
تحتسب بلا امبراطورية وأحس بلا انتصارات .

والتمق بنا النفاق حتى سلمنا به . فنجيب محفوظ يقول على  
لسان أحد أشخاصه ( يا أمة عريقة فى النفاق )

درس الميثاق فى جميع مراحل التعليم لا تستثنى من هذا  
الجامعة حتى كليات الطب والعلوم وكاننا نسهم به فى التكنولوجيا  
الحديثة بل درس الميثاق فى كلية أصول الدين !!

وحفظ أطفالنا في المدارس :

أنا عربى      أبى عربى ..... الخ .

فنفر المصريون الصادقون من دعوى وادعاء القومية العربية  
لا لميب فيها أو بغض لها ولكن للأسلوب الذى يمس تاريخ البلد  
وفي الوقت نفسه لم يصدقنا العرب بل رأى فيها البعض غرضاً  
خبئاً ... لم يصدقنا العرب ولم يحترمونا - لأن السذى لم  
يحترم مسره أى شرفه وعنوانه مارق أو رخيص .. وكان العرب  
يحترمونا قبل هذا ويحبوننا لذاتنا وباعتبارنا مصريين .

قابلنا عربياً كبيراً على الباخرة اسبيرا فقل في معرض هديته  
عنها فقدناه من أرض في البلاد العربية : ( كان العربى منا يحلم  
بأن يكون له مربيطة معزة في القاهرة .. وكانت الأرض عندنا  
تعرض بعشرة قسروش للمتر فلا تجد مشترياً ..  
الآن لا يفكر أحدنا في ادخال ماله القاهرة ... وقد ارتفعت الأرض  
عندنا فبلغ ثمنها مئات الأضعاف ! ) .

كم فقدنا ليثرى الآخرون ويعمروا ويركبوا ظهر الموجة التي  
عميت عن الأعماق الزاخرة من رعونتها .

كانت نساء مصر كظباء مكة صيدهن حرام . فاذا بالآلاف من  
نساء مصر يدفعهن ذل الحاجة وقسوة الحياة في وطنهن الى  
الخدمة أو الى ما هو شر من الخدمة مما ترغهن عليه ،  
وتمرغن فيه ، ملاهى بيروت .

خطب ملك الحيتيين يوماً الى فرعون مصر ، امسيرة مصرية ،  
تقرباً اليه ، وكسباً لرضاه . فلم يكتف ملك مصر بالرفض ، بل ثار  
ثورة عارمة كيف يتجرأ غير مصرى على التطلع الى الزواج من  
مصرية !

من عزة القوة ، وعز الجاه ما فعل ...

أه لو كان يدرى بمن تزوجوا المصريين رقيقاً، بغير عقد مكتوب !

وفى غمرة هذا ألفت الكتب عن عروبة مصر فكانت بمحاولتها اللاهثة اثبات دعواها ، تنفيها لا تؤكدنها بما نكشف من عملية الافتعال لأن البديهيات لا تحتاج الى اثبات . والشاعر العربى نفسه يقول :

وليس يصح فى الأذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل  
وفى هذا الصخب لم نقرأ بالطبع كتاباً واحداً عن عروبة الحجاز لأن النهار كما قلنا أو كما قال الشاعر ، لا يحتاج الى دليل .

وتجاوزت هذه الدعوى الأغراض السياسية الى الكتب المدرسية بدءاً من المرحلة الأولى الابتدائية ليحفظ الطفل المصرى مع (أنا عربى أبى عربى) ، خزعبلات أخرى عن أصل الشعب المصرى ! مع أن الكتب العربية تتحدث عن العرب العاربة والعرب المستعربة كما تتحدث عن (فتوح البلدان) .

مهما جددت الموارد والمعانى المتداخلة ، فان الحقيقة التاريخية لا تتغير ولكن يمكن درسها وتقييمها تقييماً صحيحاً . . . . . فتفتح العرب مصر ولكننا اذا تخطينا ( حقة ) الفتح بظروفه وملابساته ، وجدنا أن الفتح العربى بعد تاريخى أو سياسى ولكن الحرب الرابعة بيننا وبين العدو الحقيقى ، اسرائيل ، علمتنا أن المنطقة لها بعد ميتافيزيقى .

ان الأديان محلية .

والسياسات زمنية .

ولكن المنطقة لها منطق واحد وهو أكبر كثيراً من سائرها .

المحليات . لقد تكلم الهواة كثيرا عن القومية العربية ثم عن قومية  
المعركة ، والخلافات تنمو وتترعرع على رنين الخطب البلاغية  
أو العامية فلما جددت الحرب ، ولدت لساعتها القومية العربية  
وقومية المعركة **معا** في ساحة النضال ، مما أذهل العالم بل ادهلنا  
لحن أسرة المولود . وتأكد صدق الطائي في فتح عمورية وتبين حقا  
أن السيف أصدق أنباء من **المكتب والخطب** .

واتضح للغيورين ما وضح للمشايخين أن المنطقة **كل واحد**  
تختلف أجزاؤه اختلافا كبيرا . أو صغيرا كما تختلف الاعضاء  
والوظائف في الكائن والكيان . ولكن الروح واحدة لا حياة للجسم  
جملة وتفصيلا إلا بها ...

يكفى آصرة الدين واللغة والالم والامل ، **بعد الجوار** لنلتقى  
جميعا على **المحبة والمصلحة** في وقت واحد .

ان مصر تخسر الكثير بدون البلاد العربية

والبلاد العربية تكسب الكثير بوقفه مصر معها : **الكلمة ،**  
**والمكانة والوزن السياسي والحضاري وكفاءة العلم والفن وهي قيم**  
أكبر كثيرا من أموال الدنيا .

ان الذي يحب مصر **بوعى** ، يحب جيرانها ، لأمن مصر ان لم  
يكن لذاتهم ... ولكن ( ذاتهم ) تستحق الحب والاحترام والشكر  
بما **أدوا وما بذلوا** في نبل وذكاء معا وبلغوا الغاية في الأداء والوفاء .

\*\*\*

وفي هذه الغمرة حاول **المنافقون اسقاط الماضي** ، امسأنا  
منهم في **تعظيم الحاضر** ! . وفاتهم ان طبيعة الاشياء تنفى وجودها  
من العدم . وفاتهم أكثر أن انسانا بلا جذور ، **لقيط** معنويا وتاريخيا  
وحضاريا . ولكنهم أرادوا **أمة التاريخ بلا تاريخ** حتى يقترب ميلادها



بظهورهم على مسرح الأحداث وان كانت الرواية ملهه هزلية  
يأبها الطموح ، أو مأساة دموية تقشعر منها الأبدان .

وفي مواكب الوردية الصفراء والصحراء، وخفافيش الظلام والملائين  
والمدلسين و(صراير المستنقعات) و«أشباح النهار». في هذا الموكب  
الغوغائي أحس كل ذي قيمة بالاغتراب النفسي والزمانى مهاجر  
الكثيرون الى الخارج وكانت مصر وطن من لا وطن له . ونشطت  
أمريكا فساعدت على الهجرة أو الاستنزاف العقلى والكيانى  
باغراء المسال .. وكم من طاقات وقدرات ضاعت من أيدينا .

يقول الفنان حسين بىكار :

(قد انتقلت عدوى الهجرة من العلماء الى الفنانين وهذه ظاهرة  
قد تكون صحية لو كان لدينا فائض من الكفاءات نصدرة للخارج .  
والطيور لا تهجر أوطانها الا عندما تهاجمها الثلوج فتضطر الى  
تطع آلاف الأميال بحثا عن الدفء لتبنى هناك أعشاشها ) .

**حتى المبعوثين رفضوا العودة ! .. حتى الجامعات التى**  
نضبت ولم تشهد منصاتها خلفا للرعل الاول ، رأت الهجرة هى  
الأخرى فهجرها المتميزون الى الشرق أو الغرب بل هجر استاذ  
جاد معطاء الجهد والعقل كالدكتور جمال حمدان ، الجامعة الى  
العزلة ايثارا للانتاج بلا تحطيم .

هرب الكتاب المصرى الى بيروت حيث تجارة النشر والتوزيع  
الحر .. وما بقى فى مصر اغتصب اغتصابا وزور وحرف اعتمادا  
على سلخفة الروتين فى مصر التى يقف أمام سيادتها ، الناصر  
المصرى مع الطابور الطويل ... والى أن يأتى عليه الدور فى  
طابور الورق ثم فى طابور التصدير ثم فى طابور النقد ، تكون  
بيروت أخذت حريتها وراحتها فى استغلال الكتاب المصرى ،

والربيع ، والاثراء من ورائه ، وأصحابه في مصر تكاد تذهب  
انفسهم حسرات .

واذ هرب الكتاب المصرى الى بيروت ، هرب الفكر المصرى  
الى الكويت حيث يتحرر ويحرر مجلة ( العربى ) ومجلة ( الفكر ) !  
وكانت مصر تربة الأحرار والافكار والحضارات . تهب حركات  
التحرير فتؤازرها مصر بالتأييد والتوجيه والاذكاء . ويمتحن الأحرار  
فيقتلعون الى اللباز بمصر . وفيها تحلقت حول جبال الدين الامغانى  
القدوة . واليها قصد الكواكبى . . وبها اتصلت حياة الأحرار ،  
واسباب أصحاب الدعوات .

ان مصر وهى محتلة في أواخر القرن التاسع عشر لم تكتف  
بالدعوة الى الحرية السياسية في الداخل بل امتدت بها في المنطقة  
فالتف السوريون ١٨٨٥ حول الشيخ محمد عبده ( يتلقون عنه  
دروس العلم والحكمة والخير ) ، كما يقول الدكتور أسعد أطلس . .  
وأحدث الشيخ محمد عبده في بيروت ( انقلابا عظيما ) .

بل ان بعض الدعوات السياسية في بعض بلاد الشرق يخطط  
لها في مصر . اذ قبل أن تولد باكستان كان رجالها يلمون بالقاهرة  
ليضعوا الخطط لتحرير بلادهم . وليس الى الشك من سبيل ، أن  
جزءا كبيرا من تاريخ باكستان المعاصر قد كتب في مصر . . وفي  
مصر كتبت فصول من قصة تحرير اندونيسيا . . . وكذلك تونس  
والمغرب وليبيا والجزائر وكثير من بلاد افريقيا وآسيا .

كما قامت في مصر الدعوة الى الإصلاح الدينى على يد محمد  
عبده والمراغى . ومن مصر نبتت الدعوة الى تحرير المرأة اضطلع  
بها قاسم أمين وتبعه الزهاوى في العراق .

فاذا تجاوزنا العصر الحديث ، وأوغلنا في القدم بضعة قرون ،  
نجد أن مصر بعد غارات المغول والتتار في الشرق ، وحركات الافرنج

فى الغرب ( اسبانيا ) ، كثرى الرحلة الى مصر وتجمعت للحركة الفكرية فى القاهرة .

وكما حفظت مصر من الضياع آداب اليونان وعلومهم والتي اعتمد عليها العرب فى تكوين شخصية حضارية لهم ، حفظت مصر فى هذه الهزات تراث العرب الأدبى والفنى . .

\* \* \*

وكما يرتص الطير مذبوحا من الالم ، انطلقت الاغانى فى بلاهة ، تأخذ دورا فى ( الزفة الكدابة ) . ولا مانع عندها من التمسح بالفلاح والعامل . . وما كسب الفلاح والعامل كسبا جذريا وخاصة الفلاح ، فالاصلاح الذى لا ينبع من نفوس اصحابه وبيئتهم . . . من داخلهم ، لا يؤمنون به ولا يتعمقونه لانه من خارجهم لم يغير نوعيتهم . . . والسدواء عادة ، حتى ولو حصل الشفاء كبريه او ثقيل على الاقل . . . وقد فصل هذا طبيبنا أنور المفتى فى بحثه القيم فى مجلة ( المجلة ) التى اختفت فيما اختفى من قيم فى حياتنا . . . ويزيد رجال الاقتصاد أن ما أخذه الفلاح باليمين من الاصلاح الزراعى بددته باليسار مجموعة النعاونيات الزراعية .

ولم تقتصر السينما فى هذا المضمار فتخصص بعض مؤلفيها فى تسجيل الامجاد فى افلام يعاد عرضها مرارا كأنها مقرررة على النظارة .

أما المسرح الذى نهض فى الثلاثينات والاربعينات نهضة كبيرة ونشط أيضا فى الخمسينات فانه بعد نكبة الامة العربية سنة ١٩٦٧ أخذ طابعا سياسيا حتى أنه أشرك الجماهير فى العرض باعتبارها متضامنة فى المسئولية عما يحدث . أو تأكيدا لمسئوليتها خارج المسرح بعد أن ينتهى العرض .

وانيثق عن نكبة عام ١٩٦٧ ، المسرح الغاضب أو مسرح الغضب  
الذى دعت اليه مسرحية الكاتب السورى سعد الله ونوس :  
( حفلة سهر من أجل حزيان ) .



منذ اعتنقت مصر الاسلام وهى حصنه الحصين ولكن الاسلام  
فى مصر فى هذه الحقبة استحدثت باسمه هيئات كما  
كان المماليك يكثر من بناء المساجد تكفيرا عن خطاياهم أو  
تغطية لها وما كان المسجد مبنى ولكنه معنى ونقاء ينهى عن  
الفحشاء والمنكر .

وصدرت عدة كتب دينية كتبها أساتذة مختصون فى الدين .  
ولكن التخصص المدرسى غير التحليق الثقافى فالعقاد حين كتب عن  
الاسلام كانت كتبه ( التفكير فريضة اسلامية ) ( حجج الاسلام  
واباطيل خصومه ) ، ( ما يقال عن الاسلام ) ، العبقريات خاصة  
( عبقرية محمد ) و ( عبقرية عمر ) . ناقش العقاد  
الغرب ومستشرقيه وناقش القضايا التى يظن بها  
الضعف ، فى مواجهة يحجم عنها الكاتبون ، فكان التصدى  
طريق الاقناع .. وهو طراز لم تستشرف اليه أو لم تقو عليه  
الكتب الحكومية الاسلامية فلم تعمل عملها فى أندونيسيا التى  
استشرى فيها التبشير وهى منطقة من مناطق الاسلام بتعدادها  
الكثيف .

كيف تدهور كل شىء .. ؟ أى حفرة تردى فيها كل نفيس فى حياتنا؟  
وضعت مراكز القوى نظرية اهل الثقة واهل الخبرة التى تقسم الشعب  
الى مدللين ومتهمين .. وهذه النظرية تطرد نظرية الرجل المناسب  
فى المكان المناسب . أو تحرفها فتكسر الميم وتكسر معها مبادئ  
الحق والعدل والكفاءة فاذا بأهل الثقة ، فى أحسن حالتهم ،  
حراس على المواقف التى وضعوا فيها لايعرفون مخبرها أو  
جواهرها . ولكى يغطوا جهلهم ، يدعون العلم أو الاهمية !

اهم من اشخاصهم. وما فعلوا هل المال يزيد بالجراحة  
أم العمل ؟ قصارى الحراسة أن تجهده ولكن العمل يحييه والخبره  
تنميه . . وهو ما حدث لنا فالمال العام أما نهب أو تجهد  
وتجهدت معه الافكار والرجال الخبراء ، لان الخبرة متهمه وغير  
موثوق بها وغير مرغوبة .

#### • وفي غيبة القانون وخيبة الصحافة ، كل شيء ضاع •

ليس معنى هذا أن اهل الخبرة جميعا اظهروا ابرار . . بل من  
اهل الثقة من اغنى في موقعه ما لا يغنى غناه ، أحد من  
قبل وخاصة أصحاب الثقافات ممن اجتبع لهم  
مع الحزم ، العلم وسعة الأفق ولكن ليس على الشاذ قياس .  
فالناطق السليم يتول أن البلد للجميع ، وأن الثروة البشرية الممثلة  
في الكفاءات أساس نهضة الامم . . . . وأن التقدم لا يتحقق الا  
إذا كان كل شيء محسوباً . فالانسان الصحيح في المكان الصحيح .  
وللقانون وحده أن يحاسب المخطيء وحساباً عسيراً رادعاً له  
ولغيره . . . . وفي حرية الصحافة ضهان يكشف الانحرافات . . .  
ولا أدل على هذا من ٦ أكتوبر . . هل كان يستطيع مدنى أن  
يخطط للمعركة ويديرها ؟

هل يستطيع مهندس أن يجرى عملية جراحية ؟

لكل مكان انسان لا يملؤه غيره .

وفي أثناء هذه المحن استردت القناة وازدهانا يومئذ الفرح  
والزهو . وكان هتافنا طوعياً هذه المرة . ولعلها المرة الواحدة  
والوحيدة التي برى فيها قولتنا من الخوف . أو النفاق . ولكن  
فرحتنا لم تدم طويلاً إذ تبين أن القناة بدخلها الكبير لم تصب في ريفنا  
الذى حفرها وسقاها بدمه ، وإنما صبت في جبال

اليمن الوعرة التى أخذت مع المسال ، الرجال ... بعد  
أن البنا علينا الشرق والغرب . وصورت النكتة المصرية بذكائها  
المشهود ، الجولة بمرارة تقطر دما حين أطلقت بدورها هذا الشعر  
( مصر . يمن . كوبا ) وكانت مصر منكوبة بحق . كانت منكوبة  
بالفشل والهزائم ولم ينتصر ( أسما ) الا المؤسسات والشركات  
التى أطلق عليها ( النصر ) .

لم يفكر أحد فى الانتفاع بدخل القناة فى تعمير الضفة الشرقية  
للقناة .. فى تعمير سيناء مصدر الخطر ودرع الامان فى الوقت نفسه ..  
ولو عبرت سيناء ( بفيض ) و ( فضل ) الكثافة السكانية فى  
الوادي ، وقام عليها البيت ، وفيها الولد ، لعز التفریط فيها  
لأن الدفاع عنها عندئذ دفاع عن العرض والأرض ، والرزق  
والحياة .. لو عبرت سيناء لما اجتزا العدو على اجتياحها ...  
واكتساحها مرتين فى هذه الحقبة المباركة .

لو كان عندنا مراكز دراسة نصرف عليها لعرفنا ان انجلترا عملت  
طويلا على فصل سيناء عن مصر بالايحاء وبالفعل منذ عينت عليها  
( براملى ) حاكما عسكريا مما يدل على خطر سيناء بالنسبة الى  
مصر ، وعلى أن سيناء مطمح ومطمع للآخرين . ولكننا ضيعنا سيناء فى  
الشمال بالحرب ، كما ضيعنا ( جبل عليه ) فى الجنوب بالسلم  
والصمت ... وجبل عليه — افتعلت انجلترا اقتطاع منطقة جبل  
عليه اداريا من مصر سنة ١٩٠٢ — الذى لا يذكر فى كتبنا أو  
مدارسنا أو مجالسنا أو صحفنا منطقة أكبر مساحة من سيناء وأغنى  
موارد طبيعية . وهى الآن تمثل الأعراف بيننا وبين السودان الشقيق .  
وطالما نبه العلماء والدارسون منا الى وجوب العناية القومية  
والاجتماعية بهذه المنطقة فلم يسمع لهم أحد ... والعلم ليست  
له دولة بل كان تابعا للدولة وأجيرا اذا أراد ... شأنه شأن  
القانون الذى أمر بتتبعه للدولة فلما أبى لى رجل القانون

فى مجلس الدولة بما لاقاه وهو الرجل الذى وضع الدساتير فى البلاد  
العربية شرفا وتشريفا لمصر ...

ما الذى شل السنتنا وعقولنا معا ؟

هل هو الجهاز الرهيب الذى كان دولة وحده ، أعلن جمال  
عبد الناصر سقوطها بعد الفكسة ؟

هل هو التعذيب والتفكيك ، الذى كان يمارسه هذا الجهاز .

هل هو جهاز الشعارات الرنانة والطنائاة وراءه مراكز القوى  
ياخذ علينا شعارنا واذننا وعيننا وإيمان الجد واللهو على  
السواء ؟

هل هو النشيد المصرى والأغنية المصرية التى دخلت حلقة  
الذكر ؟

هل هو كل هؤلاء ؟

اجتمع علينا من مراكز القوى القمع والتضليل والزمرد والطلبل بل  
الرقص أيضا .

كل شىء ضاع .. كل ما بداخل الانسان المصرى من كرامة  
وقيم ومبادئ وأباء ... ضاع يوم فرضت كما يقول توفيق الحكيم  
( الحراسة على مخ الانسان ) .

ولكن توفيق الحكيم ما باله لم يقل هذا من قبل ؟ ان ندمه  
اليوم نكاء خبيث أو خبث ذكى .. ما جدوى الاعتراف بالخطأ  
فى وقت ليس الشعب فيه بحاجة الى الاعتراف بعد ان سقطت  
الأقنعة ونظهرت الحقيقة ...

انه مجرد تخفيف للحساب هو قناع من نوع ارقى يليق  
بأصحاب « الأفكار » .

لقد كتب نجيب محفوظ الكثير

وتوفيق الحكيم لم يكن مسحورا أو مخدوعا أو (ناقذ الوعى )  
مع الفاقدين كما يقول بدليل مسرحيته ( السلطان الحائر ) و ( بنك  
القلق ) اللتين لم يشر اليهما عامدا فيما أحسب وهما خير من  
التعلل بالتخدير والتسخير . ولكن ( الحكيم ) يغير مسكة ( العصا )  
فيقبض عليها بحكمة من نوع آخر ، من ( النص ) لانه كما  
قال ، نعد أن حوم كثيرا ، من جيل قيدت حريته وتحرره (روابط  
متصلة بهذا النظام ) •

النظام الذى اجتمعت علينا فيه من مراكز القوى المناهج والاذاعة  
والصحافة والوسائل الاعلامية لتصبنا فى ثوالب مرسومة لنا ليفقدو  
الانسان المصرى انسانا نهمينا كاليونفورم .. انسانا مقيدا  
بالحشدية ... مسلوب الحرية ... انسان حشد والحشد دهماء  
منظمة تسوق الى الخراب اذا قادها مثل هؤلاء .

ان الفرد فى حشد كبير ينحط خلقيا واجتماعيا كما يفعل  
الامريكان عندما يجتمعون لتعذيب الزنوج فيأتون من ضروب  
الوحشية ما لا يتردى فيه انسان وحده ...

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فقال فى كتابه :  
The Undiscovered Self

هو ضياع قيمة الفرد •

الانسان الحقيقى ضاع وسط الأنظمة ، الظاهرية والسلطة  
المهيمنة . مثل هذا الانسان من السهل أن ينقلب الى النقيض  
لانه أصلا لم يحقق ذاته ولم يحقق لها استقلالاً خاصاً فسرعان  
ما يتعرض للتشقق شخصى وثقافى ... وهو ما حدث للمثقفين  
المصريين على أيدي مراكز القوى •



غباء أن تفبرك العقول والأفكار ... وغباء أن تسوى بين العقول  
وقد خلقها الله متفاوتة متباينة الحظوظ من الذكاء ...

**أن تفبرك العقول كفر بالدين** الذى كرم الانسان ودعاه الى  
التفكير واعترف بارادته يوم هداه ( النجدين ) وهما طريق الخير  
وطريق الشر ... **كفر بكل القيم** ...

لم يعمد العالم مهددا بالكوارث الطبيعية او الأوبئة ولكن  
بالتغيرات السيكولوجية كما يقول يونج ... أن أى اختلال يصيب  
التوازن فى رأس حاكم من الحكام يلقى العالم فى بحر من الدماء .

ويقول هربرت ريد فى كتابه « فلسفة الفوضوية » ( من  
الصعب ألا تفسد السلطة . هنا تحتاج الى ضوابط نفسية  
كبيرة ) وهنا فنذكر قوله تعالى ( ان الانسان ليطغى ان رآه  
استغنى ) والغنى الوان : النفوذ غنى والسلطة غنى .

اما الضوابط النفسية فتعين عليها أمة رشيدة لا عاطفية .

أمة تنتظر الأعمال لتحكم عليها قبل أن تغدق الثناء بغير حدود...  
انه خطانا .. !

لقد أبدعت مراكز القوى الانسان المصرى من الصورة فتمزق نفسيا  
وثقافيا وكاد ينسحق لولا بقية من ايمان حفظت عليه ذاته .. أن  
الطريق الى الله صلاة وصبر وعمل ذلك الفيتامين الذى لا يباع فى  
الصيدليات ولكن يهبه الله من يشاء من عباده .

ان الحركات الجماهيرية تنزلق فى وهم الأعداد الجماهيرية  
وونسط صخب الاغلبية يمكن اختطاف الأمانى بالقوة .

## كيف يصنع الديكتاتور .

الانسان الطلل هو الذى يعتمد على الحزب أو الزعيم أو الحكومة ... ومن سنا يكره الممتازون التبعية من أى لون ...

أما رجل الحشد فينتوهم أو يوههم أو يشبهه له ان القمة ممثلة في الحزب أو الحكومة تحقق له كل شيء ... حالة وهمية أو الحلم الطفلى .. انه الارتداد الى جنة الرعاية الوالدية ... وعندما يسود الوهم بأن الحكومة على كل شيء قديرة ، يكون الطريق الى الاستبداد ممهدا ، وهنا يكون الاستعباد الفردى لاحقا بالضرورة والمنطق ....

لقد كان الناس في العصور الوسطى يرون الانسان عالما صغيرا (ميكروكوزم) . microcosm وهى نظرة سلبية تربط الانسان ببيئته ، ودينه ... ولا يمكن لاحد ان يسلب انسانا ، الله ، ومن حاولوا هذا في العصر الحديث أعطوه لها آخر .

وحيث ينتعد الانسان عن الدين يحدث له اضطراب عصائى .  
وحيث تتوقف المحبة ويحل الشك توجد القوة والعنف والرعب وزوار الفجر .

ان السعادة والرضا وتوازن النفس وثناء الحياة ، معان لا يمكن أن تخبرها الدولة بل يخبرها الفرد ...

دولة مراكز القوى جهاز يجمع الفرد فان أحسنت اليه فغالبها ،  
تعمل على تعضيد أوهام الفرد لأنها لا تبني نظرياتها على فهم وتفهيم نفس  
الفرد فهي أصلا لم تقترب منه ولم تدرس احتياجاته الحقيقية ...

#### • أنها تعرف احتياجاتها هي لاستبقاء السلطة .

**والمجتمع الذى يضع فيه الفرد مجتمع متخلف**  
ولو ملك المال والنفوذ وأحدث الوسائل . ومن هنا أدان  
« برناردشو » الحضارة الغربية فى كتابه ( دليل المرأة الذكية ) ،  
وأدان « ديوى » ، أمريكا ، فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة  
Individualism old and new.

لقد حاولت أوروبا وأمريكا اللتان نقلدهما سحب السجادة من  
تحت قدمى الفرد بالآلة ، والنمطية ، والحركات الحشدية  
اجتماعية وسياسية . الانسان الغربى انسان احصائى ...  
انسان متوسطات فذاؤه من خلال متوسط الذكاء لمجموعته ومثل  
هذا يمكن أن يقال عن سائر قدراته . وهل يميز انسانا عن  
انسان الا صفة فريدة فيه ؟

حتى الأخلاق حين ضعف سلطان الدين غدت أمورا تواضعية  
ما دام الفرد لا يحس بمسئوليته أمام الله . ذلك الشعور الذى  
يرتفع على القانون . فقد يستطيع الخاطيء أن يهرب أو يتهرب  
من القانون أو يفلت من العقاب ولكن صاحب الحس الدينى ،  
السلطة الرادعة فى داخله .

والدين ليس المبادئ الأخلاقية مهما كانت رفيعة ، وليس  
العقائد مهما كانت مستقيمة .

ليس هذه أو تلك فكلاهما لا يشكل الأساس لحرية الفرد من  
اسر ( الحشدية ) التى هى المجتمع أو الكتلة ...

والدين الذى أعنيه غير العقيدة . فالعقيدة كما يقول يونج  
اعتراف بالإيمان، ولكن الدين علاقة الفرد بالله أو علاقة الفرد  
بالتحرر .

ان الولاء لعقيدة معينة ليس مسألة دينية ولكنها فى الغالب  
مسألة اجتماعية فلا مفعول له ولا قدرة على منح الفرد أساسا  
يستند اليه . . .

هذا حين يتغيا الدين المحافظة على التوازن النفسى . . ان  
النفس الشعورية فى الانسان يمكن فى أى وقت أن تعوق وظائفها  
بوساطة احداث من الداخل والخارج لا يمكن التحكم فيها . . لهذا  
يلجأ الانسان فى القرارات الخطيرة الى القوة العليا تبركا بها . . .  
المؤمن عنده ( ارتكاز ) .

ان النقد الذى يسمى نفسه مستنيرا حين يخضع الدين لنظريات  
عقلانية ، وتصوير ، محتواه ، مستحيلا ، يخطئ مثل هذا النقد  
الهدف والمرمى فلا يصيب الدين ولكن قصاره ان ينتهى الى دين  
آخر هو تاليه الدولة أو الديكتاتور .

ان الدين وظيفة طبيعية وجدت منذ البداية لا يمكن القضاء  
عليها بالنقد العقلى الذى يعرض المعتقدات الدينية على المنطق  
الذى يفضى الى السخرية منها .

**سحق الفرد أو تضييعه لا يغفرتحت أى اسم من الأسماء .**  
فالكنيسة نفسها حين ربطت الفرد بها فى الغرب لم تغلح . ولهذا  
خرجت الحروب الدموية من القارة التى تدين بالمسيحية التى تقول  
ان الله محبة .

الكنيسة فى الغرب حين ربطت الفرد بها أفقدته الشعور بالمسؤولية  
. . . وكان الأخلق بها أن تشعره بقيمته . . . بقيمة  
الانسان الذى كرمه الله وأكرمه بالعقل وقدرة التفكير التى

يمتاز بها الإنسان ، ولو أخطأ ، على (الملاك) أى الملك . فالتقدرة على الخطأ ميزة لا عيب حين تعنى هذه القدرة ، **التجريب . .** المحاولة والاجتهاد . . السعى . ولهذا يقول رسول الاسلام :  
( من أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران )

أما الذى يعيش فى القبة السماوية بعيدا مع النجوم بعيدا عن الاغراء والاغواء فان من العفة الاتجد .

ان الرعب الذى أوقعت فيه الديكتاتورية ، الانسان ، هو قمة الفظائع التى اقترفها الغرب . بحمامات الدم التى أغرقت الدول المسيحية فيها بعضها ، بعضا ، والجرائم التى ارتكبها المواطن الأوربى ضد الشعوب الضعفاء أثناء استعمارهم لها ، حلقة متصلة . . .

ومثل هذا الرعب بشكل فى بلدنا أحيانا سحابة قائمة فوق رؤوسنا . وقد حق للرعب والخوف والقهر الذى كان ، أن يحل محله رابطة من النوع الوجدانى تعود معها بيننا الصلات الانسانية التى وهت وكاد يدهرها الشك والتوجس فبتنا فى حالة تقاعس أخلاقى شامت معه الوجوه والنفوس وتاهت المعالم والصفات . . . مع أن الانسان لا يكون انسانا الا اذا كان له موقف تجاه النفس وتجاه الآخرين .

انسان ثراؤه ليس خارجيا واردا من ثقافة مكتسبة او مذهب آخرين، ولكن ثراؤه داخلى من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها بالحرية . . . انسان هو نفسه موضوع وشخصية .  
اننا اذا اعتبرنا الثقافة نمو النفس فان هذا النمو لا يتحقق الا فى جو من الحرية يتيح للنفس الانسانية الراقية أن تعطى ما لديها من الادراكات والمنجزات والطرح . فلا يهيج ولا ( يهيج )  
مقفوننا الى الخارج فارين أو يائسين لأن المحيطين بهم عندهم نزوع ( نطوى ) ضد المثقفين .

لقد اعتبر (كارليل) بثقافته، «نابليون» أنسانا متوسطا ولكن الفتره  
التي نتحدث عنها فترة نابليونية.كم من واحد فيها ( عامل نابليون )  
ومن الأسف أن كثيرين منا صدقوا كثيرين منهم فعبادة الاسم في  
الشرق رسم من رسومه كذلك التركى الذى أمضى الليل كله وهو  
يستمتع الى صاحب الريابة وفي نهاية الليل قال له :

— اسمع قول حظرتكم شوية أبو زيد الهلالى علشان حظرتنا يكون  
مبسوط .

فرد عازف الريابة :

— كل ما سمعته كان عن ( أبو زيد الهلالى ) .

فتهلل وجه التركى وقال :

— لازم أنا كنت مبسوط

\*\*\*

وبعد هذا كله طار صوابنا عندما وقع العدوان . ان العدوان  
الحقيقى وقع قبله على العقول .. على القيم . فالتحرير انثقافى  
.. تحرير الكيان المصرى البشرى هو أساس كل تحرير ...

اننا ، باللاوعى الذى نعيش فيه فى حالة اغمء قومى ، ولا  
صحوة لنا الا أن نبحث عن **المفتاح الذى أضغناه** .. اعيدوا  
تقييم وتقويم حياتنا وسلوكنا وتعليمنا ... **اعيدوا كتابة التاريخ** .

## محكمة التاريخ

هل هناك مسئول واحد عن الصدع الذي حدث في الشخصية المصرية ؟

- المدرسة المصرية آفة من آفات الشخصية المصرية .
- والمطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية .

والمرأة المصرية مسئولة بالدرجة الأولى عما نحن فيه . انها مسئولة حتى عن أخطاء الرجل المصرى لأنه كان ابنها يوماً ما فلم تشكله الا على هذه الصورة .

كيف تعلم المدرسة المصرية اليوم ، التاريخ ؟ ماذا تقول ؟ مدائح ملوكية كالأدب العربى .... هل نعرف او يعرف أولادنا شيئاً عن دور الشعب فى صنع التاريخ ؟ أعفيكم من الجواب فانى أعرفه . . لقد حدثونا وأفاضوا عن أبطال الحروب أى الذين قتلوا أكثر . . . ، والملوك الكرام الذين رعوا العلم والعلماء . . . رعاة العلم هؤلاء صادروا أيضاً الراى الحر ، ورموا أصحابه فى غيابات السجون . . بل حرقوا قرى بأكملها لتنزل على رأيهم .

لا تأمنوا القاب التاريخ فكم من مأهون فيه غير مأمون . . .

حتى الذين تحدثوا عنهم من السادة والقادة لم يستوفوا سيرتهم  
عن جهل أو عن علم ... من يدري . ان كثيرين من هؤلاء كانوا  
أضعف من ذبابة على الرغم من قوتهم الظاهرة وسطوتهم  
الكاسرة ... ولعلهم في ضعفهم وراء الكواليس ، أقرب الى  
القلب الانساني منهم على المسرح في أزياء التمثيل الملوكية أو  
العسكرية أو السياسية .

من الناس من يحارب الدجالين في حياة المجتمع ثم يشيع الدجل  
في التاريخ فيزيقون نسب الشعوب تارة ، وطورا يلبسون  
الاغتصاب ثوب الشرعية فيسمون الغزو تمدينا ، والاستخراب  
استعمارا وطمس الشخصية تطويرا ... الخ الأسماء الملقوفة  
أو المعكوفة ...

من المؤرخين مغرضون تملئ عليه أهواؤهم ولم ينبج من الغرض  
هيرودوت نفسه أبو التاريخ كما يقولون . والافهل من الصدق  
قوله انه رأى في مصر النساء تقضى حاجتها واقفة بينما الرجال  
يقضون الحاجة وهم قعود ؟ وهل من الصدق ما قاله وشايعه فيه  
بئر ، وبلوتازك عن عروس النيل التي زعموا ان المصريين يلقونها  
في النهر ليفيض ؟ بل قال به ابن كثير في تفسيره ولو انه رواها  
بسند عن مجهول كما قال به في تاريخه ابن عبد الحكم ؟  
لقد اخترت هذه الأمثلة لأنها قريبة منا .

وهناك مؤرخون يجيدون ركوب ظهر الموجه فيكتبون ما يرضى  
الحاكم وان اخنق الحقيقة فكل من تولى قبله شر كله حين يستأثر  
عهده بالخير كله !

ولأمر ما فضل أرسطو ، الشعر ، على التاريخ ... ان كذبه  
التخيلي ، هو على الأقل رؤية بعيدة ولا يقصد بها التحريف  
والتحيف .



ولأننا نلقت تاريخ مصر ولا نقرؤه ، أضعنا المفتاح .

اننا نركز كثيرا على الهرم وهو منجز حضارى رائع ولكن تحويل المستنقعات أو أحراش البردى الى جنة خضراء منجز حضارى أيضا لا يقل عن بناء الأهرام فى دلالتة على طاقة القدرة والارادة والبناء.

حقا ان الهرم الكبير ليس بناء فحسب ولكن وراءه ، الشخصية الماردة التى ارادت محققت بل قبله اعداد طويل قامت به شخصية « سنfro » الذى اعد لمجد بناء الأهرام من بنيه .. عمل موظفين من الدرجة الأولى .. والمتصود بالموظف هنا قدرة التنظيم .. عمل الفنيين الحقيقيين ... ثم اننا متعجلون نقف مبهورين أمام الهرم الأكبر وكان يجب أن نبدأ بهرمى سنfro فى دهشور ثم نندرج الى الهرم الأكبر لنعميش التجربة ، ونحس المثابرة والاصرار ومحاولة التجويد ...

ومع هذا فالأهرام ليس منجز مصر الوحيد فاللغة ، منجز حضارى ، كالمهارة ، رائع . والادارة منجز حضارى بارع . والرى منجز حضارى كبير لأن الادارة التى ضببطت النهر هى سر من أسرار مصر . والزراعة منجز حضارى بعيد الأثر فهى دعوة الى الحياة بينما الصيد ازهاق حياة . لقد زرعت مصر الوادى فنشرت فيه النبات ، وزرعت الفكر حين ثالت بـ « معات » وزرعت الحجر فشكلته فنونا .

الزراعة تثقيف للأرض فالمصريون حين حضروا الأرض للزراعة ، حضروها أيضا أى مدنوها ...

لقد علمونا مثلا أن ( مينا ) أول ملوك مصر القديمة . وأقبل ان المدرسين وحدهم هم الذين يبدعون التاريخ المصرى بمينا ... ولكن قبل مينا نشأت على هذا المكان ملحمة تاريخية من الجهاد

الحضارى ، رائعة .. ان السعى الحضارى المحسوب لمصر  
ار الذى يجب أن يحسب لها يبلغ عشرات الالوف من السنين .  
لقد وحد مصر قبل مينا ، أوزوريس وحورس ضد التفرقة  
والجذب أى سبت .

لقد تضافر الفيل والانسان المصرى على اخراج هذه الملحة ..  
نهناك دالات أنهار ولكن الأنهار ودالاتها فى غير مصر ، لم تخلق  
الحضارة بمستوى هذا الخلق .. وأهم من هذا لم تتواصل فيها  
الحضارة بغير انقطاع كما حدث فى مصر ...

لقد عاش الانسان المصرى الفى سنة فى سعى حضارى قبل  
الاسرات والتكوين السياسى حيث حضر النيل المسرح للحضارة ..  
ووعى الانسان المصرى الدرس ومضمونه قيمتان كبيرتان :

✱ الكل فى واحد ، التعاون .

✱ المهمل أى التكاثر لدرء خطر الفيضان .

هنا فى هذا المكان جمع الانسان المصرى نفسه فى وحدة حضارية  
مستمعا الى نداء النيل الذى جمع نفسه من أنهار ...  
علمونا أن الطبيعة فى مصر رتيبة ... وجنة مصر يصفها بالرتابة  
من لم يستدق حسه . فلكل بقعة من الأرض المصرية « روح » يشعر  
بهذا الحضور ، الزائف الى سقارة .....

للهرم روح ، وليت رهينة أى منف روح وكيان مميز ...  
للكنائس روح وللمساجد روح ... للقاهرة روح ، وللصعيد روح ،  
ولدن الشواطىء روح ... والفروق بين الأمكنة هو باب تمييز  
الفروق بين الأعمال المختلفة .

علمونا أن أسلافنا وثنيون ومعظم الذين تكلموا عن الديانة

المصرية القديمة شغلهم عنصر الخرافة فيها لا الجوهر . . . ولهذا،  
ظلت الديانة المصرية القديمة فيها منطقة يلفها الغموض والتحريف.  
منطقة misunderstanding

لقد عرفت مصر القيم يوم وضعت كلمة ( معات ) وحقتتها . . .  
يوم وضعت الأخلاقيات . . . وطرحها الرائع في هذا المجال لم يزد  
لا حق عليه شيئا جديدا . . .

ان الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها ( وثنية ) ويحكم  
عليها بعد خيود مورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجسود الله  
من وراء المعبود المحسوس .

ولأمر ما وصفوا « منفتاح » اله الفن المصرى في نحتيه بأنه  
يشكل أجسادا طاهرة تقبل الالهة أن تحل فيها . . .

ان تواصل الحضارة بغير انقطاع دليل بر وخير ومجتمع متقدم  
لا وثنى . . . مجتمع مستقر وقرير . ولهذا جسدت الفن المصرى  
( السكينة ) . . . انه فن النفس المطمئنة لأنها في هذا الكون تحس  
طمأنينة الدار الآمنة . . . طمأنينة الوطن الثوى وحماه .

لقد حققت مصر السكينة ثلاث مرات وبصور متعددة ورائعة :

في العصر القديم . . ثم في المسيحية . . ثم في الاسلام .

ولم يحقق بلد السكينة في انجازاته بالكيف والكم الذى حققتيه  
مصر . . . ولا يستثنى من هذا الهند والصين على عظم وضخامة  
ما حققته . . ومن هنا يجب أن يشع كل شيء مصرى ، السكينة،  
من قرار سحيق .

ان مصر بلد أول كتاب دينى كتبه الانسان .

انها بلد الايمان على الرغم من انها غيرت شكل دينها عدة مرات

ولكن جوهر الدين في قلبها واحد عبر الاختونية والمسيحية  
والاسلام رمز « توحيد » يتبدل في وحدة الله ووحدة الوجود .

ان الوجدان الدينى بالنسبة لمصر ( القيمة ) كالنيل بالنسبة  
لمصر ( الأرض ) .

ان من ينظر الى ابي الهول يحس الحضور المقدس .. اوجدان  
الدينى يمثله أبو الهول في الشرب وجامع الساطن حسن في الشرق .  
والمصرى يحتوى تراثه حسا دينيا يتف وراء نظراته الى الحياء  
والاشياء سواء في هذا اختاتون وسانت انطونيوس وابن الفارض .  
ان سانت انطونى يمثل روح المتبلا بلا حجر أو جدار ..

اوجدان اندينى يدرسه من يقرب من روح مصر ، في اديانة  
المصريه القديمة وفي المجرى الاسارى ... واسلوب المصرى في  
الحنين يعكس هذا الحس الدينى كما يعكس حبه العابد للطبيعة  
المصرية .

اندين في مصر وعى بالمهندس تم اسال به ووصل .

ان ايمان مصر المبكر بالدين ممثلا في التوحيد أو حتى في عبادة  
من العبادات كالشمس أو النيل ، طبعها على الحساسيه واستشعار  
الواجب والايمان بالخير والفضيلة والجزاء والعقاب والثواب  
والرضا والرحمة والعدل ...

انها باد ( معات ) رمز العدالة والخير والحق .

مصر في طبعها من الودادة والسماحة الرواح ما جعلها تجمع  
بين « ايزيس » و « سيت » بعد كل الذى فعله في اوزوريس !!  
ونبكي على الناكم الظالم وهى التى شقيت به ،لأنه مات! وهى  
بعاطفيتها يشجىها القراق ، وتبكيها المواقف يضعف فيها الانسان  
ولو كان اصحابها الاعداء لا الاصدقاء .

هذه مصر التي لا يعرفها أهلها حتى غدا البيت المصري في القرن التاسع عشر يطلق على الشيء الذي يطو في عينه (عصلي) نسبة الى الأتراك العثمانيين . وفي القرن العشرين ، الحلو هو ( الأفرنكة ) ثم صار ( مستورد ) أما « الوحش » فهي « بلدى » ...

أين نحن من مصر وان دعونا أنفسنا ، مصريين ؟

اننا كما قلت في حالة اغفاء قومي لو صبح هذا التعبير ولا بد . . لكى نفيق منه ، من عودة الى الماضى لا للتشدد الأجوف به ، ولكن لاستلهامه واستكمالاه والا غدونا أقزما كالأشجار التى تقتص جذورها . . ففى اليابان عندما يريدون ( قزمية ) شجرة يقصون جذورها .

اسمع من يقول من أين نبدا . . . راى ، المتحف المصرى نقطة انطلاق صحيحة لبث الوعى . . وعى من طراز جديد فى شبيه الوعى واللاوعى الموجود حاليا . وقيمة المتحف المصرى فى المدى التاريخى الطويل مما لا يعطى عطاءه أى عمل فنى واحد مهما بلغ تمامه .

فى المتحف يستطيع المصرى أن يرى تاريخ مصر كيف ينسج خيطا خيطا . . .

فى المتحف حيث تبدأ الحضارة المصرية من قاعة العصر الحجري لتنتهى الى ذروة كبيرة من ذرواتها حيث يقوم تمثال امنوفيس الثالث ، والد اخناتون ، والملكة تى زوجته وأولادهما أى عصر الامبراطورية . . . وعز الامبراطورية حيث كانت مصر ترفل فى النعمة وتشرق بالثقافة وتهنا بالسلام فى هدنة من الحروب .

ان التاريخ المصرى جزء من الوعى المصرى . .

لقد علمونا أو لفتونا بمعنى أصح أن الفلسفة من صنع يونان ..  
وأن مصر ليس لها فلسفة .

لقد تفلسفت مصر حين جعلت الفن للحياة وهذا خلاف نظرية  
الفن للفن .

الفن للفن سوءة وليس حسنة لأنه يتف عند هذه الغاية ..  
ولكن الفن للحياة معناه اثراء معنى الوجود الانسانى .. وفي  
تواصل واستمرار .

رمزت مصر بالبقرة الى السماء بل الى الطبيعة لأن البقرة  
عندها ودادة ورفق .. وداعة وحنان .. أمومة ورعاية وعطاء ..

لقد فهمت مصر ( الرضاعة ) فيها عميقا ... انها اتحاد الأم  
بالوليد ولهذا اشاع قدماء المصريين في فنهم ( الرضاعة ) فالملك  
أمنوفيتس يرضع من الالهة حتحور ، وحورس يرضع من البقرة  
التي هى رمز الطبيعة الأم .. فهو يتحد بالكون .

ان الانوثة في الحضارة المصرية صفة كونية بما هى رمز التلقى  
والاستنبات والعطاء .

هذه هى فلسفة مصر .. فلسفتها غير المكتوبة .

لقد رسمت مصر القديمة البقرة شجرة . والشجرة لها ثدى  
والانسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان ... لم يكن هذا  
مبدا من الفنان المصرى بل فلسفة كبيرة ... انه يرمز الى وحدة  
الكون في غلاف من الرحمة التى وسعت كل شىء .. فالشجرة  
رمز عالم النبات والبقرة رمز عالم الحيوان ..

انها رهانة وجدان مصر التى فطنت من آلاف السنين الى ما يسميه  
الانجليز اليوم : Unitive knowledge

وفى التصرف الاسلامى قصة تقول أن المريد طرق باب الحبيب  
فسمع السؤال : من ؟ فقال : أنا، فلم يفتح الباب فادرك المريد . .  
وراجع نفسه ثم عاد مرة أخرى وطرق الباب .  
— من ؟

— قال المريد : أنت

وهنا فقط فتح الباب .

لم يكن الخيال عند مصر شحلات سريالية بل كان خيالها عين  
داخلية بصيرة ترى ما لا يدركه البصر . . . رؤيتها بعيدة . .  
ديدية . . رؤية شفة مستشفة .

لقد احترمت مصر القديمة، الحيوان . . ولم تحترم مصر الحديثة،  
الإنسان . . لقد نجحت مصر في الكثرة فاعن كثرة الحيوان كما جاء من مجالى  
القدسية في هذا الوجود ولكن الذين لم يروا في ديانة مصر الا الوثنية  
انما نظروا اليها في عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح  
الخابى الكابى لا ترى فيه الا ( الهباب ) أو ( سباد فانوس ) .  
مصر عبدت الحيوان . نعم . لاحتساسها بروعة الخلق فيه فهو  
جزء من الله بها هو مجالى من مجالى قدرته . . .

الفرق بيننا وبينهم اننا نقرن ( القرد ) بالقرداتى . وهم كانوا  
يقرنون القرد ( بالحكمة ) ، فكان ( تحوت ) اله الحكمة .

الحيوان هو الحياة . . والله يسمى الدار الشجرة ( الحيوان )  
كما اشرت ولكن مصر الحديثة هان عليها ، وفيها ، الإنسان .

حتى الشعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت  
فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجبرى، فتشكّل الجسم

فى التفانة مستدبرة رهبة تنمو منها الرقبة والرأس فى ارتفاع ..  
هذه الهبة كالجذر والساق .

رأت مصر فى الشعبان ، على شره الظاهر ، تعبيرا عن الربة  
الفتية القوية المثلثة البأس .. ولأمر ما سميت اللغة العربية أنثى  
الشعبان ( حبة ) ... من حروف الربة .

لهذا شاع رسم الشعبان فى الفن المصرى ... ان مصر القديمة  
عندها ادراك رهيف بتيار الربة السارى من النجوم الى أعماق  
الأرض .. من كائنات الخير الى كائنات الشر ... عندها شعور  
سيال الربة الجارى .

هذه هى فلسفة مصر .

فلسفتها غم المكتوبة كما اشترت .

والرؤية المقدسة ، التى ترى ما وراء الشئ من خلاله كانت عند  
مصر القديمة والصين وحدهما ... قد يقول قائل : والهند ؟  
نأقول : لا . ان الهند فنها أدبى الطابع حتى المعبد عندها تركيبي  
كالجملة المفردة ، ولكن مصر والصين نفذتا الى أسرار الطبيعة  
والمعنى البعيد .

يقول بوذا ( فى بداية الطريق — أى طريق المعرفة — كانت  
الأزهار أزهارا ، والجبال جبالا ، والبقر بقرا .. يشير الى التلقين  
الذى يلقيه الانسان فىكون قناعا يحجب عن العقل خوافى  
الأشياء ) ...

وفى منتصف الطريق غدت الأزهار وهى ليست أزهارا ولا الجبال  
جبالا ، ولا البقر بقرا .. أى بالمعنى الحرفى لهذه المخلوقات .

وفى اللغة فرع يسمونه ( علم المعانى ) يهتم بأنواع الجمال



وتقسيماتها وأغراضها في الخبر والإنشاء مع أن اللغة ، أحيانا ،  
تقف بين الإنسان والمعنى بدلا من أن توضحه . . وكذلك المعلم . .

لحين يقول أنجيل متى ( طوبى للحرانى لأنهم يتعززون ) لا يقصد  
الحزن بمعناه الكابى الذى يسترسل فيه أصحابه استجابة خفية  
أو مقصودة لظاهر هذه العبارة ، وإنما يقصد الحزن الشفاف الذى  
يستشعره أصحابه من عمق احساسهم بعزلة الإنسان فيهم عن  
النبوع الأكبر .

هل يهم اراء المعنى العميق لهذه الكلمة أن نعرف ما إذا كانت  
خبرا أو انشاء ؟

ونستطيع القول نفسه من علم البيان ومن علم البديع أى عن  
نروع البلاغة الثلاثة . . . ولو انفتحنا في تعليمنا اللغة وبلاغتها  
على المفهوم الكبير للأدب ، لتجاوز اهتمامنا الجزئيات الى الكليات . .  
وتحررنا من الألفاظ الى القطع الأدبية والأساليب وموسيقى الروح  
فى العمل الأدبى . . أى تجاوزنا التقسيم القديم برمته لنقف وثقة واعيّة  
عند الفن ومدارسه وأساليبه . . وعند علم الجمال وعلم النفس . .  
ما هو الوجدان وما هو الخيال وما هو الذوق . . وما هى  
العواطف الانسانية التى ينبع عادة ، منها الادب كسائر الفنون . .  
إن قيمة الأدب فى قدرة الكلمة التى هى الترجمة الكاملة عما فى  
النفس . ولكن البلاغة القديمة صيرت الغلاف هو الفن حين حسبت  
الكلمة برنينها وتقطيعاتها هي الفن ، وحين حسبت اللغة فى القاموس  
معزلتها عن الحياة بنبضها .

وهكذا نحتاج الى عملية مراجعة كبيرة . . تصفية وتنقية لتراثنا  
الفكرى والاجتماعى . . . . عملية مراجعة للتاريخ .

ومراجعة الحاضر أيضا بمواضعاته واعتباراته ومتناقضاته ،  
والوان السلوك ، لكى نعيد كتابة التاريخ .

## المفاهيم الثابتة وكثافة التاريخ

### ١- الأهرام والسخنة

من الأفكار التي تدخل في مجموعة المفاهيم الثابتة بناء الهرم...  
الوطنيون المتحمسون يرون فيه صرحا للعمارة والعلم وبراعة  
الإدارة وخلود الفن... وآخرون وطنيون أيضا ولكن بطريقة  
أخرى... فهم أمعنا في النظرية الأخرى وولاء لها يرون فيه  
صرحا شاهدا على الاستعباد والسخنة، فثاعركبير مثل عزيز أباظة  
يقول عنه في قصيدته ( السد العالي ) أن الهرم بنى بأيدي مسخرة  
موثقة ! وكأن هناك منافسة بين الهرم والسد !

أما الفاتحون ممن تحكمهم عقدة المجد فهم يحسون ثقل الهرم  
على نفوسهم وقد حاول بعضهم فعلا هدمه فلم ينالوا منه غير  
ثمانية أمتار في قمته كانت كافية للدلالة على حقهم وبقي الهرم...  
وحاول بعض آخر من شدة احساسه بعجزه أمام الآثار المصرية  
أن يكسر أنف أبي الهول ليطامن من شموخه . وفي الأدب الشعبي  
يكنى بالتعبير ( يكسر أنفه ) عن الإذلال والتحقير . ولكن أبا الهول  
ظل أيضا ساخرا في كبرياء... ساخرا من كل دخيل . لم يخسر  
شيئا حين خسر الدخلاء كل شيء... .

دعنا من الحائقين والمحبين على السواء . ما هو وجه الحقيقة  
في هذا الموضوع ؟

هرمان يونكر يرى ( أن ما فيه من اتقان لا يمكن أن يحققه  
عامل مستعبد ) وفي رأيه أن الاستعباد قد يستطيع أن يبنى هرما  
ولكنه لا يستطيع أن يحقق اتقاناً أو يفجر فنا سعيداً في ، بغددة  
النقش في الهرم وفي المعابد المصرية فيه فرحة وغنائية يندر  
وجودها في فن آخر . والمفيد بتقسيم الجدار والسقف صخرة  
منحوتة بحساب نفس مثبورة غنية الأبعاد ..

من الهرم الكبير الى الخزنة الصغيرة .

من الايجاز الى الاسهاب .

أبعاد غنية من الوفرة وراءها خيال له رؤية داخلية تنفذ من  
السطح الى العمق البعيد .

كان يشرف على حفريات سقارة مدير يتول :

( عندما أسمع دقة الأرميل حزينة أعرف أن هناك خطأ في  
العمل !! وعندما أسمعه سعيداً — من سعادة العامل — أعرف  
أن العمل مضبوط .. )

جاء في « تاريخ العلم » لجورج سارتون ( أن متوسط الخطأ  
في طول جوانب الهرم لا يعدو ١ : ٤٠٠٠ وأن الخطأ في عمليات  
التربيع التي استخدمت فيه لا يعدو كسراً عشرياً يساوي دقيقتين  
واثنتي عشر ثانية ، وأن معدل الخطأ في ضبط ضلعيه الشرقي  
والغربي لا يزيد عن ٣ : ١٠٠ ، وأن الفواصل بين الأحجار  
لا تزيد عن نصف المليمتر . . . )

هل كان عمال الهرم سعداء .. ؟

ترينة أخرى غير ( الاتقان ) يضيفها الكسندر شارف وهى حرص الحليقات الكاحصة على أن تدفن على مقربة من هرم خوفو بعد موته بأربعة قرون بما رسخ في نفوس الشعب من سيرته وآثره .

أى أن الأهرامات كانت مساجد ذلك العصر ذناتها كانوا يتبركون بينها .

يقول الدكتور أحمد فخرى (١) ( ان دارس التساريخ يجب ألا ينسى أنه من الخطأ الكبير أن تحكم على ما حدث في العهد والماضية بأثرنا الحالية ، أو ما نؤمن به الآن من قيم أخلاقية أو بدىء . كان خوفو ملكا مقدسا ، ولا شك أن رعاياه كان يسعدهم أن يشتركوا في إقامة مبانيه الخالدة ، وقد شيدت في أيامه كثير من آبات العمارة والفن . فإذا كان هذا الشخص حقيقة ملكا ظالما بتسلطا عاتيا فمن غير المعقول أن يكون في استطاعته ترك البلاد في حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه ( خفرع ) على بناء الهرم الثانى ، وهو بناء يحدد بمنازل هرم أبيه في عظمتته . ولذا كان لدعائات أولئك الكتاب — المعارضين — أى نصيب من الحقيقة لاستبدال الاستمرار في حفظ الطقوس الدينية الخاصة بالملك ( خوفو ) قرونا كثيرة ، فلدينا من العصر البطلمى ، أى أكثر من ألفى سنة بعد موته ، آثار تشير الى استمرار وجود كهنة «خوفو» حتى ذلك العهد ) .

وعلى النقيض من هذا ، المؤرخ الشهير « بلىنى » الذى لم ير في الأهرامات الا ( استعراضا سخيفا ، لا فائدة منه ، لثروة الملوك ) وأنه لم يلبث أن تساءل في دهشة لا تخفى : كيف استطاعوا رفع الأحجار الى هذا الارتفاع العظيم ؟

---

(١) كتاب « الأهرامات المصرية » ص ١٥١ .

ويبدو أن « بليزى » لم يكن ، فى دهشته ، وحده فقد راع الهرم ، الكثيرين حتى لقد قدم بغض المغرمين بالاحصائيات ، كما يقول الدكتور فخرى ، كثيرا من العمليات الحسابية ليعتقدوا مقارنات بين ارتفاعه وحجمه وبين الآثار الأخرى الشهيرة . واستنادا الى تلك التقديرات يقول عالم الآثاريات أن ( مساحة الهرم الأكبر يمكن أن تتسع لمجلس البرلمان وكاتدرائية القديس بولس فى انجلترا ، ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول . وهناك حصة أخرى يتضح منها أن المساحة التى تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس فى روما ، وكذلك كاتدرائية القديس بولس وديروستمنستر فى لندن .

ولو أننا قطعنا جميع أحجار الهرم الى أحجار صغيرة ، حجم كل منها قدم مربعة واحدة ، ووضعنا هذه الأحجار كل منها الى جانب الآخر لأصبح طولها ثلثى طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء . وعندما كان نابليون فى مصر حسب أنه يوجد فى الهرم الأكبر ، وما جاوره من أهرامات ، أحجار تكفى لاقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسنكه متر واحد ، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا بين علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذى حسبته نابليون ؟ .

ويغيب فى البهر حقيقة أخرى رائعة وهى الطرق الصاعدة التى أكدت الاكتشافات الأثرية وجودها بالضرورة لبناء أى هرم . وتشيد الطرق الصاعدة عمل كبير ومجهود ضخم لا يكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه ) .

وغير الطرق الصاعدة يلحق بكل هرم معبد جنازى وهيكل وسفن وسور خارجى مما يسوننه ( المجموعة الهرمية ) .

يقول الدكتور فخرى مرة أخرى ( ان العقل ليهار اذا ما اعملنا التفكير فى كمية العمل الذى يحتاج اليها مثل هذا البناء حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة ... )

ومع هذا لم يروا هم فى هذا العمل شيئا محيرا بل شيئا يستحق الذكر !! فلم تشر نصوصهم المدونة فى الأهرام أو غيرها الى مهليه البناء ، أو وصفها !! ترى ما الذى يستحق الإشارة فى نظرهم بله الحديث ؟!

جورج سارتون يقول فى ( تاريخ العلم ) ، ( انه مع التسليم بأن المهندسين المصريين اطلوا القوة البشرية محل القوة الآلية فى تشييد هرمهم ، الا أن ذلك لا يفسر المعجزات الفنية والمعمارية التى تجمعت فى بنائه ، وانما يضيف اليها معجزات بشرية لا تقل عنها فى صعوبة تفسيرها ، ذلك انه من السهل أن نتحدث عن حشد آلاف من الرجال ، وليكونوا ثلاثين ألف رجل مثلا ، للقيام معا بعمل شاق ، ولكن كيف تم تشغيلهم ؟ وكيف تم تدريب الفنيين منهم ؟ وكيف أمكن تحقيق التعاون بينهم ؟ وسواء تأتت القوة اللازمة لعمل من الأعمال عن محرك آلى أم عن كتلة بشرية ، فان ترتيب هذا العمل وتنفيذه يتطلبان فكاء ناضجا للتنسيق بين السهل والعمال ) .

ونعود الى النقطة الأولى هل تم البناء رهبة أو رغبة ؟ سخرة أو رضاء ؟

الدكتور عبد العزيز صالح أشار الى أن البناء كان يجرى فى مواسم الفيضان والى أن البناء كان يعفى منه طوائف المتعلمين من موظفى الحكومة وكهنة المعابد وربما كبار الشخصيات من أهل المدن والقرى أيضا أى كان قاصرا على اليديويين .

كما أشار الى أن العمال كانوا مسحورين بالعقيدة الدينية

فالمملك كان رأس الديانة ووريث الأرياب ، من الناحية النظرية على أقل تقدير بل كان يعتبر ملكا في الآخرة أيضا والجهد في سبيله شناعة .

كما أشار الى أن الأعمال خصصت لهم شئون الغلال وخصصت لهم مساكن لايوانهم ولم يتركوا في العراء وقدم لهم الطعام والشراب وتضمنت النصوص قول بعض من تولوا رئاسة الاتيان والصناع ( لم أضرب انسانا وقع تحت يدي ولم أستعبد احدا في العمل ) وقول أحد أثرياء الأسرة الرابعة :

( كل صانع عمل في مقبرتي أرضيته )

وقول آخر ( أنفقت على قبري هذا من مناعي الحلال ولم يحدث إطلاقا أن اسببت متاع شخص ما )

يقول الدكتور عبد العزيز صالح : ( ليس من شك في ان مثل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك في انها لا تخلو من ابارات صدق . ولواقع انه اذا كان لكل طائفة من الحكام آفة ، وكان من آفة حديم بلاد النهرين الأتدميين حب البطش وسفك الدماء والنهم الى الجبروت ، وكان من أمر الحكام الرومان الأتدميين مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير من موارد دولهم وبيوت اموالها في سبيل بناء القصور وحيااه الاستمتاع ومذائج الشعراء فقد كان من آفة انفرعنة المصريين أنهم وجعوا جانبيا كبيرا من موارد أرضهم الى مسانح المنساج والمقابر والأهرام . . . )

\*\*\*

وقد يتساءل بعض الناس لماذا لم يهتموا بالنواحي المبرانية اننى نرى على الشعب كله بالخير ؟

وهنا أقول إن ملوك الأهرام بذلوا الكثير من أجل التعمير  
وانتضير وبعض هذا ، الزراعة ، علم ذلك العصر وصناعاته بها  
وراءها من رى وشق الترع والقنوات ، والتقويم السنوى وكل  
ما حملته عصرهم من حضاره بفنونها وعلومها ... فعلوا هذا قبل  
بناء الأهرام بل لعلهم بسبب هذا كله وبه ، بنوا الأهرام ...  
بعائد الزراعة وخيرها ، ويدافع استثمار نعيمها واستبقائه بعد  
الحياة . فما يفكر فى الخلود محروم أو مجهود ولكن نعيم الحياة فى  
مصر جعل جنة المصريين ، مصر خالدة .



بل أن أمين سامى ( ياشا ) صاحب كتاب تقويم النيل يقول فى  
جزء ( مصر والنيل ) برأى جديد مضمونه أن النيل كان يجرى فى  
ذلك العهد بالقرب من الهرم . فكانت الرمال تطمر مجراه . وكانوا  
يقاسون فى أزالتها أشد العذاب فبنوا الهرم ذا السطوح المائلة  
التي اذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية  
الانعكاس . وضمنوه فوائد أخرى منها أنه يمكن به تعيين الجهات  
ومعرفة الفصول .

ودفن خوفو به من قبيل دفن أصحاب المساجد فيها .

حين نعيد كتابة التاريخ يجب أن يعرف النفس وجوه الرأى فى  
هذا الموضوع ليحكم بنفسه لنفسه وحتى لا يقع ضحية آراء  
مغرضة ، أو حائقة ، أو خاطئة ، أو متورطة مسايرة ومجاملة

لماذا الأهرام دون سائر الآثار فى مختلف الحضارات القديمة  
تسلط عليها فكرة السخرة ؟ مع أنها بنيت فى بيئات لا تنتظر  
انحسار فيضان ، أو يوثق علاقتها بالحاكم نهر معبود يجعل مرضاته  
باعتباره سيد النيل ، بركة وضرورة معا ؟

لماذا لا يقال أن سقارة حقق فيها المصريون حبهم للنور فأبو



الهرم في هيئته وموضعه من الهضبة بكل ما فيه من قرار واستقرار وطمأنينة يمثل فكرة انظار مشرق الشمس .. والهرم نفسه مصعد الى الشمس فانها ( عندما تسقط بضئها بين فجوات السحب في السماء فانها تظهر كما لو كانت اهراما هائلة الحجم تربط بين السماء والارض . وتقرأ في أكثر من موضع في نصوص الاهرام وصفنا للملك الميت وهو يستخدم أشعة الشمس كطريق مساعد يرقى عليه الى السماء . )

هذا الكيان الرياضي الصارم الأخاذ الجليل .. انه طائر ذو أربعة أجنحة ولهذا يجب على من يزوره أن يقف قبالة الزاوية ثم يرفع بصره الى القمة ويحتضنه من الجناحين في عملية تجسيد للنفس وللوجود البشرى المصرى .

انه وعاء للزمن فيه كينونة وراء صيرورة الأيام .

انه حوار بين الانسان والمطلق .. كتلة تطمئن وسط الفضاء اللانهائى ... كتلة تملأ جزءا من الفراغ ثم عاد الانسان المصرى فلغها حين صقل سطح الهرم بالطلاء الأبيض استزادة من التور . وهذه الثنائية في الشعور عبرت عنه أساطيرنا حين جعلت البطل يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

الهرم رؤية لأجيال مجتمعة في رائعة فنية .

انه اشارة الصمود والثبات في الشخصية المصرية .

## ٢ - أسماء وراءها مواقف «فرعون»

قالوا (فرعون) وعنوا باللفظة التجبر والتكبر، وأحيانا الشر والكفر  
فيقول المثل ( تحسبه موسى تلاقية فرعون ) .

وعند المثقفين المصريين يعنى لفظ ( الفراعنة ) المجد كله والفخر  
كله . لننأتش كلمة ( فرعون ) .

كيف تكونت ؟ ما هى دلالتها ؟

يقول الدكتور عبد العزيز صالح انه لقب ( جمع بين صيغة  
بصرية قديمة ، وصيغة عبرية قديمة ، وصيغة عربية قديمة .  
صيفته المصرية القديمة برعا أو برعو «وتشبهها الصيغة الآشورية  
برؤو أو برعو» وصيفته العبرية « فرعو » بعد قلب الباء فاء  
« وتشبهها الصيغة الأغريقية فاراو » وصيفته العربية «فرعون»  
بعد اضافة نون أخيرة .

أما الصيغة المصرية فهى تعنى البيت العالى،أو البيت العظيم.  
وتلقب الملوك والرؤساء ، شىء معروف فى القديم بل لا يزال  
مألوفاً فى عصرنا الحاضر .

ما الذى يجعل هذا الثقب سىء الوقع عند بعض الناس ؟

هل هو فرعون موسى ؟

هل من طبيعة البشر أو طبيعة الأشياء أن يصدق فرعون بكل هيله وهيلمانه ، وللهولة الأولى ، داعيا ، فى نفسه منه ما فيها ...

وقد كذبت قريش بعد أن قتلعت الانسانية من عمر الزمن دهورا بعده ، الزكى السرى الصادق الأمين وهو فى الذؤابة منها شرفا ومحتدا ؟ لم يكن عندها عذر عصبية الجنس أو عقدة الثأر القديم أو مبرر الاستعلاء .

لقد كان موسى فى نظر فرعون كما جاء فى القرآن الكريم قاتل أحد رجاله وهو فى نظره ، ربيب قصره حتى ليقول له فى عتاب أو تأنيب أو كليهما : ( ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .. وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ) .

ولم ينكر موسى ( قال فعلتها إذاً وأنا من الفالسين ) .

سورة الشعراء الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩

كيف ؟

القرآن الكريم يقول : ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ففككه موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين .

قال رب انى ظلمت نفسى فأغفر لى فيغفر له انه هو الغفور الرحيم .

قال رب بما أنعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين )

سورة القصص الآيات ١٤ و ١٥ و ١٦

( قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ) القصص  
آية ٣٢

الا يخطيء من ليسوا أنبياء ؟

وعندما يخطيء فرعون موسى هل ينسحب هذا الخطأ على كل  
فرعون ؟

الم يكن اخناتون متساميا موحدا نبيلًا ؟

هل كل ملوك الفرس تميز ؟

هل كل خلفاء بنى العباس ، السفاح ؟

هل كل الفاطميين « الحاكم » ؟

واذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحد فان من المقابل ،  
أن يحسب لنا أمجاد فراعين ، يكفى الواحد منهم أمة بأسرها  
في باب المفاخر ....

على ان من أئمة المسلمين والواصلين من برأ فرعون من الكفر .  
فالامام محيي الدين بن عربى يقول فى كتابه « فصوص الحكيم »  
( بايمان فرعون ايماننا لازما ، وأنه قدلقى ربه طاهرا مطهرا . )  
سالمًا من العيب ، بريئا من الذنب ( وظاهره فى هذا الامام جلال  
الدين الدوانى فى رسالته الخطية الموجودة بدار الكتب . مستندين  
الى الآية الكريمة ( آمنتم انه لا اله الا الذى آمنتم به بنو  
اسرائيل وأنا من المسلمين ) سورة يونس آية ٩٠ ، وجعله ابن  
عربى ، آية على عنايته سبحانه لمن يشاء حتى لا يياس أحد من  
الله تعالى .

( قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة  
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ) .

### واخيرا اسم مصر

حين احتجب اسم مصر قال لى صديق فنان ممن يحبون مصر حبا خاصا ... هونى على نفسك وهل الذى احتجب الاسم الاصلى ؟

كثيرون ومنهم مثقفون يعتقدون أن اسم ( مصر ) هو ، التسمية العربية أى تسمية حادثة فى القرن السابع الميلادى فهى ليست بالاسم الاول القديم .

والحقيقة أن المصريين القدماء فتنوا بواديهم الأخضر وسماهوا أكثر من اسم . فهو ، أى مصر ، عندهم ( كيه ) أى السمر ، و ( تاكيس ) أى الخمرية ، و « تاوى » أى الأرضين و ( ايدبوى ) أى الضفتين . ولم يكتفوا بهذا كله بل أضفوا عليها من ولعهم بها صفات شاعرية كما يدل المرموق المعشوق فقالوا « ايره رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وقالوا « وجاة نثرو » أى عين رب الأرباب و « اترتى » أى ذات الحرايين و « باقة » أى الزيتونة فهى خضراء دائها ..

أما جيرانهم من كنعانيين وأشوريين وفينيقيين وبابليين فكانوا يسمونها مصرى ومشرى ومصر ومصرم ومصرايم « الثوراة » ومصرين وكتبها القرآن الكريم بلفظة مصر .

ومن الوثائق الخارجية المحفوظة رسالة بعث بها أمير كنعانى فى الربع الثانى للقرن الرابع عشر ق . م يطلب حماية فرعون ويستأذنه فى إرسال أهله الى « مناتو مصرى » أى الى أرض مصر .

**أذن كلمة مصر تمتد فى الزمن الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .**

وتقارب هذه اللغات فى اسم مصر يطرح احتمالا مؤداه أن هذه اللغات أخذته أصلا عن أصحابه ... عن اللغة المصرية القديمة فإن أسماء الأعلام تؤخذ كلها الى حد بعيد ...

يقول الدكتور عبد العزيز صالح ( ليس من المستبعد إطلاقا ان تؤدي الكشوف الأثرية المقبلة الى اظهار وثائق مصرية تذكر اسم مصر في صراحة ، ولكن حتى تظهر هذه الوثائق يمكن ترتيب الآراء المحتملة في ضوء المصادر المعروفة حتى الآن في تحليل اسم مصر ومترادفاته القديمة ، في أربعة آراء تنتهي جميعها الى اعتباره لفظا ساميا مشتركا يؤدي معانى الحاجز والحد والسرور ، ويترجم عن صفتى الحصانة والحماية ) .

ويؤيد هذا الرأى ما نراه في النقوش والرسوم والتماثيل من احاطة كل عزيز عليهم وخاصة ملوكهم بقصر الشمس المجنح وبماء النيل وتسرب هذا عبر الزمن ، الينا في قول ابن البلد (مصر المخروسة ) .

ومن حب المصريين مصر ، كان قداماؤهم يسمون أنفسهم شعب الشمس ، والشعب النيل ، وشعب الاله . بل تصوروا انهم نبعة منه صيغت من جسمه ، أو انهم خلقوا من عينه ونزلوا من دموعه . وكان ملكهم كان ينطق بلسانهم جميعا ( اليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟ ) .

قد تكون القوة والثراء والرخاء والسيادة ... قد تكون هذه الصفات مجتمعة ومتفرقة ازدهتهم فوصفوا أنفسهم بهذه الصفات . ولكن عصور الضعف بما تورثه من تخلف وتسبب وانحطاط هل كان الشعب المصرى يرى نفسه ، فيها ، دموع الله أم دموعه هو ؟

في عصور القوة بمكاسبها .

وفي عصور الضعف بمثالبها .

نحن مصريون .

### ٣- مصر والغزاة

قالوا ان مصر تعاقب عليها الغزاة وتصدوا بهذا ان يرموا الشعب المصرى بالاستكانة والخضوع . بل حاول الاستعمار تعميق هذا المعنى فى نفس الشعب حتى يستسلم لقدره فيه .

تضية او نظرية آن الاوان لكى نناقشها :

زرعت مصر الوادى فكيفها النبات وعالم الزراعة المتجدد ابدا ... الهمها فكرة الخلود .. لماذا لا تتجدد النفس المصرية هى الأخرى ؟ عالم الزراعة اكسب مصر صفة الثبات الدائم ... ان التقلبات لا تثير المصرى كثيرا ... انه هو الباقي وكل العواصف تزول .

لم يضع هدرا ، النضج الحضارى الذى استقر فى اعماق الانسان المصرى والذى كثيرا ما يكون قد قر تحت قشرة متواضعة أو خشنة أو فقيرة ، ولكن المصرى المتواضع أو الفقير يعرف ( الأصول ) و ( العيب ) . يقول الدكتور زكى نجيب محمود :

( كان من المستحيل على المصرى أن يجتاز هذه الحضارات التى يكمل بعضها بعضا دون أن يمتص رحيقها .. ومن بين ذلك

الرحيق أن يفرق بين ما هو عابر وما هو دائم ... ومن هنا  
جاءت صفة الصبر عنده .. وجاءت صفة السكينة والهدوء التي  
يتقابل بها الأحداث عادة لأنه موثق أن المستقبل له آخر الأمر ...

\*\*\*

ان الغزاة في القديم غزوا مصر بعد أن نعمت طويلا بالحرية  
والرخاء والفن . والأمم كالأفراد يضعفها الترف . وكل أمة  
يتعاورها المجد والاضمحلال ... لم توجد الأمة التي أطرد مستواها  
على وتيرة واحدة ... تلك الأيام نداولها بين الناس .

ثم ان النصر في الحرب لا يدل على افضلية مطلقة ... هل  
تزن اسبرطة في التاريخ وزن أثينا وهي التي قهرتها وحكمتها ؟  
اين اسبرطة من أثينا في القديم والحديث ؟ .

ان الذي القى القنبلة على هيروشيما كان يعمل لحساب رئيسه  
في امريكا، فلا يدل هذا على أن القائد الأمريكي أكفأ من القائد  
الياباني .

هذا حين لا تصلح الغاندية بدون غاندي .

ان الفكرة أخلد من العصا .

ان فرنسا هي الأوبرا وفولتير وروسو ... وانجلترا هي بيكون  
وشكسبير .

#### الأمم بالرغوس لا بالعضلات .

ويوم يسود الفكر سييطل عمل الجيوش . ان الذي أنهى  
حرب فيتنام أن وجد بين المجندين الأمريكيين من يقول لماذا ؟  
(ليه ؟) .

والذي أنهى استعمار فرنسا للجزائر أن قالت فرقة فرنسية  
امرت بالسير الى الجزائر لماذا ؟ (ليه ؟) .

مثل هذه الأصوات تفيق الطغاة ..



لقد قتلت القوة الغاشمة أرشميدس بخبطة-عضا... وكذلك  
العالم الفرنسى « لا موازيه » فى لهيب الثورة الفرنسية ...

ان العالم القديم كان أشبه بهوجات ..... تعلو دوله موجة ،  
وتمتد ثم تهبط وتنحسر لتأتى وراءها موجة أخرى . وهكذا بدأت  
نصر العرض .

وهى فى جميع الأحوال لم تغب الأضواء عن قسمااتها . ولما  
جاء الاسلام كان يحمل معنى ونظرية « الأمة الواحدة » ( كنتم  
خير أمة أخرجت للناس ) . فكل وال مسلم غلب اسلامه جنسيته ،  
فلم تحس مصر بالفرية خاصة بعد اعتناقها الاسلام ثم تحمسها له  
وهبتها للدفاع عنه ووقفاتها معه وتمكينها له . لقد استقبلت مصر،  
الاسلام ، بما فيه منها ... وبحسها الحضارى بما فيه من انفتاح  
على الفكر وانسراح واحتضان للقيم ..... تجاوبت مصر مع  
الاسلام ..... أخذت منه وأعطته على العكس من تركيا .. لأن  
الأتراك أمة حرب ليس من طبعهم السماحة والوداعة والرحمة  
والشفافية حتى التقى منهم كان فى عنجهية .. فقد روى الدكتور  
أحمد أمين ان التركى كان يقف بباب المسجد وفى يده كرباج يجلد  
به الرائحين والغادين ليدخلوا المسجد ويؤدوا الصلاة !

حتى الخلافة الاسلامية التى هبطت على تركيا من السماء ،  
لم تستفد من هالتها وبركتها فلم تتفتحه فى الدين، ولم تعدل فى الحكم،  
ولم تتبحر فى العلم، ولم يشف وجدانها أو تتثقف روحها .

كان زواجها من الاسلام عقيما وانتهى بالطلاق على يد أتانورك .  
وهى نهاية طبيعية على الرغم من فزع الكثيرين فى وقتها . ولم تجد  
نصيحة شوقى لها ( يا دولة السيف كونى دولة القلم ) لأن القلم  
موهبة وعطاء ( يؤتى ) و ( لا يكون ) ...

ثم يأتى كاتب مثل Levonian يشغل عمادة مدرسة الدين فى  
أثينا ويحكم على العقلية الاسلامية بما اقترفته تركيا فى الخلافة

### في كتابه : Moslem Mentality

وعدوا على مصر قائمة من أسماء الحكام ... إن ابن طولون والأخشيد والمعز وصلاح الدين كل هؤلاء اتخذوها منطلقا وحكوا، منها ، وبها قبل أن يحكموها .

حكوا باسم مصر وتوسعوا في الفتح بطاقات مصر وأسسوا الدول يظاهروهم موقع مصر وثروتها وقدراتها الكثيرة مما لم يتوفر لهم في بلادهم الأصلية وبين أقوامهم .... انها عبقريّة المكان أو روح المكان بها وهبه من امتياز الموقع وشخصية الحضور فان الوجود في مصر شيء في ذاته يمنح صاحبه من طاقة القدرة ما لم يمنحه حتى في بلده الأصل . والمثل عند صلاح الدين ونور الدين فليس الأول بخيرهما ولكنه الأسعد حظا بوقفه مصر معه . ، تعرف هذا مصر فضلا عن اعتبار الدين واللغة . ولهذا عندما جاء الأجنبي الحقيقي نابليون لم تطقه فلم ينصرم على وجوده القلق بها ثلاث سنوات حتى كانت أجلته جلاء تاما عن ترابها . وليست مصر بدعا في هذا فقد استطاعت البابوية أن تحكم أوروبا على الرغم من الحدود ترونا بتأثير الفكرة الدينية .

الم يدافع زعماء منا متطرفون في وطنيتهم متحمسون في حبهم لمصر عن السلطان التركي باعتباره الخليفة وأمير المؤمنين ؟ ... من يدري لعل كثيرين نظروا الى سليم الأول على انه المنقذ من المهالك ! أو الرمضاء .

بل ليكن الحاكم من يكون فسد أم صلح ما دام لا يتعرض للأرض أو العرض أو الرزق . أما اذا مس أحد هؤلاء فان مصر تتمرد عليه كاعصى ما تكون . أمة كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه عن سعد زغلول .

وليكن هناك ناس عندهم استعداد أو موهبة الحكم . هل معاوية في التاريخ خير من علي ؟ ان أصحاب القيم عبادة لا يصلحون لحمل العصا . لقد رفض كثير من القضاة ، القضاة والولاية

ومنهم رجلنا الليث بن سعد . لقد عرض عليه حكم مصر فرفض  
كما رفض القضاء ولكن السلطان والقاضي كان كل منهما يغشى في  
نوائبه وحوائجه مجلس الليث التماسا للرأى أو التأييد فان استحققه  
جاء عليه به امام مصر وفقهها . واذا انكر رجلنا الليث من السلطان  
او القاضي أمرا كتب الى الخليفة فما يلبث أن يأتى الحاكم ، **العزل!**

لقد كان الليث ينهى عن مدح السلاطين وقد تكفل بمنصور  
ابن عمار حتى لا يقف بباب السلطان ويمدحه رغبة أو رهبة .

ان استمرار مصر في صناعة الحضارة كان فيه رضى نفسها .  
فالخلق والابتداع والتفنن هواها وهوايتها منذ القدم . . أما الحكم  
فلم يكن يهمها منه كما قللت الا العدل فيها والتعفف عن أموالها  
أو عدم الجشع والسطو . كان الحكم في نظرها مهما بلغ وظيفته  
إدارية لا فن فيها حتى لتسميه في سخرية لا تخفى ( الضبط  
والربط ) .

من أجل هذا كله زهد المصريون في الحكم واعتزوا بالسلطات  
الحقيقية : السلطة الروحية أو السلطة الأدبية والفنية .

ان السلطان الحقيقى في عين مصر هو الفنان الذى لا سلطان  
لأحد عليه ولو كان من أهل الحرف .

ان الواحد من هؤلاء اليدويين ( معلم ) ، ولعلميته اصول وتقاليد ،  
وله احترام خاص وسمت معين . وحين فتح سليم الأول مصر  
جمع هؤلاء المهرة والفنانين وخملهم معه الى القسطنطينية . ودلالة  
هذا بهر الغالب بفن مصر بهرا يسيل لعبه حتى ليعجز عن  
مقاومته . . . ولم يؤثر عن سليم أنه أخذ فنانين وصناعا من مكان  
آخر في الشرق كله . .

اعتبار آخر . . . ان المصرى حريص على ما يملك . . يبتغى  
ويصون . الخبز في مصر دون سائر البلاد ( نعمة ) و ( عيش )

والمصرى لا يرمى لقمة ... واذا وقعت منه على الأرض ينحنى يلتقطها ويرفعها في محاذاة عينه ثم يقبلها ... المساء نعمة والأرض نعمة النعم ... والمصرى لا يبهدل النعمة . ولهذا يفكر الف مرة في ( كينية ) رد العدوان عليه ... ان الروسى يحرق الأرض بعد ان ينسحب منها حتى لا ينتفع بها المغير . ولكن المصرى في الغزوات التى ابتلى بها كلها لم يفكر مرة واحدة في حرق الأرض ... كيف ؟ انه يعشقتها .. لا يهون عليه حرقها ... السلب أهون ولو انه ألقى المرين . انه واثق انه سيجمع أمره ويستردها ... مآلها اليه وحده فلا يشوه نصره المأمول بأضرار المحبوب .

والمصرى لا يقامر ... حين طلبنا وقف القتال سنة ١٩٦٧ الحزينة كان هم مثقفينا ، القاهرة .. الخوف على كنوز التاريخ فيها كما أعلن الفرنسيون ، باريس مدينة مفتوحة . لكل شعب طريقته في المقاومة وفلسفته .. الشعب المصرى كان ينظر الى الحاكمين نظرة الشاعر في أعماله بقيمته وحضارته وتراثه ووراثاته الى البرابرة الذين لا يملكون الا العضلات . فكان همه كله أن يحافظ على ذاتيته .. على قيمته وحضارته وتراثه ووراثاته باتقاء شرهم أو اعتزالهم لاسيما اذا اتقوا ظلمه ...

كان المصريون يعتبرون بعض الغزوات وفادة همجية دفعتها قسوة الطبيعة في بيئتها الى الوادى الأخضر .. وبهذا تكون مصر اقلمتها مثل الغزوات التى جاءت من الغرب كغزوة الهكسوس الذين عنتهم مصر بكلمة ( المحرومين ) ، على الرغم من انتصارهم واستيلائهم على الدلتا . وهى صفة توحى باعتزاز النفس المصرية بذاتها المعنوية والمادية ... بذاتها الحضارية حتى ولو غلبت سياسيا ... فغزاة مصر اما « محرومون » يتطلعون الى الرخاء المصرى أو « برابرة همجيون » يطمعون في ( الملك ) المصرى .. ومن هذا المفهوم تنبع لفظة الهكسوس التى أطلقتها مصر على الآريين الذين هاجموا من الشمال الشرقى .

والمصرى دعونا نقولها واضحة وصريحة : . . . المصرى حكاه لم ينصفوه فالحكم مفسدة للقريب والغريب . . . لعل المصرى عند الغزو قال فى نفسه : أيموت دفاعا عن كرسى هؤلاء ؟ من يدري لعل هذا منبع حكمته التى تقول ( ما يموت على السد الا قليل الفلاحة ) .

ما دام الشعب المصرى لا يغنم من الحكم مغنما حقيقيا فليتصارع على الحكم المتصارعون أيا كانوا، وليعكف هو على عمله الذى يجبه ويحقق ذاته فيه . . . ان حكمته واقعية لا نظرية وكم فى أعمال البسطاء من حكم . . .

فلسفة الشعب المصرى ان يتوقع على نفسه النفيسة ويصنع من دمومه فى محارته أو عزله ، لؤلؤة . . . فنا وصناعة وطرفا . . . يتوارث مهارتها خالفا عن سالف ويعتز بمعطياته فى هذا المجال فيجعل كما أثرت لكل ( صناعة ) حيا ومعلما . . .

ان الذى أمسك علينا شخصيتا بعد سنة ١٩٦٧ اننا لم نعتبرها هزيمة أمة . . . ولو فعلنا لانسحقنا . ولكننا غسلنا عارها بعد ست سنوات هى فى عمر الامم لحظة ، أو بعض ساعة . . .

لا كانت سنة ١٩٦٧ . . . لقد جرحت الهزيمة حتى البسملات وسنابل القمح ، ورقة الياسمين . . . جرحت السنين فى شيخوخة الآباء ، وجرحت نضارة الطفولة فى الأبناء . . . جرحت السرور فى القلب والكبرياء . . . جرحت الثقة والقدرة والآباء . . . جرحت الليالى . . . ليالى القاهرة فلم تعد عذبة ولم تعد مائنة ساحرة . . . وبكى الفجر فى الحقول حتى بلل الصبر ، وتشابهت الأيام فلم يدر بها العمر . . .

ومع هذا لم تعرف مصر ولم يعرف تاريخها حائط المبكى . . . كانت مصر فى الأعوام الستة تلطم جراحها وتجمع نفسها ، وتبتوعب خصائصها فى عملية تحضير للعب الدور الجديد الذى بدأ بالعبور.

هذه هي شخصية مصر التي يرمز اليها النيل والهرم ... النيل  
الذي كان التشريع المصري ينص على أن النيل اذا بلغ أربعة  
وعشرين ذراعاً أصبح لزاماً على كل مصري من أى طبقة العمل  
على حماية البلاد من فيضه ... ولعل شعورنا العميق بوجوب  
التجمع والتوحد عند خطر النيل هو سر الحيوية المصرية التي  
تستيقظ فجأة عند الخطر حين لاتدل الدلائل على هذه اليقظة قبل  
وقوعها .

والهرم الثابت في وقفته ، الراسخ في هيئته ، الشامخ في كبرياء  
وراءه وأمانه جلال الماضي ومواكب التاريخ ومعارك التاريخ  
أيضاً . ولكنه بعد الغزوات والكبوات والانتصارات ظل هو معجزة  
العلم والفن والحضارة ... معجزة مصر وشخصية مصر .

#### أين الغزاة ؟

#### ان مصر لا تموت ..

وان ما نشهده اليوم من ارادة التغيير والعمل والتحرير شاهد  
لا يخيب على ارادة الحياة الكامنة في النفس المصرية بل التحدى  
للثقل والالام .. التحدى للصعب والعثرات ... واسلوب مصر  
الذي لا يتغير في تخطى المحن هو « العمل » .

ان الحضارة المصرية كلها احتفال بالعمل . كانت حياتهم قريانا ..  
حياتهم نذروها للمجد ... وهنا ندرك معنى قول القائل ( الموت  
فن ) فالمنتحر عاجز عن الحياة ... عجز عن تكريس الحياة لهدف  
ونذرها له حتى تنفى دونه ..

لقد أدركت الحضارة المصرية منذ القدم بالبصيرة حكمة تغيب  
عن كثير من المربين ، وهي أن الانسان لا تستقيم حياته ما لم يكن  
في طريقه الى غاية كبيرة ، أو يشارك في عمل رائع ، أو هدف يثير  
الانبهار ....

ان الناس يسمون المتفانى في الذكر « مجذوبا » ثم أطلقوها بعد هذا في غير موضعها . فكل من سخرها منه سموه مجذوبا ، مع أن المجذوب هو الذى أعطى بلا تردد في الرجوع ... اختار ...

وقد اختار الانسان المصرى صناعة الحضارة ... وصناعة الثقافة ... اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق وأن يجعل من نفسه مرقبا ومنطلقا للتشكيل ... للبناء ... للتشويق ... للرائع والجليل ...

والمصرى الاصيل دائماً يعطى نفسه للقيمة فهو عندما يكون غالبا مستقرا يعطى نفسه للفن .. وعندما يكون جريحا مهيبا يعطى نفسه للنصر أو الشهادة .

ان شهداء المسيحية في مصر قد أعطوا أنفسهم لمعنى ... وقد أدركوا هذا جيدا وقصدوه . ومن ثم غنوا وهم في طريقهم الى اعواد المشائق ...

والمصرى الاصيل لا يعوقه شيء عن هدفه ... لقد كان أبو الهول في الاصل صخرة ضخمة تعترض طريق المصرى الى الهرم فشكلها تمثالا وأحال العائق الى فن رائع ...

ان فن المشربيات الذى ابتدعه العصر القبطى كان وراءه سبب قلة الخشب في مصر فأحال المصرى فقر الكم الى غنى الكيف ... شكلت مصر الخشب وهو قليل عندها ، أروع ما يكون التشكيل في تمثال ابن البلد ...

لقد نشأت التراجيديا في الأدب الغربى ولم تنشأ في الأدب المصرى . ولعل مقدمه نيتشه عن مولد التراجيديا تعلل هذه الظاهرة . فقد تساءل نيتشه لماذا ولد بطل احدى الكائنات الاسطورية ولماذا يعيش ؟ ثم خرج من حيرته بقوله : انه كان يجب ( الا يولد ) . وهذه

العبارة بمثابة رد على الموت ... على حين ان مصر لم تعترف بالموت ... اذن ليس هناك مأساة .

مصر من حبها للحياة تجاهلت الموت بعدم الذكر أو تحدته بالارتفاع فوقه .. وبسرعة . ان قصة أوزوريس وست التي كان يمكن ان تشكل تراجيديا كبرى ، نقلتها مصر الى ساحة المحكمة أو ميدان الصراع . فالحوادث محاكمة أو نضال ... لم تقف مصر طويلا عند لحظة القتل لأنها تحيا ... لأنها لا تعترف بالموت نهاية ...

المصرى يرتفع بسرعة على حزنه الكبير .... يرتفع عليه وهو يحسه في داخله احساسا عميقا ، بل لعله بقدر هذا الاحساس يكون ارتفاعه .... ان البسطاء من المصريين وحدهم هم الذين أثر عنهم العويل واللطم لأنهم يرون الموت ساحقا يسحقهم وهم أبناء شعب يحب الحياة ، فيعيشون طويلا في الموقف .

ولكن الانسان المصرى الواصل عندما يحزن يستقطب اليه في داخله ، ويستدير هويعيد البناء ... والشواهد كثيرة من تاريخها وعلى هذا لم تعرف مصر التراجيديا ... حتى المسيحية المصرية ركزت على الام لا الصلب ... ركزت على الام بحس بعيد من ايزيس وهاتور ....

الفكر الأوربي يقول أن الافضل الا تكون هناك حياة ... والفكر المصرى يقول الحياة سرمد ولا موت ... حتى كتاب الموتى لم يعرف عندهم بهذا الاسم وان كان مضمونه طقوسا جنائزية ...

ان المصريين القدماء لم يرفضوا الموت فحسب بل رفضوا التسيخوخة أيضا ... ولهذا عنوا في أهراماتهم بصالة تجديد الحياة . وفي معبد هرم زوسر رسم للملك الشيخ وهو يجرى جاسرا بعد أن علت سنه ، لتجديد نشاطه .



ان التراجيديا عند مصر الفرعونية تتمثل في ذبح الثور يقدمونه  
تربانا ثم قال حكيمهم ( عمك الطيب أحسن عند الاله من  
القربان ) ...

اننا نلقن تاريخ مصر ولا نقرؤه وبهذا أضعنا المفتاح ... واننا  
لكي نعيش عصرنا بأحداثه لا بد لنا ، في عملية البناء ، من رحلة في  
النفس ومعاناة حقيقية . بحثا عن المفتاح حتى يقوم الجسد على  
أساس متين من ماضى هذا البلد بما وعى من تجارب  
ومكابدة وذخائر .

هنا على هذه الأرض نضج الإنسان والنضج وعى .. والوعى  
سعى ... انه تحريك القوى في كل مجال ... وهذا بعينه حدث  
في مصر ... وهذا بعينه لابد أن يحدث في مصر اليوم اذا أردنا  
الانتفاض والعمل ..

لقد شكلت مصر في « العصر العتيق » أى في الأسرة الاولى  
والثانية قبل عصر بناء الاهرام ، شكلت مصر ذرات الصوان  
وشكلت من البللور الصخرى الوانا من الآنية فيها الحس الصافي  
للشكل . وليست المسألة التشكيل على ذروته ، ولكن « ادراك  
القيمة » .

هذه هي شخصية مصر الذى دخل بها الفراعنة ، التاريخ  
ووضعوا بصمتهم عليه ...

شخصية مصر التى هى وعى بالمقدس ، وارتفاع فوق الأحداث ،  
وطموح حضارى .

ان الشخصية المصرية بهذا المعنى هى أعلى سد ضد  
التقهقر والتخلف والتفسخ فى الداخل ، وضد الهجوم والتربص من  
الخارج .

وان مصر التى كانت رائدة ثلاث مرات فى التاريخ مرة حين

ابتدعت الحضارة ، وأخرى في المسيحية ، وثالثة في الاسلام عليها  
أن تبقى رائدة مرة رابعة وتحمل رسالة قديمة جديدة .والجدة هنا  
تعنى وجود الرجال القادرين على « التحريك » أو كما يسميهم  
توينبى : Those who know how الرجال العارفين بمنطق  
الحدوث أى ما وراء وجود العمل الفنى ...

هذه هى شخصية مصر ... وأنا أعنى كلمة شخصية التى  
يتوسع الكثيرون فى استعمالها مع أن « الشخصية » لفظ كبير  
جدا فى المفهوم والدلالة حتى ليقول « يونج » ، (من أندر ما يمكن  
أن تجد شخصية ) .

الشخصية خلق جديد لا يتكرر ولا يقلد لأنها روح .. لأنها  
عطاء .. لأنها سر .

ومع هذا فمن بين أطفالنا ساذج يقول : أنا لى شخصية !  
وما درى أن أمته كلها شخصيتها النفيسة قد تاهت وهى الآن  
تعيش فى محاولة البحث عنها ... أو البحث عن مفتاح ...  
لاسترجاعها ثم الإبقاء عليها ثم تنميتها بمتطلبات العصر الذى  
نعيشه من خارجه ، حين يفرض علينا دورنا الحضارى أن نستقطبه  
ثم نزيده بفعالية وإضافات رائدة .

\*\*\*

بقيت قضية :

الاقباط والمسلمون . من نحن ؟

## الأقباط والمسلمون

ان المتقنين من المسلمين والاقباط يعلمون بالدراسة والوعى التاريخى ، أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الاسلام .

المسيحية جاءت من فلسطين .

والاسلام جاء من الجزيرة العربية .

وبعد تفكير وتمحيص للدين الواحد ولوقفها هى ، اختارت مصر المسيحية بل تبنتها ودافعت عنها **بالرأى والروح** .

ولاعتبارات فصلتها فى كتاب ( شخصية مصر ) بل فى هذا الكتاب دخلت مصر فى الاسلام أفواجا .. ولم يكن غريبا عن طبيعتها ، ولا عن مسيحيتها . ولهذا لم يكن اسلامها مسايرة أو تسليما ، ولكن كان اسلامها موقفا واستجابة وإيجابا ، فلم تلبث أن تحمست له ، ودافعت عنه **بالرأى والروح** .

وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت اليها كما لم يفعل أحد .

نشرت مصر الاسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد .

وبما تمثل المسيحية من وقفة مصر وموقفها ... من رأيها وشخصيتها ، نعز بالمسيحية مسلمين وأقباطا لأننا مصريون .

وبما يمثل الاسلام من سماحة مصر وتفتحها ... من احساسها بذاتها حتى لاتخشى الجديد ، لانها بالتاريخ الطويل تعرف أن لها في كل مسرح مكانها ومكانتها ... بهذا ، ولهذا ، نعتز بالاسلام أقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

وامتدادا لهذا ، حين تمد مصر للعروبة يدا داعية أو مستجيبة لما يخدم هذا، من مصالحها ويعزز دورها ويساندها ، لا املاء من فرد ، أو تحقيقا لطموح شخص ، أو اندفاعا مريضة ، فان العروبة هنا ، بما تمثل من رأى مصر نفسها ، نعتز بها أقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

**فلا يخط كائن بين الدين والجنسية ، كما والى في الماضى المسلمون ( بعض منهم ) الاثراك ، والاقباط ( بعض منهم ) الانجليز ... لا عن خيانة من الطرفين ولكن عن سطحية في التفكير والوطنية وما منع الاسلام تركيا ، ولا المسيحية انجلترا ، أن تظلم مصر كلها باستعمارها ، ثم باستغلالها ، وتعويقها ، وقهرها ....**

الدين علاقة خاصة بين الله والانسان .

ولكن الوطن علاقة عامة أخطر أثرا ، لان الله غنى عن صلواتنا تحت جميع الاسماء . ولكن الوطن حياته بحياتنا، وحياتنا بحياته **مقترنة ومطرده علوا وانخفاضا .**

الاديان جاءت بعد الانسان .

ونحن مصريون قبل الاديان والى آخر الزمان .

ليس الاقباط بالمسيحية فلسطينيين بل مصريين اعتنقوا المسيحية .

وليس المسلمون بالاسلام عربا ، بل مصريين اعتنقوا الاسلام حتى شكوا والى عمر بن عبد العزيز من نقص الجزية .... فقال

الخليفة الذى يعرف مصر جيدا لانها ريته في ولاية أبيه عبد العزيز ابن مروان ( ان الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جاييا ) ...

ولا يسمى هذا العرب بل يشرفهم . فلئن نكون مصريين أسلمنا خير من أن نكون أعدادا من العرب في مصر ... ما الجديد في هذا بالنسبة اليهم ؟ وما معنى خروجهم بالاسلام من الجزيرة العربية ، وتجاوزهم به الحدود اذن ؟ هل لم يؤمن به أحد ؟ . وما معنى ( بعثت الى الناس كافة ؟ ) وأين عالمية الاسلام اذن ؟ ان لم يكن أهل البلاد المفتوحة أسلموا فهو دين محلى خاص .

والقائلون من الأقباط بأن المسلمين المصريين دخلاء ظننا منهم بسذاجة أن هذا يتيح لهم أن يتفردوا بمجد القدماء أو بشرف الانتساب الى مصر ... لهؤلاء أقول :

هل يشرفهم أن يكون الدخلاء ، كما يقولون ، يشكلون أغلبية والاصلاء هم الاقلية ؟ أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فان كل فضل للأغلبية أو للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلا واحدا يكمل بعضه بعضا ، أمنا مصر وأبونا النيل . وبينهما يتفاوت الأخوة وقد يختلفون ، ولكن عندهما يلتقون ، واليهما ينتسبون .

وكيف يجوز في الفهم أن يزيح الفاتحون أهل البلاد ، لاسيما اذا كان أهل البلاد أقدم تاريخا وحضارة ؟

ان جيش الفتح في قول كان أربعة آلاف ، وفي قول ثمانية آلاف ، وفي قول ثالث بعد الامدادات ١٢ ألفا ، ويمتد آخرون بالامدادات الى ٣٠ ألفا .

وأهل البلاد في قول ثمانية ملايين ، وفي قول عشرة ملايين ، وفي قول ١٢ مليونا .

فلو أخذنا بأكثر الاعداد بالنسبة للقائحين .

وبأقل الاعداد بالنسبة للأصليين .

هل من المعقول أو حتى من اللامعقول المخبول أن ثلاثين ألفا ،  
يضاف اليهم من لحق بهم من قبائلهم ولو كانوا أضعافاً أن يمسحوا  
بلداً ، وأى بلد ، بلداً كمصر ، ويصيروا هم أصحابه أو أغلبيته ؟  
حتى إذا تجاوزنا أن الهجرات والقبائل كانت مقترنة بشخص الوالى  
تخرج بخروجه ، وأن صلاح الدين الايوبي ضيق على بقايا القبائل  
العربية واضطرها الى هجرة جديدة الى شمال افريقيا ؟ حتى إذا  
تجاوزنا هذا كله أو أسقطناه ، هل من المعقول أن الآلاف تناسلوا  
فصاروا ملايين ، وعقم الملايين وصاروا آلافاً أو مليوناً أو بضعة  
ملايين وفقاً لآخر احصاء ؟ أى منطق هذا ؟ ولصلحة من ؟

أيهما أكرم لآخرة الوطن . . للأقباط أن نكون دخلاء أم أصلاء ؟  
وإذا اعتسفنا المنطق نفسه وقتلنا ان المسيحيين المصريين  
فلسطينيون باعتبار موطن المسيحية الاول ( بيت لحم ) ، أين مصر  
اذن بين المسيحيين والمسلمين أى بين الفلسطينيين والعرب نتيجة  
للمنطق العجيب .

ان كل عقيدة دانت بها مصر وكل رأى قالت به ، وكل عمل  
مارسته جزء من نسيج الشخصية المصرية ، الخطأ منه والصواب  
اعترفنا أم أنكرنا . . . اننا بهذا كله ، مصريون .

المسيحية دين كتابى دانت به مصر وجعله الاسلام شرطاً للإيمان  
به . فلن يكون المسلم مؤمناً حتى يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم  
الآخر . والانجيل كتاب الله . . . وعيسى عليه السلام نبي الله .

والاسلام دين كتابى اعتنقته مصر بعد أن أصهر اليها وأعطت  
رسوله دون غيرها ، الولد ، كما أعطت الولد ، قبلها ، أبا الانبياء  
ابراهيم .

يجب أن نلقن هذا الكبار قبل الصغار حتى لا تكون عقود  
ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلينا مستعمر يعرق  
ليسود ، أو جاهل بالدين والتاريخ يحسب التعصب تدينا فيضرب  
بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل  
أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر .

هذا في الداخل ، أما في الخارج فالتاريخ الحديث يشير بأصابعه  
العشرة إلى سلاح رهيب من أسلحة الاستعمار . سلاح الوقعية بين  
شطري الأمة الواحدة فعل هذا الكاتب الإنجليزي جون بورنج  
John Bouring في القرن التاسع عشر وشايعه إدوارد وكين  
Edward wakin في الستينات من القرن العشرين في كتابه  
( أقلية متوحدة ) A Lonely Minority أو القصة الحديثة لاقباط  
مصر خاصة في الفصل السادس عشر . . . . وان لم يستطع أحد  
أن ينكر التماثل بين الأقباط والمسلمين حتى كرومر في كتابه  
مصر الحديثة Modern Egypt لم يستطع الفكك من هذه  
الحقيقة وهي أن القبطي والمسلم إنسان واحد هو في النهاية  
الإنسان المصري . واني أترجم حرفيا ما قاله في الفصل السادس  
والثلاثين من كتابه ( القبطي من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، في  
في السلوك واللغة والروح ، مسلم وان لم يدرك كيف . فبالقبطيات  
تتشبه بالمسلمات والأطفال تكيفوا هامة وعادات الزواج والجنائز  
تشبه ما عند المسلمين ) . وان كان يعزى هذا في خبث  
المستعمر ودهاء الخبيث إلى تأثير الأقلية بالأغلبية مستهددا الشواهد  
من الهند بين المسلمين والهندوس . ولا أدل على تعصبه هو من  
مهاجمته في أكثر من موضع ، مواطنه إدوارد ولیم لین لاعتداله  
في كتابه عن المصريين المحدثين )

The Manners and Customs of Modern Egyptians.

والاقباط الذين يتعلل بهم كرومر ويتذرع بهم استعمار دولته قال  
عنه أحد أعلامهم وهو الأستاذ سلامة موسى في كتابه ( تربية سلامة

موسى ) ، ( انه كان طاغية عاث وعريد في كياننا الاقتصادى والسياسى وعطل بلادنا عن التطور وانه كان جاهلا يتشدد بعبارات لاتينية أو اغريقية قديمة ولا يعرف شيئا من العلوم العصرية الجديدة ) .

وقد فصل هذا بالأرقام والاحصاءات الاستاذ رشدى صالح في كتابه ( كرومر في مصر ) .

ويبدو أن خلفه جورست لم يكن أقل سوءا منه . فيروى الأستاذ سلامة موسى انه ابان الانبعاث الوطنى فى الأمة المصرية عمده جورست الى ( مناورة استعمارية هى ايجاد الخلاف والشقاق بين المسلمين والاقباط ، فكان الموظفون الانجليز يحرضون الاقباط من ناحية على المسلمين ثم يعودون فيحرضون المسلمين من ناحية اخرى على الاقباط ) .

ولم يقصر ككتشنر فى هذا المضمار

انه الاستعمار دائما وراء الفتن . . فهو فى مصر يستهدف الوحدة الوطنية وهو فى الهند يعمق عن عمده الصراع الدينى بين المسلمين والهندوس كما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه ( العالم الاسلامى المعاصر ) مثلما عمق الخلاف بين سنية الشمال وشيعة الجنوب فى العراق تفتيتا وتمزيقا للوحدة الوطنية فى الرافدين بل حاول الاستعمار القول بشيعة ايران قبل اسلاميتها تدميرا للوحدة الدينية بعد الوطنية .

واذا كانت المشكلة الطائفية تبدو قديمة فى العالم العربى ، فانها كما يقول الدكتور حمدان ( لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار : هو الذى غذاها ان لم يكن خلقها ، وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده . وهل ننسى ، أن الصليبية — حتى الصليبية — تذرعت بحماية الشيعة من



السنين ( كذا ١ ) ، فضلا بطبيعة الحال من زعمها حماية  
المسيحيين من اضطهاد السلاجقة في الأراضى المقدسة ؟ )

انى أقرأ الآن فى ( الاستاذ ) - الجزء الرابع من السنة الأولى  
قول السيد عبد الله النديم ( حتى فى الحروب الصليبية التى تحرك  
لها عالم أوربا برمته وامتد قرنين وكان لمصر فيها الشئان الأكبر  
واليد القوية ولم يسمع ان مسلما تعدى على قبطى مع اشتعال  
نيران الحروب . ولقد امتد ذلك حتى فى زمن الحركة الأخيرة -  
يقصد الثورة العرابية - التى كانت مظنة لحدوث فتنة بين المسلمين  
والاقباط فانه لم يسمع بتعدى احد الفريقين على الآخر وعلى  
الخصوص فى بلاد الصعيد التى يسكنها معظم الاقباط . وهذا كله  
دليل على أن التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية ) .

ويقول خطيب الثورة العرابية فى موضع آخر :

( ومع كون الاقباط عاشوا دهرًا طويلا وهم أصحاب مشيئة  
واحدة يأترون بأمر رئيسهم الدينى وينتهون بنهيه فانهم لم  
يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف  
ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الأسباب دينيا أو دنيويا ولا مالوا  
للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية الى حرارة غيرها لعدم  
الموجب ) .

وقول عبد الله النديم يعود بنا الى الأمس البعيد والقريب . ففى  
سنة ١٨٧٤ عندما شرعت نظارة الحقانية فى التحضير للمحاكم  
المختلطة انضم بطرس غالى باشا الى محمد قندى باشا فى ترجمة  
توانين هذه المحاكم الى اللغة العربية وتعريب التشريع الذى  
ما زالت مصر تأخذ به الى اليوم ...

ان مصر بلدنا معا .

لقد أنشأ بطرس غالى باشا الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١

فخطب في حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار  
وعبد الله النديم .

وأقال الخديوى عباس الشيخ سليم البشرى من مشيخة الأزهر  
فخف اليه بطرس غالى باشا يعرض مساندته ويقف الى جانبه .  
لقد مات بطرس غالى باشا مقتولا برصاص ناصف الوردانى ،  
كما مات من بعده أحمد ماهر مقتولا برصاص محمود العيسوى  
والقاتل والقتيل في الحالين كانا يعملان لمصر من وجهتى نظر  
مختلفتين .

ودافع محمد حسين هيكل عن بطرس غالى في كتابه ( تراجم  
مصرية وغربية ) دفاعا جاوز حد الانصاف الى التعاطف . ولم يتخل  
عن موقفه هذا حتى في حديثه عن ( اتفاقية السودان ) التى وقعها  
بطرس غالى سنة ١٨٩٩ والتى حاول خصومه تحريف واقعها  
ضده في شبه اجماع على تحميله وحده وزرها الذى صنعتته بعد  
هذا أحداث عدة وملابسات وأوضاع تلت توقيعها .

لم تعرف مصر التفرقة الدينية . . . لقد خدعها الاستعمار يوما  
عن حقيقة قدرتها فأوهمها أنها بلد زراعى ليصرفها عن الصناعة  
ويستبقيها سوقا لمنتجاته ولكنه لم يستطع أن يخدعها عن حقيقة  
قيمتها فانهزم في كل مرة حاول فيها الوقوعة بين ابنائها مسيحيين  
ومسلمين فاتحدت ثورتهم ضده بعد الاحتلال وسنة ١٩١٩ وسائر  
الثورات الشعبية . وظل الابطال أبدا كما يقول الدكتور جمال حمدان  
( كتلة رصيفة رصينة من صميم جسم الأمة ) .

ان الاسلام حضارته اسلامية نسجتها وأسهمت فيها البلاد  
المفتوحة خاصة فارس ومصر بسابقة الحضارة فيهما . . .  
والاسلام ينكر العصبية ويؤيد هذا الأستاذ صبحى وحيدة، وهو  
مصرى مسيحي في كتابه ( أصول المسألة المصرية ) .

كما يؤيد هذا اختيار الاسلام عواصمه الحضارية في دمشق وبغداد والقاهرة .

لقد ناصبت مصر ، الرومان ، العداء حين حاولوا التدخل في عقيدتها المسيحية أيام وثنيهم فقاتلتهم . وحين دانوا بالمسيحية وحاولوا التدخل في الطقوس والعبادات ثاومتهم . وتمسكت بآرائها في هذا وأسلوبها فيه ، بل جنحت الى العناد فخالفتهم في الراى لجرد المخالفة ، خالفهم لونا من المقاومة واعلان السخط والكراهية ، لونا من التحدى واثبات الوجود . وكان لمصر كنيسة الخاصة بها وبطريركها المنتمى اليها . مصرت مصر المسيحية ( واستخرجت منها نسختها الخاصة : القبطية ) .

هذا حين لم يصدىم العرب ابا الفتح ، مصر ، في عقائدها وتقاليدها فعاد الرهبان من صوامعهم في الصحراء الى مزاوله وظائفهم الدينية السابقة ، كما لم يتدخل العرب في أسلوب الحياة اليومية بعاداتها وتقاليدها المميزة فبقيت كما هى الى يومنا هذا في الميلاد والاعياد والوقاة نمارسها الى اليوم مسلمين ومسيحيين . فليلة الحناء والصباحية والنقوش والسبوع وكعك العيد المنقوش وكأنه قرص الشمس الذى اتخذه أخناتون شعارا ... كلها عادات مصرية قديمة .

ان مصر تهتم بالجواهر لا بالتفاصيل .. ونحن المصريين اليوم نتبادل زيارة الأولياء والقديسين دون شعور بالتفرقة أو التعصب ... كلها فى نظرنا مزارات .

بل اننا كنا فى القرون الاولى من الفتح نتبادل ( قناديل ) الكنائس وجامع مهرو عند الاحتفالات الدينية .

وهناك اعياد تجمعنا معا أمة واحدة كما كنا قبل الأديان فعيد الربيع ووفاء النيل . ليلة النقطة ... كل هذه أعياد مصرية قديمة صاحبنا مع الزمن وصاحبنا الى يومنا هذا .

ان جوهر الدين في مصر ، في كل عصورها ، واحد . فالوثنية المصرية القديمة في جوهرها الاصلى ادراك للخالد خلال العابر وقد وصل الخاصة عندهم الى التجريد والى فكرة الاله الواحد . .

وعلى الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية اللتان تأثر بهما الاسلام وأقرهما . . . وان مصر حين دانت بالمسيحية نائما دانت بها لانها تعبر عن ضميرها بل ان الديانة المصرية القديمة في آخر عهدها أو شكت أن تكون مسيحية قبل المسيح بها نزعت اليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يئست من العالم الخارجى وآضت الى الصحراء ، وآوت الى العزلة للتأمل والتبتل . فمصر في عهدها القديم عرفت النسك كما سنت الرهبانية في المسيحية وعنها انتقلت الى أوربا أجل منحة أهدتها المسيحية المصرية الى المسيحية الأوربية بل يرجحون أن تكون طبيعة مصر هي التي أوحى الى اليهود بعبادة التنسك فالصحراء في مصر شديدة القرب من أى شخص يريد اعتزال العالم .

واذ تأمل في مصر هذا الطابع لعبت دورا كبيرا في التصوف الاسلامى شهد به ماسينيون وبركلمان حين أطلقا على (ذى النون) واضع الحجر الأساسى في صرح التصوف التيوزوفى الاسلامى .

وتؤيد هذه المصادر الاسلامية ومن بينها الرسالة للتشيرى والطبقات للشعرانى والكواكب الدرية للمناوى وحلية الاولياء لابى نعيم الاصبهانى واللمع للسراج الطوسى وكشف الحجب للهجویری وكذلك الرازى والترمذى . . . جميعهم اتفقوا على أنه وحيد دهره علما وعبادة ومعرفة وأدبا .

وكان ذو النون كثير الملازمة لبريا اخميم وهى بيت من بيوت الحكمة القديمة . وهنا يلوح الأستاذ الخولى الوراثة المصرية في حياة ذى النون وأسلوب تفكيره .

لقد جاء الاسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر اليها بصورة ما بالفطرة السليمة والدفع الحضارى معا . . . ان الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل أن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية في أصلها الى معبودات مصرية . . . ليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلّفته من أهرامات ومعابد بما عليها من نقوش وتلوين وما ضمته من تماثيل . . . ليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصرى ؟

يقول الأستاذ عبد الحليم الجندى في كتابه ( الامام الشافعى ) ان تدماء المصريين ( هم أول من فحص أحكام البيع والشراء وواجبوا الكتابة أو الاقرار لاثبات ما ينشأ عن العقد المكتوب ، وحرّموا زيادة الفوائد على ثلث رأس المال في السنة وعن أصل الدين مهما طال الأجل ، وحرّموا الربح المركب ، ومنعوا استرقاق المدين للوفاء بدينه . . . بل أن ما في الألواح الاثنى عشر ذاتها ، من ثانوى طبيعى كان تقليدا لمصر ) .

ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ ( سبت ) هيئة خنزير وفقا عين ( حورس ) فحرمت الديانة المصرية اكل لحم الخنزير .

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة في مصر القديمة كما جاء في كتاب ( الحضارة الطبية في مصر القديمة ) « أمر ليس بالغريب خاصة وأنه نابع عقائديا » ويقول هذا الكتاب ان ( النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القومية ) . . .

يقول د. 1. ل. كويلاند: ( بلغ المصريون شأوا من الانسانية

السحرة لا يرقى اليه الشك ، واذا نحن قسنا المصريين بمقاييس  
عصرهم !فيناهم أقل قسوة من غيرهم ثم هم كانوا مشغوفين  
بالنظافة ) .

وهكذا كان الاسلام كالمسيحية فيه الكثير من مألوف مصر .  
لقد وجد الاسلام في مصر جوا مهيا . . . ولأمر ما تأصل الاسلام  
في مصر تأصيلا لم يبلغه في مكان آخر حتى ان مصر هي التي دافعت  
عنه في مواقعه الكبرى وقامت له فيها أقدم وأكبر جامعة اسلامية .  
التقوى الحقيقية عند مصر هي **الحب** . . . حب الله وحب المعنى  
. . . . . وحب الانسان . . . . . وحب الحيوان . . . . . وحب الاشياء .

ان التعاطف مع الانسان والحيوان والاشياء المبتوثة صورة  
ورسومه في لوحاتهم رمزا للطيبة والودادة التي تصادق كل شيء ،  
رمز ايمانهم بوحدة الوجود قبل الفلاسفة والمتصوفة وأصحاب  
النظريات لا باعتبارها عرفا واصطلاحا ، بل باعتبارها كما يقول  
الأستاذ حامد سعيد ، موقفا تجاه الحياة تتحقق فيه قيم ومشاعر  
الرواقية والمسيحية والصوفية والبطولات النفسية دون أن تكون  
واحدة من هؤلاء بالذات ) .

التقوى الحقيقية عند مصر تتمثل في . . **الفن** . حين جسيمت  
عقائدها في الروح والبعث والخلود أهرامات ومعابد ونقوشا وهكذا  
كان الفن عند مصر مدخلا الى الدين حين يفهم عباد النصوص من  
للدين معنى الخوف من العقاب والرغبة من الحساب والفرح من  
النار . . . وقمة التمسك بالدين في رأيهم هو التعصب له !!

وفي الفن المصرى تعانق الاسلام والمسيحية لانهما معا  
ينبعان من الفن المصرى القديم . وفي مكتبة جوثا كما يقول الدكتور  
عبد العزيز مرزوق في كتابه ( الفن المصرى الاسلامى ) « في مدينة  
ميونخ رق يتضمن صفحة من القرآن بها زخارف بسيطة وأشرطة

تفصل بين السور بعضها وبعض تتضمن زخارف هندسية متأثرة  
بالفن القبطى الى حد بعيد . »

ان جلود الكتب فى العصر الاسلامى انما يحدد تاريخها الكتابة  
القبطية الموجودة على اوراق البردى المستعملة فيها .

وليس البردى وحده او زخرفة الكتب ، بل ان التقاليد القبطية  
فى زخرفة الخشب استمرت سائدة بعد الفتح العربى . . ويضم  
المتحف الاسلامى الكثير مما يجمع بين الزخارف القبطية والكتابة  
العربية .

يذا يشهد المسلمون . . . وبروعة الزخرفة الاسلامية يشهد  
المسيحيون ، فالاستاذ بشر فارس فى كتابه القيم ( سر الزخرفة  
الاسلامية ) يقول ( ما احسبك تلقى ملة كبيرة تحضرت فأنست  
باللطيف والدقيق من العمران ، تسلم سكناها لأسرار دينها :  
وتوثق اشاراتها بأحكام مفروضة ، فوق ما أسلمت الملة الاسلامية  
وأوثقت ) .

ومضى يفسر الزخرفة الاسلامية مستلهما روح الاسلام بما يشهد  
بتفوقه فيه كبار الفنانين المسلمين .

لقد استعان العرب بقبط مصر ، خارجها أيضا فاستعان بهم  
الوليد فى بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى وقصر أمير المؤمنين ،  
ويضيف « البلاذرى » فى فتوح البلدان مسجد المدينة فيما أعانوا  
عليه . وكان الوليد يترسم خطا أسلافه الذين استعانوا بأقباط  
مصر فى إعادة بناء الكعبة قبل الاسلام . . وكان مصر منذ بنى  
ابراهيم واسماعيل بن « هاجر » المصرية ، الكعبة آلت على نفسها  
أن يكون البناء على يديها فعادت الى بناء الكعبة أيام الظاهر  
بيبرس ، وفى العهد العثمانى ، وفى عهد محمد على .

ان أقباط مصر هم الذين بنوا أول محراب مجوف في الاسلام على مثال من حنية الكنيسة كما تأثر بفن مصر المسيحية في الزخرفة والبناء قصر المشتى في شرق الأردن الذى يلجح السدير الابيض والدير الأحمر بسوهاج . ومن عطاء مصر للفن الاسلامى بعمد المحراب : المئذنة والقباب . جاء في كتاب فن مصر خلال العصور :

( ان فنار الاسكندرية الذى بهر الغرب عند فتح مصر ، هو الأصل الفنى للمئذنة ) .

ان السموق الذى يزهو به النخيل المصرى ، يتمثل فى عمود المعبد والكنيسة ومئذنة المسجد معا وكأنه شوق الى أعلى وتوقا الى فوق .

\*\*\*

لقد نهض المصريون أقباطا ومسلمين فى العصر الفاطمى — وهو العصر الذى يعتبره المؤرخون نقطة تحول فى تاريخ مصر من الناحية الدينية — بالفن الاسلامى المصرى نهضة فيها من احساس مصر ووجدانها وذوقها الحضارى ما أضفى على فن مصر الاسلامية طابعا مميزا . وشخصية فذة حتى أن بعض آثاره كمشهد الامام الشافعى يعد كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق منعدم النظر فى مصر بل وفى العالم الاسلامى أجمع .

ومن هذا المستوى مدرسة السلطان حسن التى أشاد بها الرحالة من شرقيين وغربيين وفى مقدمتهم المقرئى .

يقول الأستاذ محمد شفيق غريال فى كتابه ( تكوين مصر ) ، ( ان طرائق الفن القبطى وأساليبه كانت عاملا من العوامل المؤثرة فى فنون مصر الاسلامية وصناعاتها وهذا دليل آخر على أهمية العنصر المسيحى فى تكوين مصر ) .

**لقد تعانق الاسلام والمسيحية حتى فى علوم اللغة والدين .**



فمن ( ورش )، المصرى القبطى الذائع الشهرة فى علم القراءات  
أخذ علماء المغرب عن تلميذه ( أبى يعقوب ) الأزرق بن عمر بن  
يسار المصرى .

ومن رجال مصر من الأقباط الذين أسهموا فى التأليف فى علوم  
العربية وآدابها :

سعيد بن بطريق ، وبنو العسال وجرجس بن العميد المعروف  
بابن المكين صاحب كتاب ( تاريخ المسلمين ) والمفضل بن أبى  
الفضائل صاحب ( نهج السديد والدر الغريد فيما بعد تاريخ ابن  
العميد ) .

وبطرس أبو شاكز ويعرف بابن الراهب .

وابن كبر وهو شمس الرياسة أبو البركات .

وأُسعد بن مماتى الشاعر الأديب صاحب الحظوة فى الدولة  
الأيوبية .

ان مصر لم تعرف الفتن الأهلية الدموية كالتى وقعت فى إنجلترا فى عهد  
تشارلس الأول وانتهت بقتله ، والتى وقعت فى فرنسا فى عهد لويس  
السادس عشر ولم تنته بقتله فقط بل اشتدظمؤها للدماء فاستباححت  
الثورة عليه ، القتل ، حتى أتت على أصحابها أنفسهم . وما تخلل  
هذا كله من مآسٍ فصلها الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه ( ديوان  
التحقيق والمحاکمات الكبرى ) .

لم تعرف مصر الحروب التى دارت بين المدن اليونانية . ولم تعرف  
مصر محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق وما وقع فى أسبانيا من  
الأحداث الدامية بسبب التعصب الدينى من أناس يدينون بدين  
الرحمة والمحبة والخير .

أن من يقرأ محاكمة الليدى جان جراى ملكة انجلترا يتبين أن الدافع القوى على اعدامها هو كونها بروتستنتية حين كانت الملكة مارى تيودور التى حاكمتها كاثوليكية !! . أما التعلات الأخرى فمارى تعلم جيدا أن جان جراى ذات السبعة عشر ربيعا لا يد لها فيها ولا مطمع لها ، كان ، فى العرش .

**لقد عرفت مصر حياة التدين ، ولكنها لم تعرف التعصب فى الدين أو الضغن بسببه** فسلم الدين فيها كما يقول الأستاذ العقاد — فى كتابه عن ( سعد زغلول ) — ( من لثة العصبية العمياء وقسوة الهمجية الرعناء وسلم تاريخ مصر كله من المذابح الطائفية إلا أن يتسلل اليها من طائفة غريبة أو نحلة دخيلة ) .

حدث فى القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والنحل واشتد الخلاف بينها فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق بين المذاهب الأربعة .

وإذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصريا فقط فى هذا الشاهد فانا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى ( هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرائى ، وهو أصيل فى الفقه فضلا عن كونه صوفيا من الطراز الأول . وقد حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا .. ) .

لم تعرف مصر التفرقة حتى فى الخصومة ... لقد كان جيش سيسى الأول يتكون من ثلاث فرق .. فرقة ( آمون ) وفرقة ( بتاح ) وفرقة ( رع ) فلما جاء رمسيس الثانى أضاف اليها فرقة ( ست ) . وفى هذه الاضافة دلالة بعيدة المدى ( مست ) هو الذى قتل أخاه اوزوريس ) معبود مصر الذى يرمز الى النيل والخير والخصب ولكن

عند الخطر تذوب الخصومات ، ويشترك ( ست ) في السدفاع عن  
الوادي بل أكثر من هذا هناك على جدران المعابد صور تجمع  
بين ايزيس نفسها وبين ست يرفعان معا شيئا واحدا . II

يقول الأستاذ العقاد ( ينقض التاريخ كل ما يقال عن التفرقة  
بين عناصر الوطنية المصرية .. فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين  
والمسيحيين سواء في تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء  
وهؤلاء في الاصلية والتقدم عند الانتساب الى هذه البلاد ) .

ويقول الدكتور سليمان حزين في بحثه عن ( سكان مصر  
ودراسة تاريخهم الجنسي أن الطابع الجنسي العام للمصريين  
قد وحدا واتخذ صورته المميزة قبل أن يكون هناك أقباط ومسلمون .

رحم الله الشاعر ولى الدين يكن حين قال :

ابنى المسيح واحمد انتبهوا	ودعوا رجالا منكم هجعوا
أرواحكم من بعضها قطع	وجسومكم من بعضها بضع
لاتحسبن خلافكم ورعا	ان اثتلافكم هو الورع

\*\*\*

وبعد المفاهيم الثابتة نأتى الى مفاهيم بل قسيم شريفة في  
حياتنا ولكننا أخطأنا فهمها ، فأخطأنا بدوره ما فيها من اضافة  
وفراء ....

اول هذه القيم الرفيعة : الدين .

# الدين

الدين أى عبارة الداخل ولا أقصد بالدين حرفية النصومي والطقوس فالدين ليس تسليما ذهنيا انها الدين بيدن الحياه .... أسلوب حياة .. موقف ديني يفسره أسلوب السلوك .

الدين كما يقول بتراند رسل وهو فى نظر الكثيرين ، خارج على الدين ، كلمة لها معانى كثيرة وتاريخ طويل .. ومن الناس متدينون دون أن يكون فى طبيعتهم أى شئ يستحق أن يسمى ديناً فهم خليو البال من التاريخ أو الخبرة الانسانية التى تجعل للطقوس منهم قيمة .

ان الناس يصدرون فى أعمالهم عن أصول ثلاثة متقاربة وأن كانت متميزة : الغريزة ، العقل ، الروح .

وحياة الروح بين الثلاثة هى التى تصنع الدين .

وما يتبع حياة الروح ، الاحترام والعبادة والامتنان للبشرية والدينونة لها ... وأعمق من هذا، يستكن الاحساس بسر لا نعلم غير شطرنجه .. سر حكمة مبهم ومجذخاف لرؤية متغيرة الصورة تنقد فيها الأشياء أهميتها الثابتة حتى لتصبح قناعاً رقيقاً نرى خلفه الحقيقة القصوى لهذا العالم ... فمصدر الدين أمثال هذه المشاعر التى لو قدر لها أن تتلاشى ، لتلاشى من الحياة خمد ما فيها ...

لقد قاست الروح من الجمع بينها وبين الدين التقليدى  
ومن عداوتها لانكار الذات أى السلبية التى يتهم بها الجاهل ،  
المسيحية : لأن الروح تقدر الذات وترفعها وتعيد بناءها .

حياة الروح يقينية بقدر ما هى قادرة على اغناء الوجود الفردى  
... انها تمنح بهجة الرؤية .

ان سمة القداسة الفرح .

البشر ايفاس .. شعاع من الرحمة .. عطاء من الحب ..  
خصب حتى ليقول الشاعر البسيط :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى  
ولكنما وجه الكريم خصيب

ولامر ما سميت الانسانية ، بشرية

والى البشر نسب الله نجاح الدعوة الاسلامية ( ولو كنت قظا  
غليظ القلب لانفضوا من حولك ) .

ولهذا كان اقصى وأقصى عتاب للرسول الكريم الآية ( عبس  
وتولى ) .

هل جرينا مرة أن نرسم قرن الخروف مثلا ؟ وأن نرسم المحارة ؟  
وهل لاحظنا الشبه بينهما ؟ ان الجزء الأعلى من المحارة يشبه  
القرن ولكن الفرق ان القرن فى حركته المنحنية يعتمر نفسه من  
العذاب ثم لا يزيد فظل جزءا من حيوان . حين تجتاز المحارة  
مرحلة العذاب الـ *twisting* هذه وتنتفح على البحر ... البحر  
الكبير الواسع فاحتوت أعلى ما فيه ... اللؤلؤ ... وصارت هى  
وما تحتويه متعة وزينة و ثراء كبير ...

فليس من الدين اذن الكآبة أو الدروشة ، والمخرقة ، والعجز .  
والحرمان .

ان الروح تحرر أولئك الذين يثابرون عليها من سجن العاطفة الشخصية التي تعكف على الاهتيمات الدنيا .  
هذه الرؤية تمنح الحرية والجمال والحب لأفكار الانسان ولعلاقته مع الآخرين .

انها تهيب الحلول بشروطها  
انها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة  
وترد الشارد الى مكانه من حياة الانسان  
ان السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا الى هذه الدنيا الا عن طريق الروح .

لقد كان « نيتشه » غريزة قوية وعقلا جبارا . ولكنه افتقد لمسة الروح،فقضى سنه العشرة الأخيرة في مستشفى الأمراض العصبية .  
ان مشكلة فلسطين لا تحتاج الى ذكاء يدرك عدالتها ومع هذا هي مشغلة الأذكىاء من أقطاب العصر لانهم أذكىء العقل لا القلب والروح .

يتساءل « اقبال » هل الدين أمر ممكن ؟

في رأيه أن الدين تجربة . . . سعى صادق صحيح يمحى مستوى الانسان . انه تجربة ، كالعلم سواء بسواء ، في محاولة كشف الذات بوصفها فردا، أعبق من نفس الفرد العادي القابلة للوصف التصوري .

واذا نظرنا في كتاب The View of Life الذي ألفه رادها كريشنا والرجل من أصحاب النظرة البانورامية الى الثقافة البشرية، وجدناه يعرف الدين بأنه أمر داخلي وشخصي يوجد رابطا كل القيم

وينظما عضويا لكل الخبرات .. انه استجابة ( كل ) الانسان  
( لكل ) الحقيقة .

فليس الدين الرؤية الخلقية فحسب .

وليس الدين الرؤية الصوفية فحسب .

وليس الدين شكلا من أشكال المعرفة كما يقول هيجل ، والدين  
ليس مجرد ظاهرة اجتماعية .

عرف وايتهد وهو أستاذ برتراند رسل ، الدين ، بأنه أمر  
توحدى فإذا لم تتوحد على الإطلاق فلنست متدينا على الإطلاق .  
فالدين هو وعى الانسان بفرديته .. بقيمته الانسانية  
الشخصية ...

هذه نظرة الهند الى الدين .

أما الصين فتقول بالتاو .

والتاو عند الصين يستحضر فى الضمير ويتوحد معه . وهو صفاء  
ونقاء ينبع عنه الانسان الطيب الفاضل .

وكما تتطلب التجربة العلمية التجرد من العواطف الشخصية  
لتحقيق الموضوعية ، فان التجربة الدينية تتطلب صفاء النفس  
لتحقيق الرؤية البعيدة التى تتكشف الحقيقة .

يقول لاوزا ( ٤٠٠ سنة ق.م ) حكيم الصين و ( لكل قوم هاد ) :  
( قبل ان تخلق السماء والارض ، كان شيئا بلا صورة ولكنه  
كامل .. صامت .. خلاء .. لذاته كفاء .. لا يتغير .. قادر على  
التحرك فى كل اتجاه ولا ينفد .

انه أم أو أصل لكل ما تحت السماء أو على الأرض .

نحن لا نعرف كيف نصفه .  
كيف نسميه على وجه التحقيق .  
ولكى نكتب عنه نسميه ( التاو ) .  
وإذا كان لابد من وصفه فنقول الأكبر والاسمى يَفْذَى كل  
الأشياء ولا يتعالى .  
غنى عن الجميع .  
ولما كانت كل الأشياء له بلا ادعاء فهو الأكبر لا يستدعى  
وتأتى إليه الأشياء تلقائياً ) .  
وحكمة الصين حكمة بلد الخزف الذى أخذ اسمها فى كل مكان  
وبلد «صينى» . حكمة قوامها الماء والآناء . . . الآناء الذى تقول  
عنه الصين انه ( لولا الفضاء من الهواء داخله لما انتفع به  
الإنسان ) إشارة الى التجرد من الأهواء الشخصية .  
أما الماء فيتمثل حبها له فى لمسة الريشة للحرين .  
ولسة الخزاف للآناء .  
ومن حبها الماء تنحدر حكمتها مترققة تقول ( كن كالماء تنزلاً  
من السماء لتستقر فى منخفض بئر أو مجرى ماء ) فى محاولة للحث  
على التواضع .  
هل خرجت هذه النظريات كلها والأقوال جميعها فى مضمونها  
عن معنى الخير ؟  
ليست المسيحية يوم الأحد ولا الإسلام يوم الجمعة . . . الدين  
قيمة يحققها المتدين فى حياته . . . يظلم المسيحية من ينسب اليها  
ذلك الذى ألقى قنبلة على هروشيما . وهنا نفهم سر تفريق



الغزالي بقلبه الرهيف بين العلم بالقيمة قبل الاتصاف وبعد الاتصاف  
أى عن معاناة ذاتية وخبرة داخلية وهو يتصد الاتصاف بالصدق .  
اننا نهوى أن نتكلم عن الأديان في قضاياها العقلانية .. مثلا :  
واحد أم ثلاثة أقانيم ! لنُدع هذا فان عز المسيحية في موعظة  
الجبل . هلا قرأنا الى جانب القرآن الكريم ، انجيل متى خاصة  
الاصحاح الخامس والسادس ...

ان التدين الخارجى .. تدين الطقوس كالثقافة الآن ...  
حلية ... مكتبة . لكن ماذا دخل من هذه المكتبة في كيان صاحبها  
والى اى مدى وصل به الى ذرى القيمة .. الى الأفق الاسنى  
والاسى .

احتاج أحد الصحابة عملية كى مؤلمة في موضع من جسمه  
وكان يتهيأ . فأشار أحدهم متهللاً كى وجد الحل ، بأن يتم الكى  
وهو ساجد يصلّى حتى لا يشعر به .

قد تكون القصة رمزية كما أرجح ، ولكن تبقى دلالتها وهى

#### • الاستغراق

ليس من الصلاة اذن الجهر والصياح والتظاهر بالتتوى رثاء  
الناس واشتهاء المدح .

كان الحكيم المصرى امينوموبى يقول :

( صل من قلب مبتهج تظل فيه كل الكلمات مختفية فهو يصنع  
ما أنت في حاجة اليه ) .

الصلاة صلة ... خلوص .. خشوع .. استغراق كامل ..  
كم من المصلين الآن يقفون على عتبة هذا الاستغراق ؟

والوقت هو تحضير النفس للوقوف بين يدى الله ... وهو  
أبعد من النظافة الظاهرة على قبيتها ... انه تطهير للحواس  
كلها مما تكون قد أنته من مشاهدة الباطل ، أو قول الزور ، أو

مس المحرم ... انه غسل للنفس كلها قبل الوجه أو اليدين الى المرفقين .

ان قيمة محمد ليس في انه كان ناجحا بالميزان الأمريكى اى تاجرا كاسباً ، ومتزوجا من سيدة ثرية ( ستع ) ومحبوبا في مجتمعه ، ولكن قيمته انه بعد هذا اختار المطلب الشاق ، البحث عن الحقيقة ... فتعبد في غار حراء .. عزلة للتصفية والرؤية .. سياحة في داخل النفس ...

ان خلوده الى غار حراء من أجل الحقيقة يعلمنا أهمية العزلة الى جانب أهمية الاتيكيت في المجتمع .. لعلنا ان لم نصل الى الحقيقة فلا نل من أن نشاركها .

الحقيقة رؤية عندما يتطلع اليها الانسان يعطى عطائه ...  
مالفنان يبدع الرائعة الفنية ، والفيلسوف يضع النظام الفلسفى ، والعالم يضع النظرية ، والحقيقة ذاتها من الكثرة والوفرة بحيث تعبر الفلسفة والعلم والفن والقصة والمسرحية وسائر الألوان ثم يبقى منها غزير لا يدركه الادراك .

وهنا ندرك قول اينشتين بأهمية الخيال .. فالخيال شوق الى الحقيقة . وبالطبع أقصد خيال الرؤى لا خيال التوهيمات .

وتد انتشر الاسلام بالخيال الذى هو ايقاظ النفس الى الحقيقة .. الى الجوهر ...

( أينما تولوا فثم وجه الله ) .

فرؤية القرآن لله ، رؤية محيطه . ان القرآن الكريم حافل بالصور ولكنها ليست للتصوير الحسى ... انها رؤى ممتدة . يقول الله تعالى : ( كلمة طيبة كشجرة طيبة ) كيف تصور هذه الآية ؟

وقبل العلوم والفنون كان حوار رائع بين الانسان والحقيقة..  
تتغير وسائل البحث ويكون بينها ما بين منطق العلم .. والخرافة.  
ولكنها كلها تسعى الى الحقيقة بأسلوبها .

والاسلام رؤية جديدة للحقيقة ، فحين تستحضر المسيحية ملكوت  
الله في القلب البشرى ، يستحضر الاسلام ملكوت الله في داخل  
النفس وخارجها وما وراء المحسوس . وحين تمثل الفن الاسلامى  
هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة وللحيوية .

ان التوحيد ليس شهادة ببقاوية كما يفعل كثير من المسلمين .  
ولكن التوحيد ذروة من الادراك الوجدانى والذهنى ، فهو فى العلم  
اجماع وتوثيق ... وهو فى الصحة النفسية يعنى تكامل الشخصية  
... وهو فى السياسة يعنى أن الكل فى واحد .. وهو عند  
الشعراء والفنانيين والمتصوفة يعنى وحدة العمل الفنى .  
ان الوحدة علامة القيمة .

وقد حقق الفن الاسلامى الوحدة فى تنوع ... كما أن روائع  
بصر القديمة شاهدة على التوحيد والتنزيه ولكنه تفكير الخاصة  
كأخناتون والفنانيين وهذا يدل على أن الاسلام دين الفطرة  
السليمة فى كل زمان ومكان .

الاسلام دين الفطرة ... فالفطرة السليمة تهتدى اليه بلا  
نصوص كما فعل حى بن يقظان ... لقد شرح ابن طفيل المسألة  
عقلانيا ولكن التجربة الدينية التى أريدها ، بصيرة ... انفتاح  
لا يعادى العقل ولكنه أبعد منه مدى ... انفتاح يرى الخلد لا يعنى  
استمرار الزمن ولكنه يعنى ما وراء الزمن .

الصلاة صلة بين الله والانسان وهى فى الاسلام تطهير للذات  
وانفتاح بها للنور... ورفع اليقين فى الصلاة استشراف الى العالى .

الى السامى فى عملية مجاهدة وخلوص ... وهذا يفسر  
الآية الكريمة :

( الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) لماذا ؟  
بفضل هذا النور .

ومن توفيقات العامية انها تسمى negative الصورة  
( عفرية ) لانها سوداء معتمة . والشيطان او العفرية هو عكس  
الله نور النور .

يقول كارليل Karlile فى كتابه ( الأبطال ) لو لم يكن محمد  
فيه ( حقة ) صدق لما استطاع دينه ان يعطى هذه الحضارة  
كلها ...

ولكننا بمواضع عصرنا وواقع سلوكنا بعيدون عن التوحيد  
... كل منا له هوى وكل منا يتخذ الهاه هواه وهى وثنية ..  
الجاه وثن .. والوظيفة وثن .. والهوى وثن ... والشهرة  
وثن ... والتعصب وثن ... ونحن نعيش فى هذه الأوثان على  
الرغم من الايمان حين يقول اندريه مالروا ... ان المستقبل  
للدين .

الدين جميعا .. فالدين خير كله ... لقد درس ألدز هكسلى  
فلسفات الهندو وبوذا ومصر ويونان والمسيحية والاسلام وخرج  
من هذا كله بأن الكل يلتقون عند وحدة الوجود كما يقول فى كتابه:  
Perennial Philosophy

ان الضلال هو عدم وجود معنى الوجود فى النفس ....

الدين حقيقة كبرى والحقيقة كالعروس ومهرها رياضة النفس  
النظير من الشوائب والاهتمامات الصغيرة فى حياة كل يوم ...  
فالله حين يقول عن القرآن الكريم ( لايمسه الا المطهرون ) لايقصد  
( اللبس ) ، ولكن يقصد اللمسة التى تشعل الروح وتسعد القلب  
وتفتح للنفس آفاقا بعباد ...

وهذه اللمسة لا تتحقق الا بالصفاء فيتكشف لصاحبها المكنون  
فماذا به قد أبصر بعد أن رأى . وما أبعد الفرق بين النظر  
والبصر . . . لقد انتظر الصينيون بوذا طويلا ليعظهم فلمّا أقبل  
عليهم رفع في يده زهرة ولكنهم رأوا ولم يبصروا ، اذ سالوه أن  
يعظهم ولكنه صمت صمتا نبيلًا كما يقول الانجليز

He mentain a noble silence

Sermon of the flower ويسمون هذه القصة

قال الله تعالى لموسى ( اخلع نعليك انك بالوادي المقدس  
طوى . . . ) انها دعوة الى نظافة الروح والبدن حتى يستطيع  
المرء أن يقترب من الرجات العليا .

فسر الرازي القرآن في ٣٠ جزءا . . وذات يوم رأى في المنام  
أنه دخل الجنة . وانه سئل اتعرف لماذا دخلت الجنة ؟ فقال على  
الفور كأن الأمر بديهي :

— لأننى فسرت القرآن .

فقال صاحب السؤال : لا ولكن لأنك صبرت على ناموسة  
وقفت على قلبك تشرب منه

وفي هذه دلالة كبيرة وعميقة . فان العطاء من أى حجم ولون  
أقرب الى الله من تفسير القرآن . . . والحرية أكبر من العطاء .  
هذا هو معنى الدين .

تسريح كفك برغوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

\*\*\*

كان أحمد بن حنبل يحدث ابنته كثيرا عن الامام الشافعى على  
انه الأمل المرجى والرجاء المأمول .

وذات يوم زار الشافعى ، الامام أحمد بن حنبل وبات عنده .  
فلم تنم الفتاة وأطل فضولها كله وفضول النساء من عينيها ترتب

حركات الشافعى وسكناته ... وبعد ساعتين قام أبوها من نومه وتوضأ وأخذ يصلى الليل كله .... ونظرت الفتاة الى الشافعى فوجدته نائما أو هكذا يبدو ...

وفي الصباح سأل أبوها ، ضيفه ، الشافعى :

— كيف قضيت ليلتك .

— على خير ما يقضى الليل ... لقد حللت وأنا مستلق على ظهري مائة مسألة مما يهم المسلمين .

هذا هو الدين فى قمته التى تعلو كثيرا على القيام والتعود ...

ان الذى يشغل كثيرين من المسلمين اليوم هو (نقض الوضوء)؛ مع ان هذه المشكلة الخطيرة يحلها كوب من الماء ... كوب واحد فقط يغسل به الوجه والكفان .. المكانان الظاهران والمعرضان لما يغسل من أجله .... والا فلماذا يغنى التيمم عن الوضوء أحيانا ؟ ان المسألة إعداد ذهنى .

دعنا الأستاذ لطفى السيد ، وكان وقتئذ وكيل نيابة المنيا ، الشيخ محمد عبده فى طريق عودته من الخرطوم ... وحشد له علماء المدينة تكريما له . فاذا بهم يشكون له من الشكوى من متاعبهم فى العمل أى فى الوعظ والارشاد . فلما سألهم الأستاذ الامام ، السبب ، قال قائلهم :

— اننا نزيد ونعيد للناس فى فرائض الوضوء دون جدوى ... بحثا نقول لهم ( يغسل الوجه من ملبت الشعر حتى أسفل الذقن ، ومن شحمة الاذن اليسرى حتى شحمة الاذن اليمنى ....

ولم يدعه الشيخ محمد عبده يمضى فى الكلام اكثر من هذا .. وقال قولته المشهورة :

— يا فضيلة الشيخ .. كل واحد عارف وشه من غير مساح ..  
هندق للرجال حديدته في جبينه !!

\*\*\*

ان البربرية ليست اللون بل التحطيم وعدم الانتاج .

وحين قدس الدين العمل ، حنبا على الخطأ الذي يعنى « التجريب » . فليس من الدين الوعيد والتهديد بعذاب الآخرة في الخطب المنبرية المحفوظة أو المنقولة من الأوراق الصفراء البالية . فان هروينا الحاضر من المسئولية سببه تركيزنا على خطورة الخطأ عند الأطفال في المدارس ، وعند الكبار في المساجد .. كل خطأ عيب وخطر وجسيم . لماذا ؟ ان الخطأ طبيعى .. والتجارب والخبرات مجموعة أخطاء ... ولهذا فطفلنا عندما يكبر يخاف من المبادرة والعمل حتى لا يخطئ لانه طبع على جرم الخطأ ...

هل سمعت قول النبى ( ص ) ، ( من أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران ) . ما معنى هذا الا أن يكون قد عنى جواز خطأ التجريب والمحاولة والاجتهاد ؟

ليس لنا أن نخاف من الخطأ أو حتى الفشل . فما التجربة والخبرة الا مجموعة أخطاء سابقة تعلم منها أصحابها ، الصواب .  
وحين يعمل الانسان آمنا من الرهبت والخوف فانه يقبل على عمله في حماسة وفرحة .

وسعادة المرء في عمله ، الطريق الوحيد الى الانتقان .. كان يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

( عندما أسمع دقة الازميل حزينة ، أعرف أن هناك خطأ في العمل ، وعندما أسمع دقة الازميل سعيدة ، من سعادة العامل ، أعرف أن العمل مضبوط ) .

اننا اذا قرأنا كتاب ( بستان الرهبان ) التقينا بهذه العبارة  
( محبة التعبي عون عظيم ) ... هنا نسمع صوتا مصرية ...  
زرت يوما سقارة ومعى طفلى فنظرت الى نقوش المعابد  
وسألتنى :

لماذا كل هذا الفن فى القبور ؟ وكان جوابى فى اختصار :  
— انه حب الحياة لا الموت .

وحين زرنا معا معبد ميراروكا ، أخذت تهول بين الحجرات  
وتعد ببراءة ، حتى اذا فرغت من العد والاعادة سألتنى كالمأخوذة:  
— ان بالمعبد ثلاثة وثلاثين قاعة مملوءة بالنقش واللون ...  
هل تحتاج الجثة كل هذا المكان برؤاه وحلاه ؟ وصدقت ، ان المقبرة  
عندهم لا توحى بالحزن .. انها متحف للفن يسعد الرأى . وتؤكد  
اعتقادهم بوجود الروح .

ان الاحتفال بالعمل فى فرحة وغنائية ، ظاهرة يندر وجودها فى  
من آخر ... وحركات العمل على الجدران ليست من نثر الحياة  
بل هى من شعر المسرح أى « باليه » ...

ومن معجزات الحضارة المصرية أنها حققت هذا كله بأبسط  
الوسائل .. وهو درس يجب أن نعيه لتعلم معنى الإرادة ، والعزم،  
والطموح والاصرار ...

هذا هو الكفاح الذى نريد أن نطبع أولادنا على الايمان به  
ليتسلم الشعلة جيل أفضل ، يعيد كتابة التاريخ .



ان الاعلام يركز على القيمة الاقتصادية للعمل وينسى دائما  
القيمة الانسانية للعمل ... العمل المترع ببشرية العامل ...



أى حب صاحبه له ، لا العمل الذى تستطيع الآلة الاليكترونية  
أن تؤدى أضعافه ..

#### • ان الحضارة قيمة •

فالذى ينكلم أثناء العمل لا يعرف آداب العمل أو كرامته ..  
آداب العمل هو الخلوص له • والخلوص نقطة لا ترى ... نقطة  
تلاقى الكيان الانسانى بهذخوره ، مجبعا ، فى سن القلم أو الريشة  
عند ملاستها للصفحة أو اللوحة •

#### • هنا يكون العمل عطاء قلب ... وفيوض روح •

ان العمل الحديث لم يستأنس بعد ... انه يضفى على الانسان  
خيرات مادية ولكنه يسلبه انسانيته ... أى يحوله الى آلة •

لا استغناء عن الآلة •

لا اعود الى الوراء •

#### • ولكن ما نريده هو استئناس وتصحيح للآلة •

لقد قتلنا .. كما يقول هكسلى ، « الكرافت » أى الصنعة  
اليدوية ، أى فن توليد الحب •

اننا الآن نشيع اللاحب فى الحياة الحديثة أى « الآلية »  
الحاسيب الاليكترونى حين يحرر الانسان من الأعمال الصغيرة ،  
مقبول كما حررت المطبعة ، المؤلف ، من النسخ •

ولكن العتل الاليكترونى حين يلغى عمل الانسان أو يطغى عليه  
مرفوض • ان العمل ايمان •

ونحن حين نتهم الشهاب بقلة الايمان ، ننسى أن السبب أولا ،  
قلة العمل •

لماذا كانت حضارة مصر دينية ؟

لأنها عملت مذاقت حلاوة العمل فارتبطت بمعنى الكون .. ولهذا

تجد اشد الناس ايمانا ، الزارع ، حتى ولو كان أشدهم تخلفا  
او فقرا لأن الزارع يحنو على الأرض ويحنفها ويستولدها ....

\*\*\*

الدين يأمرنا بالنظر في ملكوت السماء والأرض في محاولة لقراءة  
الافكار ... افكار الناس أقصد وأفكار الأشياء ... ان الدنيا  
عالم شتى وليس عالم الانسان بأوحدها ... هناك عالم الحيوان  
وعالم الحشرات ... هناك عالم الأفلاك وعالم البحار لما مملكة  
النبات فعالم رائع له عقل كلى كما يقول اخوان الصفا .

حتى الفضاء ليس خلاء كما يبدو للعين المجردة .. انه حقل  
نشاط .. وهذا النشاط عندها نلقاه بحواسنا البشرية ، ييسر  
الوانا مختلفة ، ومرئيات ... فزرة السماء ليست فيها ، ولكن  
في عيننا بتركيبها ووظائفها وخلاياها .. تمها كما نقول ليس الألم  
في المطواة ولكن في حركتها من جسم الانسان ...

يقول الدكتور حامد جوهر في مجلة المجمع العلمى ، انه عصر  
البحار لا الفضاء . هبهم وصلوا الى الشمس فليس هذا الوصول  
أعماق الفضاء ...

انه كما تنبش دجاجة في الأرض وتحسب نيشها «بحثا جيولوجيا»

يقول الدكتور محمود خيرى على ان قطر الشمس يعادل ١١٠  
مرات قطر الأرض واذا ذكرنا طوله بالكيلومترات المعتادة فانه  
يبلغ مليوناً وأربعمائة ألف. وان حجم الشمس بالنسبة للأرض يبلغ  
مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف ( ١٣٠.٥٠٠ ) مرة .

وهنا نقول : ما هى أمريكا أو روسيا بالنسبة الى الأرض ؟  
ما هى الأرض كلها بالنسبة الى الشمس ؟  
ذرة من غبار في مدينة الشمس لو ان الشمس مدينة .

ثم ما هذا كله مجتمعاً ومتفرقاً بالنسبة الى الله ؟  
قتل الانسان ما اكفره . . . وما أجهله . . . هل أوتي من العلم  
ألا قليلاً . . . انه مارد اذا قيس بالميكروب الذى هو  $\frac{1}{1000}$  من  
المليمتر ولكن متى قيس الانسان أو حتى الاشياء بالحجم . . . ان  
المقياس ، القيمة .

ان عصرنا يتسابق فى محاولة اكتساب فضيلة علوم المادة أى  
الطبيعة والكيمياء فاكسب الفضائل والرزائل معا .

ان T. W. A لا تقاس بالطائر الصغير المهاجر الذى يطير  
مسافات شاسعة على جناحه الدقيق . . . هذا هو معجزة القوة . .

ان فضائل علوم الحياة ، الايمان بالقوة الأعظم .  
التي تعطى من الطين الوردية والعنبة .

التي تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل  
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .  
هذه وظيفة الثقافة

تضوء قيمة الدين وقيمة الحضارة  
ان المدنية كما يقول الاستاذ مريت غالى فى كتابه

Tradition for the Future تتطلب قبل كل شئ مجموعة من القيم ،  
والآلات لا تهت بصلة الى القيم . وما لم تكن المدنية عناية حقيقية  
يرفع وتحسين الانسان لا تحسين الادوات التى يستعملها فلا أمان  
ولا أطمئنان . . . .

\* \* \*

أعرف أن الانسان مولع بالخيلاء يزدهيه النجاح والمال  
والشهرة ولكنه حتى اذا كان غنيا ناجحا مشهورا ، ضعيف ضعيف

والقوة لله وحده .. والعزة لله وحده أما الإنسان فلن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً ... يقولون عن عصرنا هذا مره مصر العلم وتارة عصر الفضاء وطوراً عصر الذرة ... الخ ولكن ما أطلقه الإنسان في الفضاء وما اخترعه في الأرض ، صغير صغير إلى جانب ما لا يحصى من عجائب مخلوقات الله ... ان دقائق التكوين في الحشرات التي يعتبرها الإنسان أتفه الأشياء حتى ليستخدمها في غضبه اذا اختار ، السباب ، سلاحاً يشهره ! نسيء مذهب حقاً ..

علام الغرور اذن ؟ ليت الإنسان يرى أخوته في الإنسانية بهم تملىء بهم المستشفيات ليعرف قوته الحقيقية .

ليته ينظر إلى شجرة واحدة من ملايين الأشجار المنتشرة في الطبيعة ويتأمل روعة الخلق في كل ورقة منها وكل غصن ... ليته يسمع سيمفونية الألوان في روضة من الرياض أو موسيقى العبير ... ماذا يستطيع الإنسان ازاء هذا كله ؟ قصاره أن يقلد وقد يتقن التقليد حتى تبدو وروده الصناعية وكأنها طبيعية ولكنها تظل بعد هذا ينقصها النبض والرفيف والشذى ... تنقصها الحياة .. أى ينقصها كل شيء ...

ليت الإنسان يتأمل عالم النمل ... وعالم النحل ومواهب الصبر فيهما والتنظيم والاحكام ثم يصنع عالمه هو بها يليق بالفارق الهائل بين الإنسان وسائر المخلوقات .

ليته ينظر كما قال المسيح الى زهرة الحقل ، انها لا تغزل ولا تنسج ولكن سليمان بكل عظمته لا يبلغ جمالها .

ان الذى ينظر الى الناس نظرة سطحية قريبة يجد فيهم موضوعاً للتصنيف والتقسيم حسب الفروق التى تبدو لعدسته الصغيرة . ولكن أولئك الذين يرتقون الى قمة المعرفة ، يرون من فى السفح

أشباها اذ تدق الفروق حتى تكاد تتلاشى ... هل يفرق النيل بين  
أبناء الوادى ؟ هل تفرق الشمس بين الناس أو حتى الشجر ؟  
وكذلك البحر والليل ... وأهم من هذا كله ، الموت الذى لا يرحم  
القباب أو أذنابا ... الكل أمامه سواء من تبارى الطب فى انقاذه ،  
ومن لم يجد ثمن الدواء ...

ان الانسان الحر هو الانسان الموضوعى لا التابع .. وقد تكون  
التبعية لفكرة ثابتة أو متحركة .. وقد تكون التبعية لهوى يحجب  
الرؤية الكاملة .. وقد تكون التبعية لضيق النظرة فلا ترى الا الظاهر  
القريب ... حين تطوى النظرة البانورامية المسافات والابعاد  
والاعماق .

لماذا لا نعامل الفقير كما نعامل الامير ليشبب إبنائنا على  
التواضع من سحر القدوة ، لان الفقير قبل أن توزع الأقدار  
الثروات ، انسان له المشاعر نفسها وله قلب وله أعصاب ...  
له التكوين العضوى للانسان . فما يحبه الواجد من الاحترام  
والتقدير والمحبة ، هو نفسه ما يتمناه الفاقد .. لانه ، أيضا  
انسان .

ثم ماذا يعرف الناس عن الحياة ، وما قبل الحياة ، وما بعد  
الحياة ؟ هل أوتوا من العلم الا قليلا ؟ وحتى هذا القليل قابل للشك  
والنفى والاثبات والتعديل والتغير .

ولكن الانسان المزهو بنفسه يحلو له أن يتعالم ويدعى التبحر فى  
المعرفة ، ناسيا أن العلم وصل فى علمه الى أن عمر كوكب  
الارض ألفى مليون سنة ، وأن عمر البشرية من هذين الالفين انما  
هو المليون الاخير ، أى أن البشرية (وارد حديث) بلغة الموضة .  
ترى ماذا يعرف المزهو بعلمه عن هذا المليون بل الالفى مليون الاولى  
الا ليته يعرف ... لو عرف لادرك حجم الكثير الذى ينقصه .

وهنا يحضرنا تساؤل الاستاذ العقاد عن رأى أول فجر في سماء الكون لاح ! .

كم شروق لم نره ؟ كم أصائل كم من الزهور نبتت ؟  
ان الأرض ومن عليها وما عليها ليست الا كوكب في المجموعة الشمسية وليست الأرض بأكبرها ..

ان فى جسم انسان واحد آلاف الخلايا الحية ... هل استطاع الانسان أن يخلق خلية واحدة ؟

ان قيمة الانسان فيما يعطيه وفيما ينفع الناس منه ..  
أما بشرته ولون عينيه وفراة جسمه فأمثياء لا تدخل السرور الا على قلبه الفرد حين ينظر فى المرأة ....

وقد اكبرت الاديان ( العطاء ) .. عطاء القلب للحب ، وعطاء العقل للعلم ، وعطاء اليد للفقير ، وعطاء الوجه للضعيف ، وعطاء اللسان للتحية والتسليم والائناس والودادة .. حتى الكلمة الطيبة صدقة .

واذا آمنا بالعطاء فان أحق الضعفاء بحناننا المريض والفقير ..  
لقد بلغ الحنان على المريض ، بالحكيم المصرى امينوموبى ؛ أن قال ( كن مرضعا للمريض ) كم فى كلمة ( مرضع ) من أبعاد فيها من حذب وحنان ورحمة وعطاء وحب رعون .

اعرف أن الانسان من طبعه يضيق بالمريض فخدمته شاقة وقد يكون مرضه منفرا ، والاقتراب منه فى هذه الحالة ، عبء نفسى ..  
فأى ملائكية تلك التى تمنح مثل هذا الانسان ، لا الرعاية فحسب ، بل فيوضا من عطاء القلب والروح ؟

أما الفقير فهو انسان مجروح مهما بدا للعين سليما . فقد كان الاستاذ المازنى يقول : ( الفقر فى المال فقر فى كل شئ ) ..  
والانسان الطيب القاضل حقا هو الذى يوفر للفقير ، لا أقول

طعاما أو كساء ، بل يوفر له الكرامة والاحترام فلا يمتنعه أو  
يذله بالمن أو التظاهر بالعطاء ، ويوفر له حياة فلا يعوزة حتى  
يسأل .

ليتنا نترفق بالفقير فلا نلبس عطاءنا ثوب الحسنة المتفضلة  
بل نلبسه معنى الإهداء بوداده ورقته حتى تطيب نفسه بأخذه .

ليتنا نتجاوز عن دينه عندنا أو بعضه ... أو حتى نتجنب  
طريقه المعتاد ومجلسه حتى لا يشكل وجودنا نداء صامتا أو  
مسموعا يتقاضاه ...

ليتنا نعطي الانسان ونعطي الأشياء أيضا فلها روح تبادل  
وتتقبل ...

\* \* \*

هذا عطاء القلب .. أما عطاء العقل ففي شجاعته .

من محفوظاتي في المدرسة قول شوقي :

أجد الشجاعة في الجسوم كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا

وحين أراد شاعرنا أن يزيد الأمر وضوحا ضرب المثل :

سقراط أعطى الكأس وهي منية شفتي محب يشتهي التقييلا  
عرضوا الحياة عليه وهي ذليلة فأبى وأثر أن يموت نبهلا

ومن العجيب أنه ، بعد صدور الحكم عليه ، استمر يتحدث الى  
تلاميذه في .... الفلسفة ! لم يزايله هدوء نفسه ، ووثوق  
لهجته ... ونظر تلاميذه اليه ، والى الكأس أمامه مملوءة بالسم  
الزاعف تنتظره ليشر بها ، وقالوا :

— ألا تحضر نفسك ؟

فابتسم وقال : لقد عشت طول عمري أحضر نفسي لهذه  
اللحظة .. أي يموت فيلسوفنا !

أسلوب موت .

بل أسلوب حياة .

ولكى نحكم على شخصية ، نعرف أولا موقفها من الحياة والموت . فلا تتعاطفنا مغامرات مصاصى الدماء و جاز الحروب ، فهذه شجاعة الجسم التى قد تفوقها ، شجاعه يهلوانات السيرك الذين يخاطرون بحياتهم ، على الرغم من ابتسامتهم المرسومة ، حين يسيرون على الحبل أو السلك ، متعجلين يوم القيامة والمشي على الصراط .

ان الشجاعة شجاعة العقل حين ينصر الحق ، ويعلمن الراى، ويحارب الظلم ، فيقراط وجاليليو وذو النون والعز بن سلام والبويطى ، وقبل هؤلاء جميعا الانبياء ... ودعاة الحق ... هم الذين نسجوا من أيامهم خيانتا الفكرية والروحية ... خيانتنا الحقيقية ...

ولكن اعلان الراى غير التعصب للراى ..

ان التعصب للراى ، سذاجة .

ان الحقيقة لها أكثر من وجه فلماذا لا نريد رؤية الجوانب الأخرى للموضوع؟ قد تكون أقل ولكننا لن نضار مغالبا سنكسب جديدا ...

ليس من الدين أن نقطع الطريق اذن فى المناقشة على الآخرين بل ننصت جيدا ... وجادلهم بالتي هى احسن وليتنا نحتفظ بالصوت الخفيض الهادئ عند احتدام الجدل فانه أعمق أثرا وتأثيرا ، مستمعين الى الآية ( وأغضض من صوتك ) ... ان الجدل ليس الانتصار كما يفهم معظمنا لأننا ولدنا أزهرين قبل ان ينشأ الأزهر ، ولكن الجدل اختيار ... ان الذكى من يعرف



كيف يختار رأيه ثم كيف يطرحه .. ويبعث في نفسه ، شهوة الانتصار على الغير في مناقشة بنج بنجية تتقاذف الالفاظ فيها كما يتقاذف اللاعبون ، الكرة . فان قصاره في هذه الحالة أن يخلف في نفسه مرارة الهزيمة أمامه .... وما أغناه عن هذا النذير .. نعم فسوف يحفظها له ... وفي أى مناسبة تواتيه سينتقص من قدره ويهون من شأنه ليرد اعتباره أمام نفسه على الأقل .

المتدين والذكي لا يحترف الجدل فهواته خاسرون وانكسبوا .  
ان السمع نوع من الكرم .. انه استقبال رأى ، واستضافة فكر جديد ... فكر آخر ... ان حسن التلقى فن .

المتدين لا يتعصب للون ، ولا يتعصب للدين نفسه ، ولا يتعصب للوطن ... نتهمك بديننا ونقدس وطننا ولكن التقوى غير التعصب ، والوطنية غير انكار الآخرين فهم أيضا مثلنا يحبون أوطانهم فلا خدع اعظم الفضائل الانسانية تغدو كما يقول V. H. Auden أسوأ العيوب البشرية ...

( لا يجرمنكم شئان قوم على ألا تعدلوا ... عدلوا هو اقرب للتقوى )

( ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) .

أرايت ان الله يدنى منه أعمقنا ايها ، لا اشدنا جمالا ،  
أو انصعنا بياضا .

( المؤمنون اخوة ) .

الناس كلهم اخوة لأن الاسلام اعترف بهما سبقه من اديان وانبياء ... وهو اسلام من السلام . وحين عرف رسوله ، المسلم ، لم يربط حديثه من قريب أو بعيد بالطقوس ، بل قال ( المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ) وقال ( الدين حسن الخلق ) .

هذا هو الدين .

الدين ديانة في الخطاب ورفق ... هل من الدين ما حكاه  
الدكتور طه حسين في ، ( الأيام ) ، من أن شيخه ناداه ، وهو  
الطالب الضعيف الخائف من الامتحان ، ( أقدم يا أعمى ) ؟

في اللغة الانجليزية حوار بين كفيف ومبصر يصف له الثلج نزولا  
على رغبته قائلا :

انه أبيض كثوب الملائكة

خفيف كالفكرة

بطيء كما أقبل عينيك

... ..

هذه هي البلاغة الذكية ... فالوصف الذي يعتمد على الخيال  
والمعنويات يسر الكفيف ولا يخرجه لانه وصف يستوى فيه المبصر  
ومن أغلقت على النور نافذاته ... وصف لا يشعر بالحرمان ولا  
كذلك الذي يطعن به ....

\* \* \*

الدين جعل الأمر شورى فلا يستبد انسان برأيه .... ان منح  
الثقة لمن حولنا يشحذ طاقتهم لخدمتنا ... فليس من الرياسة أن  
ندس أنفنا في كل شيء كذلك التركي الذي كان يوما وزير أوقاف في  
مصر، فحتم على الوزارة أن تعرض عليه كل ورقة صغيرة أم كبيرة .  
فكان يكتب على كل ورقة مهما اختلف الموضوع :

( يجرى اللازم حسب الأصول ) . ولم يقل يوما ، ماهو (اللازم)  
وما هي ( الأصول ) ! مجرد تحكم .

ان الرياسة شكل تنظيمي ولهذا يقول النبي ( من ) ( اذا كنتم

ثلاثة أمروا واحدا منكم ) وهو يعنى التنظيم لإ الأمر . والنبي يعنى بهذا ، أن الرئاسة اختيار لا تعيين .

دين وذكاء أن يكون الانسان مرنا متفهما رحب الاثق كبير القلب  
رقيق الحاشية يحترمه الجميع عن حب لا عن رهبة ... كان  
الشاعر الانجليزى كيتس يقول : ( الشاعر لا شخصية له . فانا  
اذا كنت فى مجتمع أطفال ، فلبتنى طفولتهم فأصبح بينهم طفلا .  
واذا كنت فى مجتمع سيدات ، أكون سيدة . واذكنت بين أشجاره  
أكون شجرة ) .

لقد كان « كيتس » فى هذه العبارة على الاقل ، رقيقا متواضعا  
... فالذى قاله لا يعنى عدم الشخصية ولكنه يعنى العبقريّة  
بعينها . . ما يقوله هو الطفولة الخالدة سمة العظماء .  
فالانسان العظيم هو الذى يملك **قدرة الالتقاء مع الناس**  
والأشياء ...

ولكن هذا الالتقاء أو القدرة عليه لا تعنى المسيرة الشامة ...  
فأحيانا كثيرة لا يعنى اجماع الناس ، الصواب ... وهنا  
لا يتعاطفنا الاجماع .... لنمض فى طريق الحق . أقولها وأنا أعلم  
أن القابض على دينه كالقابض على الجمر ... قد يسخر الناس  
من المستمسك بالحق ، وقد يحاربونه ، ولكنه المنتصر فى النهاية ..  
وقد عاش سقراط خلال القرون ، ومات قضائيه وقاتلوه ...  
نستطيع أن ننقد ، ونقول أقسى المعانى دون أن نسيل جرحا ..  
كيف ؟ هذه قصة :

تفتت سيدة طفلا . وبعد سنوات رزقت اطفالا .. وبدا لها أن تحدد  
الموقف . فأخذت الجميع فى رحلة ، خارجا ، فى عملية شرح  
للنفس قصد بها الطفل المتبنى أولا ... وفى جو متهىء خلت  
بالطفل وقالت له :

— هل أستطيع أن أثبتك على سر غال ؟  
وأشرق وجه الطفل لهذا اللون من الايثار . ونرح بالثقة  
والمسئولية . وقال في حماس شديد : نعم .  
هنا : انت السيدة في هدوء وحنان وذكاء :

— اخوتك هؤلاء أعطاهم لى الله . وليس لى فضل فيهم ، أو فى  
اختيارهم . ولكننى اخترتك أنت من بين ألوف الأطفال ...  
وفهم الصغير كل شيء دون أن يدمى قلبه ... بل أكثر من هذا  
أنه غدا يعتز بدلالة الاختيار ....

الدين يعلمنا فن الصداقة حين يقول ( لا تستوى الحسنة ولا  
السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه  
ولى حميم )

دين وذكاء معنا أن نتفادى العداوة ما استطعنا ، فهى تخريب  
للنفس مهما كان الانسان على حق . ولأهون تخريب الخارج من  
تخريب الداخل ...

لنزرع الحب ونتعهدلبنمو ، ليس فى نفوس ابنائنا فحسب ، ولكن فى  
نفوس الناس أيضا . وليس هذا بالأمر الصعب . فان القلوب  
كثيرا ما يلين تنافرها بالكلمة الحلوة ، أو الهدية البسيطة ، أو  
السؤال العاطف ، أو الزيارة الحفية ، أو الدعوة الكريمة ، أو  
حسن الاستماع ، أو اطراء ذوق الواقف أمامنا اذا رأينا لذلك موصعا .  
... وكلها أمور بسيطة لا تكلفنا كثيرا ... وتكليفها على كل حال  
أرحم من العداوة ... اننا لانسع الناس بمالنا ولكن يسعهم منا  
حسن الخلق ...

أما اذا فرضت العداوة علينا فرضا فنقاوم ما استطعنا الغلو  
فيها والمغالاة ... ان الله حين قال باسم الله الرحمن الرحيم

فإنما هو تأكيد للرحمة . وكان من الممكن أن يقول الرحمن العظيم  
مثلا ، أو المفتقم الجبار ، ولكنه اختار الرحمة دون سائر أسمائه  
الحسنى ...

حتى القاسى يستحق الرحمة لأنه محروم من النور ... نور  
الحب ... القاسى ليس انسانا كاملا ... انه كسر انسان لانه  
موتور مشروخ ... داخله شيء مكسور ... انسان غير سليم ...  
لم يتكامل ذاتيا ...

وهل سنى الرحم الا من الرحمة ؟ فالرحمة أساس الاخوة  
والقربة ...

والرحمة والمودة أساس الزواج وزاد رحلة الحياة .  
انها رحمة أن يضاعف الاسلام الجزاء فى الحسنه ويقصره على  
المثل فى السيئة .

لقد كرم الله الانسان حين استهل القرآن الكريم بفاتحة تقتصر  
من دون الموضوعات الكبرى على ما بين الله والانسان ، متوجسا  
هذه العلاقة بالرحمة تظلل الانسان بالطمأنينة من لدن ( الرحمن  
الرحيم ) .

ما هو الفن ؟

انه رحمة ورقى وحب . وما أبلغ لغتنا الشعبية حين تسمى  
الصبى المبتدىء ( غشما ) ، لانه لم يكتسب بعد رفاة الاستاذية .  
كتب مارييت عن الفراغة ، أن عاملهم كان يقطع الحجر من الجبل  
( وكأنه يقطعه من جلده ) . وهى عبارة قد تمر عابرة عند القارئ  
العابر . ولكنها عند المتأمل مقياس على عدم الاستخفاف والهدر ...  
مقياس وشاهد عميق على الحضارة والرعاة والاحساس ..  
الاحساس بالقيمة .. والاحساس بالأشياء .. ومن  
هنا ننهم الآية ( قوارير من فضة قدرناها تقديرا ) .

لماذا تعد الأسرة أصلاً من أصول الحضارة كالزراعة ؟ لقد  
كسبت هذا الاعتبار بما يشيع فيها من رفق ورحمة ...  
ومنذ قديم قُدمت مصر ( الأسرة ) حين أحبت أوزوريس وإيزيس  
وابنهما حورس .

ان بداية الحضارة البيت ... البيت المبني على الرحمة ...  
وغاية الحضارة أن يكون العالم كله بيتاً .. والبيت بهذا لا يقتل  
عن المعبد والكنيسة والمسجد . ولكن **الحضارة الحديثة عدوان على  
البيت** بتلويث الجو بالدخان ، وتلويث الاطمنئنان بالقنبلة  
الذرية والنووية ....

الحضارة الحديثة خلقت مشاكل عملاقة ثم فشلت في خلق  
الانسان العملاق الذى يحل هذه المشاكل .. فهل ننتظر هذا  
الانسان من موطن الاديان في محاولة جادة مؤمنة لاعادة بناء  
شخصيتنا ؟

لنسمع صوتنا للعالم المتحضر في دعوة كبيرة مصرية لحماية  
الأسرة وتقاليدها ...

ان كل وسائل الحضارة الحديثة بقدر ما فيها من ترفيه واسعاد  
للانسان بقدر ما فيها من مضار ان لم يقف وراءها وعى كبير  
ناضج يميز الفروق بين خيرها وشرها . فان هذه المدنية ما زالت  
كما يقول الدكتور احمد زكى ( تجرية يمتحن بها أهلها ، كما  
يمتحن مقتبسوها . وان أهل الغرب في محنة منها ، بالذى تأتى  
به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ، لانها مدنية لم تبلغ بعد الغاية  
منها ، وبعض أهدافها قد تحققت ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق ...  
على أنها بعد هذا مدنية انسانية عالمية أساسها تحرير الفكر  
الانسانى من قيوده ، وغايتها رفاهة الانسان واسعاده ) .

وهكذا كما نرى المسألة مسألة تمييز بين الفروق دقيق .  
ان مهنتنا شاقة ومتشعبة .

ان النصوص الدينية تعاني من الحصانة المحوطة بها .

ذهب رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله في أمر  
أحلال هو أم حرام فأرشدته . . . ثم ذهب اليه مرة ثانية وثالثة  
وهو يجيبه . . ثم توالى سؤال الرجل للرسول عن الحلال والحرام .  
فقال بهلء حكمة أصحاب الرسالات كلمته الجامعة :

— استفت قلبك .

وهكذا نرى أن المسألة ليست الحلال والحرام، إنما هي كما يقول  
الشيخ شلتوت في تعريفه للمعروف : ( هو ما تعارفت عليه الفطر . . )  
وبالتالى فإن المنكر هو ما أنكرته الفطر . . .

واذا كان هذا هو رأى ذوى البصيرة من أصحاب الدين رسلا  
وعلماء فما بالنا فيما هو دون ذلك مما تواضع عليه الناس من  
عادات وتقاليد ، أو مما وضعوه من قوانين ؟

الإنسان هو سيد الموقف دائماً . . . بإيمانه واقتناعه وقيمه  
ومبادئه . . فكم من جرائم ارتكبت باسم الدين مرة وباسم الوطن  
تارة ، وباسم القانون طورا ، وباسم التقاليد حيناً آخر .

هل الذين عذبوا في محنة القول ( بخلق القرآن ) ومنهم رجلنا  
« ذو النون » الذى سيق الى ( المطيق ) فى بغداد . . هل هذا  
من الدين فى شيء ؟

هل من الدين أن يحمل « البويطى » فى غل الحديد ويطرح  
فى السجن مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يده الى عنقه ؟

هل من الدين ما اغترفه بعض البابوات فى القرون الوسطى من

تعذيب « غير المؤمنين » ؟ وهم أتباع رسول السلام والتسامح  
والرحمة الذى وصع فى قلبه حتى « الخاطئة » ؟

أما السياسة فبحر من الدماء صبت فيه الثورة الفرنسية  
وعهد الملكة ماري وهنرى الرابع فى انجلترا ... كما صبت فيه من  
قبل الدولة الأموية والعباسية الذى سمى أول خلفائها (السفاح) .

السياسة بحر من الدماء لعل أزكاها جميعا دم الشهيد ابن  
الشهيد ، الحسين بن على سبط الرسول .

ومن العادات والتقاليد الأخذبالتأثر فى الصعيد .. ومن العادات  
والتقاليد فى الهند دفن المرأة حية اذا مات عنها زوجها وكان من  
العادات قبل الاسلام وأد البنات فى الجزيرة العربية .

فلا نجعل للعادات والتقاليد سلطانا علينا بغير حدود ولا نجعل  
للقانون سلطانا علينا بغير مصلحة ظاهرة فيه لخير الناس ، فالذى  
وضعه انسان يخطئ ويصيب ... بل لانهج فى الدين وسيطا  
بيننا وبين الله ... لنتجه اليه هو .. نستوحيه وحده ... وليكن  
تديننا أملا فيه ، وعلمنا به ، وحبا لذاته أكبر كثيرا من الحلال  
والحرام ... حبا ينكر فيه الانسان ذاته فيغدو فى شفافية « ابن  
الفارض » الذى يقول :

( نفسى فداك عرفت أم لم تعرف ) .

\*\*\*

الدين سلام فى النفس وسلام مع الناس ... هو الهارموني  
الذى ينتظم الأشياء ويستقر فى أعماقها ...

هذا هو الدين .



# الفن

ومن الدين : الفن .

وهنا فى هذا المكان من الدنيا ... نشأ من قديم، الوعى الدينى وقام المعبد بفتونه كلها ... فن التشكيل وفن الرسم وفن التلوين . وكأن الفن أو هو كذلك ، تفسير للدين ومقدمة موسيقية له بما يوقظ الروح ويفتح القلب لتلقى رقائق المعانى لتطرح فى النفس وردا ... فالفن هو التقوى الحقيقية حين يفهم عباد النصوص من الدين معنى الخوف من العقاب والرهبنة من الحساب والفرع من النار .

ان الفن يعلم الصمت كتأمل العابد لان متذوقه يترشفه فى سكون واستغراق يسمع فيه صوت اللون ، ونبض الحركة ، وهفئة الفسمة وهى تحرك الغصن المرسوم . يسمع فيه المتذوق صوت نفسه الآتى من داخله والذى يغطيه صخب الكلام وضجيج الحياة .

ولأمر ما لا نجد على المعابد المصرية التى تمثل ذروة حضارة مصر فى عصور زهوها ، فمما مفتوحا حين كان خلق الفن وإبداعه يشغلهم عن الكلام، ويعبر عنهم بأفصح من الحروف والكلمات ...

ولعل السر في هذا أن صحراء مصر تعلم الصمت ... صمت التأمل ليعرف المصرى الواعى ذاته ... وينظم حيويتها ... وقد وعى القدماء هذا الدرس من الصحراء ... ولكننا اليوم نريد أن نهرب من ذاتنا فنهرج لعل الضجيج يريحنا من مسئولية معرفة الذات ولوازمها ، ومسئولية العمل معا ...

والفن الذى أقصده ليس ذلك الفن العرضى الذى يحيط الذات بوثارة من لذائذها وأحلامها كالف ليلة وليلة ، وإنما هو الفن الخالد الذى يحيط الذات بأفراح وسعادات بلا حدود لأنها وراء الحدود ... فن معراجى ترقى عليه النفس الى الآفاق العليا .

ان الفن تكريم الحياة بالقيمة .

لقد كان أفلاطون يقول أن الموسيقى منطق الخلق حين يتسقى مع الخالق . وهذا هو معنى الفن ... والتدين بتذوق الفن عبادة شغافة . وخير لنا أن نقرأ تفسير القرآن فى متحف الفن الإسلامى لا شرح المفسرين .

فرقائى الحفر فى الخشب أغنية للشجر .

والنافورة صلاة المياه للنور .

وعماره المساجد صلاة تشكيلية .

" مثال هذا جامع اللؤلؤة فى الهند المشبع بزهرية الأزهار حتى ليكاد يكون زهرة كونية كبيرة فيها أنس وإيناس وشذى ... فيه سكون وسكينة ورفعة .

وجامع برقوق فى القاهرة انه شعر من حجر ، خف وشف وعبر أبلغ تعبير .. وهو بالرحابة والثبات وإحساس الأمان الذى يعطيه ، أشبه بالمعبد المصرى .

ان المعمار الجليل فى المساجد تسبىح لله .

ان المسجد فى الهند استشفاف مجسد للمعبد الهندى ارق واجل  
بالخبرة المعقمة للاسلام بما هو خاتم الاديان .

كثيرا ما يكون التشكيل لغة ذات جرس وموسيقى واوزان . .  
الاسلام عبر عنه الفن الاسلامى والتصوف اما الادب فهو جاهلى  
حتى فى اسلاميته . . . الادب العربى لم يستطع - الا امثلة  
قليلة - ان يسلم . وحين استهدى الاسلام ، سجع !! فافسد  
السجع . ان الاديب الفارسى الاسلامى مسلم فعلا - هذا حين  
ملا الفرس الادب العربى بالبديع والمحسنات اللفظية على طريقهم  
فى نقش السجاد . . . . .

حتى اصحاب العربية المحدثين حين راموا التجديد والتحرر من  
القافية اتجهوا الى الغرب !

حتى الفكر الاسلامى وجد واحة وراحته عند المتصوفة . . . اما  
اللغة فهى عند ابن الفارض ونظرائه اجمل .

على ان التذوق الفنى فحسب هواية مترفين ولكن اكبر منه  
تحقيق حياة المشاهد من خلال الفن وترشيدها واضاءة ضميره  
واكتشاف حكمة لا توجد فى الكتب . . .

ان التلقين يقول ان معبد زوسر الذى صممه المهندس الفنان  
الطبيب الاديب امنتب يمر الدالف اليه بمر ضيق طويل ليخرج  
منه الى الرحابة الرحبة فى البناء وفى المكان . . . ولكن القراءة  
الواعية تقول ان الممر الضيق الصاعد يبطئ فى المعابد المصرية  
ممثلا مراشئ الصعود الى مملكة السماء كما يقول كابارت ، لون  
من الادب المعمارى . . . انه عملية تحضير للدخول . . . وتجبيح  
للنفس . . . ودعوة للصمت يفتح بعدها المكان قلبه وذراعيه .

واذ تبهر من فخامة البناء ، وإيقاع التناسب ، وبساطة  
الزخرف .

ينشرح الصدر ١٠١

وكان الزائر مسلم .

فالمر الضيق طريق الى ( المعرفة ) الواسعة و ( العلم ) .  
فأصبحت هنا فريضة لأن المعرفة كما يقول الصوفي أبو علي الدقاق ،  
توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون .  
وهذه هي أناة العمارة وأنسها في الفن المصرى .

ان الهندسة المجردة Geometry هي علم قياس الأرض . ولكن  
الهندسة المصرية القديمة ترتفع الى صفاء النفس ... عمارتها  
تتحول الى بستان بما فيها من نبض وخفق ودفق ومشاعر ، حتى  
المربع والمستطيل يحدوديتهما بينهما حوار ودى يربطهما بالكل بشكل  
كامل متنسق تمام الاتساق ... وهذا الاتساق في الفن المصرى  
لا ينبع الا من نفس متبلورة ذات ملكات . فان مناسبة الخطوط  
بعضها بعضا ، في رونق أخذ وإخراج متوافق يتطلب من المصمم كما  
يقول الدكتور العريان في كتابه ( مدخل الى الهندسة ) : « احساسا  
جماليا تغذيه بعض ملكات الفنون الجميلة والتطبيقية ليتكامل  
لعمله عناصر الابداع والفنية الى جوار عناصر الفائدة والنفع »

وهذا اللون من الاحساس الجمالى كان وراء الخطوط المصرية .  
فان الخط في التصوير المصرى مفعم طاقة . انه تصوير بالنور على  
الحجر ولهذا هو ملء بالرؤى . . ان الحجر المصرى محظوظ فلم  
المصرى بما فيه يرو حجر مثله من وجدان مترع بالحياة كالوجدان  
من رى .

ان العمل الفنى الرائع كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منمأة . عمل تحس أن صاحبه توضحاً قبل أن يزاوله وكأنه الاستجابة لدعوة امرأة فرعون ... حقاً انه قصر من الجنة .

ان السموق فى عمود المعبد ونخلة الحقل ومئذنة المسجد شوق الى أعلى وتوق الى فوق .

ان الرائعة الفنية خلاصة تجربة الوجدان البشرى فى عصر من العصور ... الوجدان المصفى المودع فى العمل الفنى وكأنه سيفونية بيتهوفن الخامسة .

والفنان رؤية جديدة للحقيقة يتفتح لها حوله وفى أعماق نفسه ان من توفيقات العرب تسميتهم صاحب القصيد « شاعرا » وهو تعريف للفنان الذى يستشعر القيمة .. ان كل فنان شاعر وأحسب لو عرفوا فى الجاهلية ألوانا غير فن القول لسموا الرسام شاعرا والموسيقى شاعرا ... أيضا ...

ومن توفيقات ابن البلد عندنا انه يصف الكلام الجميل بأنه ( يروق الدم) أو (يرد الروح) . وترويق الدم صحيح حتى طبياً . فعملية « الانشراح » والانتفاح على ما يعجب النفس أو الحس لها أثرها الملموس على الإنسان ... أما قوله « يرد الروح » فعبارة تنتمى بحس بعيد الى معجزة المسيح فى احياء الموتى وليس بلازب أو لازم أن يكون الأحياء فسيولوجيا ، بل أعتقد أنه معنوى كلمسة الرحمن حين يخلق من الطين انساناً .

وبهذا المعنى يجب أن نفهم المسيحية والاسلام .. انهما فى جوهرهما روح وفن . فالفن يشف الروح . وحين تغدو الروح شفة عفة تقترب من رحاب الدين .

وهنا يكون الفن مدخلا الى الدين .

ومن هنا نفهم أزمة الانسان المعاصر . فهذا الانسان عنيت  
التربية بذهنه دون وجدانه ، فعجز عن ايجاد المعادل المعنوي  
للتقدم العلمى .

ان البحث العلمى الحقيقى تجربة وتجرد . وعصرنا امتاز فى  
الاسلحة ومنها التليفون والبرق ... الخ ولكنه يفتقد القيمة التى  
تتركز فى الدين والفن والفضيلة .

ان مقياس النيل بالروضة جهاز علمى ولكنه امتزجت فيه القيمة  
الفنية بالعلم . وهذا هو الفرق بين العصر الوسيط والعصر  
الحاضر ...

ان الفن اليوم فى المنفى .. اذ ليس له فى المجتمع وظيفة  
أساسية . السائد اليوم هو فن الاعلان وفن الترفيه، بينما الحياة  
الاصيلة وثيقة الصلة بالفن تعطيه ويعطيها ... بينهما زواج  
تسعيد وانجاب رائع ...

لقد ربى وطننا الفن ... فن الحياة وفن الفن ووصل به فى باب  
التركيب الى أعلى درجات الغنى ... غنى القيمة ... ولكن  
حياتنا الفنية تصفق اليوم لفك الخط الفنى .

ان الانسان اذا حافظ على انسانيته فهو تلقائيا فنان ... ان  
الآلية .. الروتين .. العادة الميتة تقف بين الانسان والفنان ...  
الروتين أعدى أعداء الفنان كما يقول هربرت ريد .  
اليوم ، الفن هو النادر .

وفى مصر القديمة كان الفن هو القاعدة .

والفن، غير الفوضى والبهيمية بل الدقة الدقيقة ... ان الغول  
القاتل ان من ليس معنا فهو علينا ... هذا القول صادق فنياً، فماى

فضول أو لغو تعبيري ، يسعى الى العمل الفنى فلا يصل الى  
( النقاء ) الذى هو أمنية الابداع .. أما النسبية فهى حل رخيص .

ان الفنان باحث كأعمق ما يكون البحث وهو يسلك كل خطوات  
العلم والعالم .. كل خطوات الدين ... فبالفن ليس فهلة .

ان الصناعة وهى دون الفن ، بما هى ( وسيلة ) التحقيق ،  
تسبقها عملية تحضير وقد تكون غير واعية ... عملية جمع  
خبرات وتحليلها .

ان معدة الفنان فى عقله ... فى جهازه العصبى يلتقط ويتغذى  
ا ويتمثل وينمو ....

حتى الفنان الشعبى دارس فهو لم يولد خزاناً أو زججلاً، ولكنه  
سمع ووعى واختزن .. كان ( صبيا ) عفد ( معلم ) .

وهكذا نرى أن الفن موهبة وجهد وتحصيل وبحث وعطاء ...  
والمعنى فى الفن يستلزم نوعية الاداء .

والمتذوق الحقيقى هو الذى يعطى نفسه للأثر الفنى يستطيل  
معه ويستدير معه ويتأفق ويتراأس أى يصير أفقياً تارة ورأسياً  
تارة أخرى وفقاً لخطوط الفن .

ان فهم الأثر استماع للفنان . وارتباطنا بالاعمال الفنية كسب  
لقلوب أصحابها .. والانسان الحساس كالألة الموسيقية يبعث  
منها ، حتى الهواء العابر ، الانعام .. والرؤية الحقيقية للفن  
هى ابرة الجرامفون تلهم الاثر فتبعث النغم .

قلبى يدعو الله أن يهبنا نعمة البصيرة بقدر ما وهبنا نعمة  
البصر والعيون الجميلة .. فبالبصيرة نتذوق كل ما فى دنيانا من  
معان، لأن البصيرة قدرة على النفاذ الى عمق الاعماق ... قدرة  
على الحب .. على التعاطف ... المشاركة الوجدانية .. المسكن

الى وجود الآخرين ... ولهذا لا أعد الامتلاك من الحب في شيء ..  
ولكن الخروج من الجلد والامتزاج بجوهر الناس والأشياء هو  
الحب ... وهذا ما جعل الدزهكسلى في روايته **Bravely World**  
ينمى اختفاء الحس الانساني في الفن المعاصر فيخرج مشوهسا  
كأطفال أنابيب الاختبار الذين يحلم بهم العلم الحديث حين يرى  
الأمومة التي هي قمة الحب ، أعظم الحقائق التي تمس القلب  
البشري .

وهل سمي الرحم الا من الرحمة ؟

ان الرائعة الفنية هي خلاصة تجربة الوجدان البشري في عصر  
من العصور ... ذروة تكامل القيمة فيه .. خلاصة الوجدان  
المصفى المودع في العمل الفني .. وهذا السر المكنون لا تبوح به  
الرائعة الفنية الا للبصيرة ... وقد يستسر على البصر ...

وهكذا نرى أن الفن له عمل آخر غير الخبر .. غير الحكاية ...  
ان التاريخ لا غنى عنه حصيلة للتجربة البشرية، ولكن يستغنى  
عنه حين يبديء ويعيد في ظهور الملوك واختفائهم ونشوب المعارك  
والنصر الزائف فيها ...

ان التذوق والثقافة ( ادراك ) وراء التاريخ الذي هو وقائع ..  
ولهذا لم يتوقف عطاء مصر بموت آخر الفراعنة ...

كان الرازي يقول : الفن طويل والعمر قصير .

ولكن هذا القول خيال فردى . فان الفن اذا كان حلم جماعه،  
تواكبت الاجيال في عملية تحقيقه فان الاجيال لا تموت اذا مات  
صاحب الحلم .

لهذا نعرف العصر الفني بأنه رؤية معينة .. حلم معين ابتداء  
من الاشراق النفسى به الى ميلاد تحقيقه .



وهكذا نرى الثقافة الحقيقية التى لا تأتى من المدرسة ولا الجامعة ، ولكن من وجدان قادر على ادراك رهائف المعنى .

وليس معنى تركيزى على الفن اننى لا اعالى بالعلم ! فان الحياة لا تستقيم اذا اسلمت . زمامها للفن وحده أو العلم وحده ، أو الفلسفة وحدها . ولكنها تسلم ويترد مسارها الصحيح بمجموع هؤلاء ...

اننى حين انشد النفاذ الى عمق الفن فأتى فى الحقيقة اطمع أن ننفذ الى الأعماق فى كل شىء .. ومن هنا أرفض أسلوب المدرسة المصرية والعربية فى التلقين .. فقد يحجب المعلم ، المعنى البعيد ويقف حائلا دونه .. ومن يدرى فقد يقطع وجود المعلم ، الاتصال بين المعنى والمتذوق ...

يكفى المعلم أن يعطى المفتاح فحسب ... حتى الصورة الفوتوغرافية محكومة برؤية المصور نفسه ...

إن من التذوق ، كالحب .

**هل يدرس الحب ؟**

## الدين والفن في مفهوم مصر

ان دعوة الدين الى الاخاء يحتقها الفن حين يمنح الناس كما يقول ( سيدنى فنكلشتين ) وعيا بالنسيج الاعرض للمجتمع الذى يعدون هم جزءا منه ، ويبين لهم كيف أن مشكلاتهم انما يشاركون فيها الآخرون مشاركة تتم على مستوى عريض ، ومن ثم فانه يخلق شعورا بالقربى فيما بين الناس الذين لهم حياة ومشكلات مشتركة .

الاخاء الانسانى الذى يسعى الدين جاهدا الى توفيره في المجتمعات الانسانية عبر عنه الفن أجمل تعبير من خلال بتهوفن حين كان يصغى بقوة محاولا اختراق حجب الصمم الى سيمفونيته التاسعة التى ترتفع فيها أصوات المنشدين مترنمة بنشيد النصر ، مغدقا على الدنيا فيوضا من السعادة . وهو المتالم الذى ثكل اعز حاسة عنده . . . انه في هذا الموقف أقرب الى قلب الانسانية من قديس .

ان الفن وظائف بيولوجية واجتماعية لا يمكن التقليل من أهميتها ، كما يقول هيربرت ريد في تعريفه للفن حتى ( نيتشه ) ، وهو أحد ثلاثة جئى رأيهم على الفن — الآخران هما فرويد وماركس — جاء

عليه وقت كان يلوذ فيه بهوسيقى فاجنر ، وهنا ندرك قول توماس مونرو عن الموسيقى في كتاب ( التطور في الفنون ) انها لا تقل أهمية عن الفكر فانها بما تقتزن به من الايماءات وتعبيرات الوجه تصبح وسيلة للتعاطف الذي تفيض به نفوس المتحضرين أكثر مما تفيض به نفوس المتبريرين .

لقد ذكر الأستاذ العقاد في ( يومياته ) ان أفلاطون كان يقول :  
( ان تغيير أغاني أمة يضارع تغيير الشرائع فيها ) ..

ولعل من خير ما جاءت به الثورة الفرنسية هو اصرارها ، كما يقول : *Franco Benoit* فيما نقل عنه ارنولد هاوزر في ( الفن والمجتمع عبر التاريخ ) اصرارها على ( ألا يكون الفن مجرد زخرف يزين به البناء الاجتماعي ) بل « جزء من دعائم هذا البناء » ..  
وهذه الصلة بين الفرد والدين أدركتها مصر بما في داخلها من احساس عميق بالمقدس والجميل فأدخلت الموسيقى المعبد واشتركت الملكة نفرتاري نفسها بألة السيستروم .. وعن المعبد نبعت الموسيقى الكنائسية . وفي الاسلام موسقت مصر الدين حين استن منتدبو القراء في مصر تقليدا ( ألا يبدؤون قراءاتهم الا من البياتي وبه دائما يختتمون ) .

وبعد القرآن يأتي الأذان وقد أوضح عميل مصر فيه الشيخ البشري في ( قطوفه ) ..

يقول الدكتور بشر فارس في كتابه النافذ ( سر الزخرفة الاسلامية ) .

( على المؤمن أن يتوجه بكيانه الى الله ، فالله مصدر جذبته وغاية سعيه في آن واحد . . وفي القرآن ( والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ) البقره ١١٥ . وفيه أيضا ( ذلك خير

نُفخين بريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ) هذان معنيان لا يفتأ  
كتب الإسلام يردد هما ....

من هنا لدونة الزخرفة الاسلامية وقد آل بها المطاف بين يدي  
الإسلام ، أن عتقت من الواقعية الهلينية وخلصت من الصلابة  
العارسية . فلا مبتدا لها ولا منتهى ، وما يجوز لها أن تطمع في  
'حد منها' ، لأنها تسمى وراء الله الذي ( هو الاول والآخر )  
تحدد ٢ ... منه تبتدىء الاسباب واليه ننتهى المسببات .

وبعض اللدونة نرى « الوحدة » في الزخرفة الاسلامية دوارة  
نيرة وتارة متوترة ... وهى ، فى أكثر الحال ، تلتوى وقلما  
يحركها البهر ... ووجهتها ، أبدا ، ما لا حد له ، فهى ماضية  
ملا ملل ... وهيهات أن تبلغ ما تهدف اليه ، فشانها شأن ايقاع  
بشروح متقادا للصبر ..

وان كنت أرى مع الدكتور زكى حسن أن الوحدة فى الزخرفة  
الاسلامية تتوقف أحيانا عن المضى بعد أن زایلها الشعور بالخوف  
من الفراغ متأثرة بالفن الصينى .

ونعز الدكتور بشر فبارس أحسن بصعوبة التركيز فجنح الى  
'منطيق قللا' : ( ان التفاف المرق بوروده وأوراقه ، وكذلك  
تبساط السطوح يفتان فجأة أحيانا ، أو يتكسران حتما على  
محواجز ، عند أطراف الساحة التى تستقبل المنق . أترى يرضى  
الانفاف والاتبساط بهذه الهزيمة ؟ كلا ! أما العرق فلا تختتم  
مداه . وأما السطح فلا تلتحم أضلاعه ... بل كل يصل الى  
المدى المقدر له وهو فى دوران نشاطه : أما عند رأس انثناءه ،  
وأما فى قلب اشتباكة ، كأنها يتأهب لاستئناف الاندفاع ، فيدعوك  
فى أن تثب وراءه فى الخلاء ، لعلك ، من طريق التخييل تلاحق  
جولاته مدمته قسوة الواقع . . . . . تلك نشوة مشيت فى الخط  
سبكك لن أفق الغيب المستغرق دون المؤمن مشغلة دائمة لذوقه .

ان الفن الاسلامى رؤيته رؤية بالاشواق وهو يمتاز بالتنوع  
نواللوحدة معاً . يقول م.س. ديماندى فى كتابه «الفنون الاسلامية» .

يمتاز الفن الاسلامى بتنوع عظيم اصاب نواحيه واشكاله  
وصناعاته وزخرفته واقاليمة ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة  
جدا يصعب فيه كثيرا أن نجد فيه تحفتين متمثلتين ومنع ذلك  
يمتاز بوحدة ( .

والواحد هو الأصل فى العدد . . وفى الكون . .  
والتنوع هو الظاهرة الكبرى فى الطبيعة . . . والفن الاسلامى  
لم يعط الصورة انسانا أو شجرا أو نهرا « كينونة » لأنه اعتبرها  
ظلالا عابرة فى طريق تطلعه الدائم الى ما وراء الطبيعة . الى الله  
الواحد . وان كان الفنانون المسلمون قد أخذوا عن الصين رسوم  
الطير يسبح فى الهواء فيكسب الصورة حياة وحركة كما يقول  
الدكتور زكى حسن فى كتابه ( الصين وفنون الاسلام ) وحين تمثل  
الفن الاسلامى هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة والحياة . . .  
وهنا يتعاقب الدين مع الحياة فى ود موصول حين نفهم منه  
فى استشفاف واع معانى كلماته الجامعة . فتتجاوز التوحيد والنطق  
البيغوى بالشهادتين الى توحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق ،  
وتوحيد المجتمع فيبراً من الشيع والتطاحن ، وتوحيد العالم نحو  
القيمة الكبرى أى الله .

الدين قيمة كبرى . . . والفن الاصيل موضوعه : القيمة . . .  
بينما العلم الحديث يفسر القيمة لا يتغياها . . . القيمة عند العلم  
الحديث خارج الموضوع . . . وهى عند الفن قبلية يتجه اليها كما  
يتجه عباد الشمس نحو النور . . .

العلم الحديث آله الذهن وله حدود الذهن وهو بهذه الحدودية  
لا يمكن أن يحيط بالحياة أو الدين أو الفن . ولعل قوته فى معرفة  
محدوديته . . . . . بينما الفن أقرب الى التصوف فيه « الحال »  
عطاء الله ، و « المقام » درجة يصل اليها السعيد بالمجاهدة . . .

والقلب بين الحال والمقام يترقى بالصفاء من مقام الى مقام حتى يصل الى الملاء الاعلى ...

ان مشكلة مصر اليوم انها ينقصها « الاساتذة » الحقيقيون في كل مجال من هذه المجالات ... ولهذا نقص الوعي من ضبابية الادراك ... ادراك معنى « العلم » و « التكنولوجيا » ... و « الفن » و « الدين » و « الانسان » . ولعلنا ببادراك ( نقص الادراك ) نكون قد اقتربنا من الهدف . فان ٩٠٪ من الحنفى في ادراك المشكل ...

ليس اعتباطا أن تنبغ الأديان من الشرق وتنشأ فيه لأن « التوحيد » فيها يوافق حب « التكامل » المائل في طبيعة الشرق . لماذا لم تتفوق الملحمة والقصة عندنا كما هو الحال في الغرب ، على الرغم من اننا نحب الحكايات ؟ ذلك لأن طبيعة تفكيرنا التكامل لا التصارع الذى هو أساس الدراما ... الملحمة مجلى بطولات يبرزها الصراع الثنائى ولكن مصر حتى حين تتصارع تفتىء سريعا الى الوحدة . محروب الجنوب والشمال انتهت بوحدة الوادى ولبس « مينا » تاج الوجهين .

وصراع أوزوريس وسيت انتهى الى تحكيم القضاء ونصب ميزان العدل . وهذا الادراك العميق للامور هو في صميمه بطولة فكرية . «

وحين جاء الاسلام حدث في القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والتحل واشتد الخلاف بينها . فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقى الدين السبكى ليوفق بين المذاهب الأربعة . .

واذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصرى . فقط في هذا الشاهد ، فانا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى ( هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكى هو الشعرانى . وهو أصيل فى الفقه فوق كونه صوفيا من الطراز الاول . وقد

حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل  
الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون  
أنه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا ( .

أن ملحمة مصر تتمثل في الرائعات الفنية : « الهرم » ..  
« أبو الهول » .. « الكرنك » « جامع السلطان حسن » ..  
« تائية ابن القارض » . أما « الالياذة » و « الأوديسة » ففي اليونان لأن  
عندهم « الصراع » حتى بين آلهة الأولياد ... حتى القدر يقابل  
الانسان ... فالانسان والقدر يتصارعان ...

أما الاسلام فإنه بآيته ( قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى  
لله رب العالمين ) ١٦٢ ك الانعام ٦

الاسلام بآيته هذه فيه اتجاه الى الله وتسليم سلامى ... الله  
الذى هو قمة القيمة ...

ولا نجاح هنا بالمنتصر الذى قتل أباه المتوكل ، ومأساة  
( المستعين بالله ) و « ابن المعتز » .. فهؤلاء تحت جلودهم  
جاهلية ... جاهليتهم الأولى التى كانت تكمن وراء الخلافة  
وأبهرتها ...  
انهم دون مستوى الاسلام ...

والاسلام المسالم المصفى طرحه محمد فى عصره . ولكنه بما هو  
دين الفطرة السليمة موجود قبل محمد فالأنبياء قبله مسلمون  
( فان حاجوك أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وأسلمت مع سليمان  
لله رب العالمين ) ٤٤ النمل ٢٧ .

( يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ) ٤٤ م المائدة .

وابراهيم ( قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ) . الاسلام  
دين الفطرة السليمة . دين العقل الحر والانسانية الكاملة ... ففى

ابن يقظان اهتدى الى الاسلام بلا نصوص أو هكذا يرى ابن طفيل ...

الدين الحقيقي أكبر كثيرا من ( الحرفية ) : حرفية النصوص والطقوس التي نهوى الوقوف عند ظاهرها دون أن نكلف أنفسنا مشقة الغوص فيها واستقراءها ...

ان أعدى أعدائنا اليوم هو السطحية ... اننا نطالب باحترام المسرح ونتأذى من وجود اللب داخله ، وثقافتنا قنصور وحديثنا قزقزة ... فلم نعد نكلف أنفسنا النفاذ الى الأعماق التي انشغلنا عنها بالثرثرة والاستطراد يشيع في كلامنا بل وفي تخطيط مدننا خلاصة في العصر الوسيط . فأنت لا تكاد تأخذ في السير حتى ينعطف بك الشارع الى ممرات جانبية وأزقة تنفض بعد حين الى الطريق الرئيسي ثم يتفرع مرة أخرى وهكذا ... ويمثل هذا في طرار العمارة الخاصة بالمساكن التي يضمها أصحابها دهاليز و ( مسروقة ) الخ .

ان الانجليز يسمون ظاهرة الاستطراد عندنا :

#### The Story of the Merchant

فاننا لانكاد نشرع ، في رأيهم ، في حكاية التاجر حتى نستطرد الى موضوعات وموضوعات ثم نعود الى حكاية التاجر من جديد . وهكذا فلا الحكاية تنتهى ولا استطرادنا يكف ...

نحن نتكلم كثيرا لاننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا نريد ان نقول كما يقول امرسون

He did not know what to say, so, he cursed.

ما أحوجنا الى القصد في القول والعبق في التفكير والانفتاح في الايمان لنحب في صدق : الدين والفن والحب ... ففتعاطب ونتواد فلا يعد بأسنا بيننا شديدا يحسبنا الناس جميعا وقلوبنا شتى ... ويوم تتحقق وحدتنا يتحقق بها ومعها المعنى الكبير للدين والفن ، ومفهوم مصر لهما .



## حين تحرر المصري من الخوف أبدع الحضارة

إذا أردنا كتابة التاريخ لكي نعيد بناء الشخصية المصرية علينا أن نراجع مفاهيمنا للمبادئ التي تقوم عليها الأوطان وفي مقدمة هذه المبادئ «التحرر من الخوف» أن J. A. Wilson يعزو ازدهار الحضارة المصرية الى تحرر المصري القديم من الخوف وإيمانه العميق بوجود رب يحميه . مما أكسبه ثقة في نفسه نجرت فيه قوى الإبداع والخلق . يقول ويلسون ( قد تكون الحضارة المصرية حصيلة الموقع الجغرافي والأرض السمراء الخصبة المستدفئة بشمس أفريقيا . ولكن السبب الأكبر وراء هذه الحضارة ، عقيدة المصري القديم بأن مصر يحكمها إله هو ابن إله الشمس الذي يمنح مصر الخلود فهم يخاف )

انه اذن الايمان والطمأنينة والثقة .

وهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية المصرية يجب أن نبحث عنه فيما ضاع .

لا يمكن أن نعيد بناء الشخصية المصرية الا اذا

خلقنا أولا من أنفسنا مجتمعا ناضجا متحضرا يرفع الحق والجمال والخير ... مجتمعا كل شيء فيه محسوب فلا نغرق في المدح اذا رضىنا أو رهينا ولا نسرف في الذم اذا عادينا أو غضبنا...مجتمعا لا يداجى ولا يصانع بل يؤمن فيه كل فرد حاكما أو محكوما بأهلية كل فرد ، وحرية الرأى ، والعمل ، والتسامح ، واتخاذ سبيل الاقتناع بدلا من القوة ، والحكمة ... تلك الصفات التى يعدها واينتهيد Alfred North White head من مستلزمات الحضارة .

ومن المبادئ الرئيسية (( الوطنية )) وهى كلمة جامعة تتضاعل عندنا على كثير من الشغاف حتى تغدو هتافا أجوف بلا مضمون .. وفى رأى أن الهتاف وطنية البسطاء .. ومصر لا تحب الهتاف لأنها شبعت منه .. والصادقون فى حبها يعملون فى صمت ويشكلون حبهم انجازات ، تضيف اليها ... وحضارة مصر اضافة الذين احبوها فترجموا حبهم الى عمل دائم ..

**فهمصر اسم شرف لا يكتسب بالولادة ولكن بالعمل...** بالسلوك .. بادراك القيمة .

ومصر فى الضمير العالى قيمة نفيسة بما هى مجموعة قديم حضارية ومنجزات حضارية .

الوطنية اذن عمل .. ورع وطنى .. تصوف وطنى .. وبهذا تغدو الوطنية ، قيمة .. قيمة انسانية .

**وطنية** أن نأخذ ما عند الغير ونضيف اليه من ذاتنا لا أن نبهر بكل ما يأتى به الغرب .. اننا لو تأملنا قليلا نجد الغرب عبارة عن تكتيك + فوضى فى القيمة ... والأوربي يحاول تبرير الموقف المعاش حتى يستطيع أن ينام .... أنه يهدم القيم فى أنحاء العالم بدعوى أن التقدم انما هو التقدم العلمى المسمى ... وغير هذا مفهوم العلم فى مصر ... لقد اشتق اسم العلم من اسمها، «كيميا»

فالكيمياء هى العلم الذى يحول الخسيس الى النفيس حتى ليرى ( يونج ) فيها ، اشارة ... فتحويل العناصر رمز الى تحويل النفس ، ولأمر ما سمى الغزالى كتابه ( كيمياء السعادة ) .

ومن هنا ، أتخذ أحد المصريين المحدثين الكيمياء فلسفة وطنيته فاهتم بها درسا وعملا ، تعبيرا عن مصرية واصالة ...

وهكذا مصر .. العلماء والفنانون يخدمونها .. ( والهتافون ) يدوشونها ويزعجونها .

ان المادة مرآة الروح اذا عرف الانسان كيف يستشف المعنى من وراء المادة .. فنحن لا نهون من التقدم المادى الذى يزهو به الغرب . فالمادة فى ذاتها ليست رذيلة والشخص السىء ليس المادى ، ولكنه القاصر عن تحرير المادة وكثافتها ، والخروج بها الى شفافية المعنى . وهذا هو ما يفتقده الغرب ...

وطنية أن نعرف عيوبنا فمعرفة النقص خطوة كبيرة نحو الكمال ولكن بلا مبالغة . فمصر بلد الأساسيات جغرافيا وحضاريا وفنيا . ولكن البعض يغفل عن المنبع المتدفق بالخير لينظر الى البالوعة التى تتجمع فيها الشوائب .

وطنية أن نعيش العصر ونفهم ما جاء به من نظريات فى العلم والفن ولكن دون انبهار يفقدنا أنفسنا .. ان الكثير مما يستهوينا قد يكون فى تراثنا ما يعادله أو ما يفوقه لو اننا نعرف ما عندنا

ان التكعيبية والسريالية القائبة على التجريد وتجاوز الشكل بل تجاوز المنطق والتطويع الى ما وراء العقل ، يتفوق عليها الفن المصرى القائم على نقاء الشكل مع الاحتفاظ باللمحات الانسانية .. حقا كثيرا ما يتجاوز الفن المصرى الشكل ولكن الى الاسطورة بشاعريتها وغناها .

ان الصعلوك ليس فقط المشرذ الضائع وانما الصعلوك هو  
المبتور من جذوره الثقافية . يقول كاتب انجليزى ( العرف بديل  
العبقرية ) .

ان من يتعزى من الغطاء الاجتماعى المنسوج من قيم امته  
وحكمتها وتجاربها ، انسان هشى يتيم معنويا وان حسب نفسه  
متحررا حرا . . .

أنا لا أطالب بالمثالية ولكن بالمثال . . ان تنمو من الجذور ثم  
تتفرع كما نشاء .

ولأمر ما يعبر أولاد البلد عن طحن انسان أو سحقه بقولهم . .  
( يعدمه العافية ) . ان التربية الحقيقية . . . غرس التاريخ في  
النشء تعطى العافية . . القوة . . الأمل . . الحلم . . . الارهاصات  
أى همس الوجدان .

ان أزمة الانسان المعاصر ان وجدانه لا يضاهى تقدمه  
التكنولوجى فملك الآلة ولم يملك السلوك وحسن الاستعمال .  
انسان العصر الحاضر سباق مدنيا . . فقراء هذا العصر يستضيئون  
بالكهرباء وهو ما لم يتيسر ليوليوس قيصر ولكنه معنويا ، معدم  
لا يعرف كيف يعيش ، كيف يحب . . كيف يكره ليس عنده ( فن  
الحياة ) اللهم الا اذا كان عبقرى .

انسان العصر محروم من الرعاية المعنوية ثقافته متجولة  
كبضاعة الباعة المتجولين . . ثقافة جرائد وأفلام مسطحة .

ولأمر ما تغير وزارة الثقافة عندنا اسمها بين حين وآخر نهى  
تارة وزارة الاعلام وطورا وزارة الارشاد وحينما وزارة الثقافة  
لأننا نحتفل بالأسماء لا بالضموم . . . لقد عهل الانسان اللغة فلا  
يدع اللغة تشكله . . . لو كان لوزارة الثقافة هدف محدد لما

غيرت اسمها مرات .. لو تعمقت مضمون كلمة ( مصر ) وهو حضارة + مسيحية + اسلام + حرية ... وهذه الحرية ، اى الخط الرابع ، تستقطب هذا كله ...

لو عرفت وزارة الثقافة هذا المضمون لاتخذت منه شعاعا وجعلته محورا لها وهدفا ....

**ان الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطراب** يتحقق هذا المعنى فى الانسان بل الجهاد فالخط المستقيم نقطة متحركة فى اتجاه واحد ففيه معنى الآلية أما الخط المتعرج فهو أكثر حرية ولكن الجمال فيه رتيب فيه بعض آلية داخل حريته .. وتزيد الحرية باختلاف الموجه بين ارتفاع وانخفاض .

لقد كان فى الفن الفرعونى خطوط مستقيمة ولكن الى جانبيها خطوط أخرى تتحرك فى حرية تامة وهى بانطلاقتها تؤكد ضرورة الخطوط المستقيمة ليتوازن البناء الفنى كالأعمدة فى البناء الهندسى . حتى ( العقد ) المغمى به الفنان المصرى حتى ليوفره لصوره ونقوشه كلها ... هذا العقد المستدير رد على دائرة الرأس يدور معه الفكر ليصعد الى الرأس من جديد .

كان عند الفنان المصرى تفتح وانفتاح وانشراح وتمهل فى التقبل فاذا رسم أحس احساسا طبيعيا موهوبا بالنسب فيخرج الأثر الفنى وكأنه منظوم فى بحور رياضية فهو كشاعر موهوب يجيد النظم ولو لم يكن يعرف العروض .

وحين نسأل السؤال التقليدى هل الانسان مسير أم مخير فان معنى مسير ضد الحرية .. **انما الحر هو المخير** . مثل هذا الانسان اذا فعل فقد اختار .... ان التصميم هو الوضع باختيار ...

**الحرية نمو على مستوى الفرد والمجموع** .. ان عز الانسان

الأول اعتمد على ذاكرته وقد بدأ مرحلة التحضر عندما بدأ يحرر  
رجليه الأماميتين أى يديه ... ولما تفرغت اليدان وبدأت تعملان  
في حرية بدأ المخ ينمو ... **والثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف**  
**والعقد** بحيث يكون لديها من الإدراكات والمنجزات والطرح ما يمكن  
أن يتاح للنفس الانسانية الراقية .

**ومن الحرية بل من الوطنية أن نحب الحرية لغيرنا ...** ان  
وطنية المستعمرين ( أنانية قومية ) ... لهم الغنى والديمقراطية  
والحرية... وللشعوب المغلوبة الفقر والاستعباد والذل... ولا يستحون  
بعد هذا أن يتشدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام انسانية  
الانسان — وهم يعنون الانسان الأبيض بالطبع — أما احترام  
انسانية الشعوب فهو موضوع آخر .

قتل امرئ في غابة \* جريمة لا تغتفر  
وقتل شعب آمن \* مسألة فيها نظر

**وطنية إن نحترم أوطان الآخرين كما نحترم وطننا ... لقد**  
دعا جمال الدين الأفغانى الى الحرية في غير وطنه ، وثار تومبين  
على الاستعباد في كل مكان حتى لقد لب الأمريكيين على الاستعمار  
البريطاني ، وهو الانجليزى مولدا وهوية لانه كما يقول هلد جارد  
هوثرن :

( الدنيا وطنه والحرية رايته ) .

**وما دمنا نحب الحرية للآخرين ونحترم أوطانهم فلا يستكثر علينا**  
**احد ولا ينكر علينا احد أن نعلی راية ( المصرية )** دون أن يتعارض  
هذا مع القومية العربية . فالعرب في سائر بلادهم ينتمون أولا  
الى الوطن الأم ثم ينتسبون الى العروبة بحكم الدين واللغة ومسار  
التاريخ في الاربعة عشر قرنا الأخيرة .

ونحن في مصر لا نطلب أكثر من هذا لا سيما وأننا نحمل أسرا  
عرفته الدنيا قبل الديانات واللغات والقوميات فنحن مصريون أولا  
ونحن مسيحيون ونحن مسلمون ونحن عربيو اللسان والهدف  
والمصير ..

ان الأستاذ ساطع الحمري في كتابه الكبير عن (القومية العربية،  
يسمىها «رابطة» ونحن لا ننكر هذه الرابطة ، ولا نستطيع ..  
وليس في مصلحتنا ان استطعنا ولكن « الرابطة » مهما عزت ،  
لا تبلغ الأصل المرتبط والمربوط بل ان وجودها رهن بوجوده .

#### انها لماسة ان تحتاج الحقائق الثابتة الى اثبات .

من هنا ندعو الى اعادة قراءة التاريخ حفاظا على الاصل ،  
واتخاذ منطلقا للتجديد والخلق حتى تكون لنا شخصية متميزة  
ثم نتمسك بها .

لقد أخذت اليابان بأسباب العلم الحديث بل أضافت الى علوم  
العصر ، ولكنها تمسكت بأسلوبها في الحياة ونظامها في العيش .  
انى ارى الهنود في مصر ورايتهم في بلاد أخرى عربية وأوربية  
فلم تخطئهم العين بزيهم الخاص مهما تطوحت الموضة حولهم وفي  
عقد دارها .

ان الانسان يولد في العصر الحجري ، والتربية هي التي تصل  
به الى العصر الحديث .. في ادراك القيمة لا في ارتداء الموضة  
فان من يرتدى الموضة فحسب لا يزيد على شهاعة خشبية انما  
المقصود رحلة في النفس .. معاناة حقيقية ..

الشخصية قبة الوجود الانسانى ... تكامل الكيان البشرى  
نحو قيمة جديدة وهى بالنسبة للأمم خلق حضارى كالذى فعلته  
مصر والهند والصين في العالَم القديم .

وهى بهذا ولادة ثانية والقيمة ثراء للذات واثراء .

فرق بين ( الشخصية ) Personality وبين الفردية

ووزارة الداخلية حين تعمل للمجرم ( فيش وتشبيه ) وتسمى هذا تحقيق شخصية ليس في الحقيقة الا تحقيق فردية Individuality

**الوطنية وعى بالماضى ومحافظة عليه باتخاذها منطلقا نحو التجديد ... ان القبة هى الترجمة الاسلامية للهرم .**

القبة هرم ترفق المصرى المسلم فى بنائه فاستدار الخط بعد صلابه وثبات ...

وكالقبه ، المئذنة ... ان داخل كل مئذنة ، بسلة فى الشكل والروح ... المئذنة قدمها على الارض وقلبها معلق بالمحل الارفع كما يقول الغزالي فى الواصلين انها Sermon in Stone

والفنان المصرى الاسلامى كان يجمع الى قوته الموروثة سباحة الدين الجديد ورحمته فانطبع هذا فى فنه حنيات واستدارة فابواب المساجد يزركش المصرى المسلم اعلامها وكائه يحزن المستطيل ويعشق الخشب ويستنطق السطح بالفتش والنممة ...

كم هى بليغة لغة ابن البلد فى لفظة ( يعشق ) . الخشب فى مفهومه ارواح تتحاب وتتعانق وتعشق ... ان لغة ابن البلد فى هذه ( الحقة ) ابلغ من التعبير الانجليزى Made with love على جماله ورقته ...

**حتى المفاهيم العقائدية تلتقى فيها عصور مصر مع تجديدها ..**  
فلو تأملنا الآثار المصرية لرأينا ( الجناح ) يسيطر على خيال المصرى الذى رمز به الى الرحمة .. الى الاتساق .. الى السيطرة .



ولهذا شاع في الفن المصرى القديم ( القرص المجنح ) حباً في  
النور والحرية ، وتحسيناً بالشهس والجشاح ...

والقرص المجنح يقابل في الاسلام ( بسم الله الرحمن الرحيم )  
نفس الـ Sentiment وتسرب هذا عبر الاجيال الى نفس ابن  
البلد فأصبح يقول ويؤمن ( بمصر المحروسة ) .

وهكذا نرى الحفاظ غير الجمود .. لقد أدرك المصريون برؤية  
داخلية بصيرة ان الحضارة تحتاج الى زمن .. استمرار ...  
حفاظ .. ان الحضارة لا تبني في جيل ... هنا اخترعوا  
الكتابة .. العمارة .. التحنيط حفاظاً على الجسم من الزوال ...  
وقد لاحظ شبنجلر في كتابه Decline of the West

ان الهنوكى يحرق الجثة والمصرى يحافظ عليها ويحفظها ..  
وفي لغتنا اليومية لفظ « قيد » بمعنى اكتب وأحصر حتى لا يهرب  
المعنى .

**والفكر المصرى من طبعه الحفاظ** فهو يحافظ على قديمه ولو كان  
Out of Modern لقد ظلوا يقولون ملك الوجهين حتى  
بعد أن توحدت مصر وصارت كلا واحدا ... وفي المعبد مقاصير  
الشمال تقابلها في الجانب الآخر ، مقاصير الجنوب انها الوحدة  
المصرية يعبر عنها الحجر بالشعر الموزون .

ومع هذا كله ، مصر قادرة على التطور والتكيف فاعتنت  
المسيحية ثم الاسلام وكانت في هذا تصدر عن طبيعتها لا سيما وان  
المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير حتى ليصف جاك مارتان ،  
الفن الفرعونى بأنه مسيحى النزعة والامل Christian in hope  
كما أجمع أساتذة الفنون ، شرقيين وغربيين ، الذين رأوا جامع  
السلطان حسن على أنه فن فرعونى ولو أنه أثر اسلامى .

اعتنقت مصر المسيحية والاسلام بما فيهما منها . ان مصر حين  
رمزت الى الخير والعدل والحق بـ ( معات ) كانت بطريقتها تقول  
من خلال ( معات ) : ( ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ) .  
لقد اعتبرت المسيحية مصر ( الارض المقدسة ) لوجود آباء  
الصحراء فيها ... وعندما جاء الاسلام شربته مصر ونمت به ،  
ونمت فلم يمح شخصيتها بل **أضاف اليها عمقا جديدا** وأضاف لها  
فضلا جديدا يوم حملت مسئوليتها في **السلم والحرب** فدافعت عنه  
في مواقفه الكبرى، وحمت حضارته التي تهددها هولاكو والصليبيون  
نوق ما عملته له على أرضها برصيدها الكبير في صناعة الحضارة  
مما لا يستوعبه كتاب محدود .

ان مصر قادرة على التكيف والتطور .. لقد أحبت مصر القديمة  
الحياة حتى أنكرت الموت ولكن مصر المسيحية حين وجب الفساد  
أحبت الموت حتى أنكرت الحياة واستشهد في سبيل المسيحية أبرار  
سبقى شهادتهم رمزا للإيمان .

فمصر قادرة على التكيف والتطور حتى لتبلغ به أقصى المدي  
الذي يبدو للظاهر متناقضا وهي في الحالين تنبع عن أصل واحد  
هو طبيعتها السمحة القابلة للتطور . انه التوازن بين الثبات  
والحركة ، الذي يقول عنه جوستاف ليون في حديثه عن  
« الحضارات الاولى » ، ( ان قليلا من التسعوب من نجح في  
تحقيقه بل نادرا .. وأندر منه من احتفظ به .. )

وتختلف الأديان والعصور والمصرى يجمع في كيانه هؤلاء كلهم ..  
ان دنيا المصرى كمملكة الثبات عالم رائع له عقيل كل كمال  
يقول أخوان الصفاء .

مصر خلقت نفسها كاله الشمس الذي خلق نفسه في الاسطورة  
المعروفة ...

وجودها شاهد على القيمة وانجازها دليل عليها ... والقيمة الأولى في تاريخها ، الفن .. الفن المصرى القديم فهو انجاز حضارى رائد .

أما القيمة الثانية في تاريخ الشخصية المصرية فهي الفن الإسلامى .

ان الشخصية المصرية = حضارة + ارتفاع فوق الاحداث كارتفاع المآذن فوق الطوابق + وعى بالقدس بوجود الله ....

مصر القديمة خلقت نفسها حضاريا

ومصر الإسلامية نمت نفسها

هناك خلق وهنا تحقيق نمو .

وميزة حضارة مصر ، الاستمرار وفى تكامل .

ان الحفاظ الحقيقى تنمية وتكامل .

مصر الإسلامية كانت القلب الرائع والناضج للطائر الذى يمتد جناحه من جنوب الصين الى جنوب أسبانيا ..

ان رؤية مصر ، تختلف باختلاف الأفراد . فمن همم الطعام والشراب يرى مصر ، الوادى .. ومن يبحث عن : المعنى فى مصر يخرج الى الصحراء .. أما مصر « الطموح » فهي ما بعد الصحراء حين تفرد جناحيها ويمتد نشاطها فيصل الى الشام شمالا ، والسودان جنوبا ، وليبيا غربا ، والبحر الأحمر شرقا ..

مصر هذه لعبت بالحجر والذهب .. صاغت الحجر وثقافته بالنقش واللون ، وشكلت الذهب وجملته بالتمنة والفن .

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسرارها ومشاعرها فكان عملها لون من التطعيم الذى نحسبه ناصرا على الصدف

ان القاهرة أحظى عواصم العالم معماريا بأهراماتها ومعابدها  
وكنائسها ومساجدها وفنونها التشكيلية .. وهى من الناحية  
الحضارية أروع العواصم .

لقد عرف ( جوته ) العمارة بأنها موسيقى فى الحجر ... ان  
عاصمتنا — من هذه الناحية — لحن رائع .

... ..

هذه هى شخصية مصر التى دخلت بها التاريخ ووضعت  
بصمتها عليه شخصيتها التى هى وجود متميز معدود ومحسوب  
وله قيم وثقافة بعينها ...

شخصية مصر كالعمود فى العمارة الاسلامية فاستقامة العمود  
يترجم عن الخط الصابر الصامد ثم يلين فى انحناءة يستجمع بهما  
نفسه ويستمد العزم فى طريقه الى قمة .

ولا يرمز الى شخصية مصر كالنيل والمقطم انها حوار بين  
الصخر والماء من يلاينها تعذب وترق كماء النيل ومن يتحداهما  
تصلب كالصخر ... صخر المقطم . هكذا خلقت ... انها لقضاء  
خلاق وحوار ألاق بين الصخر والماء ... حوار يدور فى النور .

ولا ينال من شخص مصر أو شخصيتها أخذها بمنطق الأحداث  
... لقد تكلمت مصر العربية لأن الاسلام كان ينطلق فى المنطقة  
من « كلية » معينة ... كان ( وحدة ) تريد أن تأخذ دورها فى  
المنطقة .. وفى .. التاريخ .. ومصر قلب هذه المنطقة بلا ادعاء  
أو تواضع ... قلب المنطقة فى العصور القديمة ، وفى المسيحية  
... وما كان للقلب أن يغير مكانه فى الاسلام ... لقد أخذت  
مصر دوراً منذ عهد عثمان ... ومن لا يغيب عن المسرح لا بد  
أن يتكلم لغة الرواية التى تدور على خشبته .

لقد تمسكت فارس بلغتها بعد الاسلام وما ذلك الا لانها بموقعها بعيدة عن الأحداث وعن العيون الا أن تكون مصدر فتنة أو مؤامرة .

وهذه ( الكلية ) في الحضارات نادى بها أخيرا في العصر الحديث « سمطس » . . . فمصر حين تكلمت العربية لم يحدث فيها ( انقطاعية ) في حضارتها كما يقول الأستاذ الدكتور جمال حمدان في كتابه العظيم ( شخصية مصر ) مؤيدا رأى توينبى في المصريين المحدثين ومغايرتهم للتدهاء .

ان لغة الحروف ليست كل الصلة بالمسافى .  
هناك لغة التشكيل التي امتدت عبر العصور موحدة الاسلوب والنمط والاداء في المعبد والكنيسة والمسجد . . . في النقش والحفر والنسيج والنجارة . بل عادات ونظام الحياة .

ليس هذا كله امتدادا واستمرارا ؟

هذه هي مصر وليست كما يقول رينان فيما رواه عنه الدكتور حسين فوزى، في حديث له عن أحياء البحر الأحمر والبحر الأبيض، ومضمونه ان مصر حينما يتعين عليها أن تلعب دورا يتصل بالنفع الانساني العام تكون الضحية الدائمة . . . حيادها للنفع غيرها والروح الوطنى مقضى عليه فيها وسوف تحكم مصر بمجموعة دول متحضرة وبالإستغلال العلمى المنظم للعالم سوف توجه الانتظار الطموح الى وداى النيل !!

لا رد لنا على رينان فالعالم مملوء بعقول رينانية . كان النغز الى يقول : ان القلم على روعته ، أروع منه اليد التى تمسك به . . . وأروع منه الشخص المحرك الذى يملأ عليه . . . وانطلاقا من هذا المنطق الحكيم للإمام ، نقول ان أروع ما شيدته مصر :

« الشخصية المصرية » . التى استوعبت النصر والهزيمة ..  
والازدهار والانحلال والصلابة والتسيب ، والعزة والقهر ...  
عرفت مصر هذا كله ... واستقطبت مصر هذا كله وتحدثت مصر  
هذا كله ... وتخطت مصر هذا كله .. ولم تكف عن البناء  
والتشيد والعمل ...

العمل لا فى داخل حدودها فحسب بل خارجها اذا كانت  
شخصيتها فى كل العصور تفرض عليها الامتداد فى اتجاهين :

✱ اتجاه رأسى أى الى أفريقيا والجنوب .

✱ اتجاه افقى أى الى آسيا شرقا وليبيا غربا .

ومن هنا يجب أن تكون دعايتنا فى الوقت نفسه دعوة لاقضية  
... ان من يكتف باعلان انه مظلوم ، متسول انصاف لكن قيمتنا  
فى استيعاب قيمتنا الحضارية .. فى فهم دورنا المعطاء .. وكثسه  
العطاء الجديد الذى سيضيفه .

واستيعاب الماضى تحضير للعب الدور الجديد فى عملية صعود  
الى المسرح ثانية .... استيعاب الماضى **بوصلة قومية** ترشد  
بها الخطى وتعصمها من الضلال ...

\*\*\*

كان قداماؤنا يحرصون على **تجليد** المعبد أى اقامة سور من  
الطين حوله حتى لا ترهق رهبته النفس أو تذهب الالفة ، بهذه  
الرغبة . ويبدو أن سور الطين نقلناه نحن حول قلوبنا فلم نعد  
نرى فى الهرم والمعبد الا مكانا للنزهة لا للمعنى .

**لقد ولدت مصر معبدا فلا تحولوها الى ملهى ... حرام ..**

## وقف عند الدولة العصرية

في محاولة كتابة التاريخ من جديد نقف وقفة عند الدولة العصرية التي نتنادى بها . . . وهذا النداء يتضمن الاتجاه الى الغرب باعتباره السابق ونحن نريد اللحاق به . . . ومن الطبيعي الاخذ بأحسن ما عند الآخرين . ولكن يجب أن نقف وقفة خاصة عند هذا الموضوع . فان الشباب يعيش في وهم كبير اسمه أوروبا ، حتى اذا أتيج لهم أن يذهبوا اليها ، وأن يعيشوا فيها ، شهورا وأعواما ، أنسلخ البعض عن قومه ، ومزق الصراع البعض الآخر . ذلك الصراع الذي صورته الأديب يحيى حقي في قصته ( قنديل أم هاشم ) .

وغير الشباب لا تزال المجتمعات الشرقية من رواسب الاستعمار عندها ( عقدة الخوافة ) يقابلها عند رجال الدين المحافظة الشديدة التي تصل عند البعض الى حد التزمّت .

وفي صراع الدعوات والشعارات والآراء يعلو صوت الواقعية المادية والعلمية . ولست أرى من وراء هذا الحديث التهوين من قيمة الصناعة أو العلم الذي غزا الفضاء وترك بصمته على القمر . . أبدا ولكنني أريد وسط هذه التيارات الزاخرة ، أن

نتفاعل مع الحياة والحضارة الحديثة في تماسك يحفظ علينا  
شخصيتنا المصرية العربية الشرقية حتى لا يجرفها التيار فتضيع...  
ونكون كذلك الغراب الذى تحكى القصة على سبيل الرمز أو  
الحقيقة ، انه استهواه مشية العصفور وقفزاته الرشيقية ،  
فأراد أن يقلده بدون تفكير ، فأنتهى أمره الى مشية مضحكة  
ذهبت مثلاً ...

كما أن المحافظة التى أعنيها لا تتعارض مع رغبتنا المخلصة  
فى أن ننمى شخصيتنا ، وأن نطورها ، وأن ننفض عنها غبار  
القرون والاحداث ...

لقد ظل الادب الانجليزى فترة طويلة من الزمن ، وعلى الاخص  
فى عصر (بـوب) و(دریدن) متأثراً بالادب الفرنسى ، وكان  
سوينبرن Swinburne شديد التأثر بالشعر الفرنسى كما  
كان كارليل Carlyle متأثراً بأدب ألمانيا .

ولكن تأثر هؤلاء بأدب غيرهم لم يفقد أدبهم قوميتهم وذاتيتهم ،  
بل زادت ثراء وعمقا .

وكان جوته شاعر ألمانيا العظيم يجيد اللغة الفرنسية الى حد  
الافتقان — هذا الى انقائه اليونانية واللاتينية — حتى قيل انه  
تردد يوماً هل يكتب بالألمانية أو الفرنسية ، ثم أخذ يدرس  
الادب العربى والفارسى . وفى السبعين من عمره طرح ثمرة  
عظيمة هى كتابه الفريد الذى سماه (ديوان الشرق والغرب) .  
وترجم القرآن الكريم ، بل لبس العمامة وارتدى القفطان ، وفى  
أوروبا ، تشبهاً بحافظ الشيرازى الذى كان يحبه ويعجب به . ومع  
هذا ظل جوته شاعراً ألمانيا صميماً يستلهم الشرق والغرب  
فى آن . . . الصور شرقية والاحساس غربى . . . توغل كما  
يقول أحد الذين ترجموا له ، فى هذا العالم الشرقى دون أن



يفقد شخصيته . فهو يتبع القافلة وهي تسعى على مهل في الصحراء ، ويسمع صوت الليل ونغماته الحزينة ، حول الغدران والينابيع ، ويصغى لهذا بانتباه ، بل قرأ ترجمة المعلقات في الانجليزية ثم حاول هو ترجمتها من تأثره بها وحاول فيما حاول من معطيات الشرق ، الكتابة العربية ليتغنى بالقلم العربى المسنون من القصص في مقطوعته ( القلم ) .

كان جوته خير رد وأبلغه على رد يارد كسيلنج الذى قال ( الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان ) .

لقد التقى الشرق والغرب بقيتهما في جوته ... في فكره وفي سلوكه في ديوانه الذى يقول فيه :

من حماقة الانسان في دنياه  
أن يتعصب كل منا لما يراه  
وإذا الاسلام كان معناه التسليم لله  
فاننا اجمعين نحيا ونموت مسلمين .

فلذا أضيف هذا كله الى أدبه وثقافته الغربية ، نشأ من ذلك ازدواج موفق غاية التوفيق ، وكان بمثابة عهد جديد في الادب الالماني ، فان الشعراء المعاصرين من الالمان لم يلبثوا ان أخذوا يقتفون أثره ، وانصرفوا عن أناشيد الحرب والقتال ، لينشدوا أغاريد الشرق ، وكان أشدهم تأثرا بجوته ، أو ( ديوان الشرق والغرب ) الشاعران : ركر وبلاتين .

ومتى ظهر ( ديوان الشرق والغرب ) ؟ لقد كان هذا ما بين ١٨١٤ — ١٨١٩ في وقت كانت ألمانيا تتسعر فيه حماسة ووطنية كرد فعل لغزو نابليون لها .

هذه ألمانيا .. أما إيطاليا فان بعض الباحثين الغربيين يلمح

اثر العقيدة الاسلامية في البعث والاخرة ، في تصيدة دانتي :  
الكوميديا الالهية .

**التقى الشرق والغرب في الحضارة الحديثة التي يعزوها «وايتهد»**  
الى : اليونان وفلسطين ومصر . من اليونان فلسفة ، ومن فلسطين  
المسيحية ، ومن مصر العلم والصناعة . أو قبل أوروبا تجمع هذا كله في  
مدرسة الاسكندرية التي انتقل اليها مركز الثقافة من أثينا ، فمزجته  
بتراث مصر الدينى والعلمى والصناعى حتى غدت « الهلينية » أى  
فلسفة اليونان ، « هلنستية » ، بعد أن احتوتها الاسكندرية ،  
وأضافت اليها ، لتؤثر بعد هذا في الفلسفة الاسلامية ثم في  
الحضارة الاوربية .

**كما استفاد الغرب في مطلع نهضتهم من ايران ومصر والهند**  
**وما وراء الهند واليونان . والواقع كما تقول الدكتورة سيجريد**  
**هونكة في كتابها ( شمس الله تشرق على الغرب ) ، —**  
**( ان التعصب الدينى وعدم التسامح كانا دائبا من أعدى أعداء**  
**الشعوب فالعزلة عدو الحياة والنمو والتطور . ثم ان تبادل**  
**الثقافة بين الشرق والغرب الى جانب الاحترام المتبادل الى التعاون**  
**والتصافى أدى جميع هذا الى تفتق العبقريات . واذا تفاضينا عن**  
**بعض حالات التشاحن والبغضاء التي وقعت بين العرب والاوربيين**  
**احيانا ، فان تعاون الشرق والغرب سيكون خيرا وبركة للمسلم**  
**أجمع )**

**انى لا أميل الى تقسيم الأمم الذى ذهب اليه من الغرب**  
**« ليون جوتيه » في كتابه ( تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية )**  
**و « دنكان ماك دونالد » في كتابه ( تطور الفقه ونظرية الحكم**  
**عند المسلمين ) ... ومن الشرق ، « الشهرستاني » .**  
**ان الطبيعة البشرية واحدة في عمومها على الاقل ... واذا كان**  
**الشرق بحكم حضارته القديمة ، يتعامل مع القدم والتيم بطبعه**

وطبيعته ، فان الغرب بعقليته التى تهوى التحليل والتعليل يتعامل مع الحسوسات ليصل عن طريق المقدمات الى النتائج ...

الشرق كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، فنان .

والغرب عالم .

والعلم كما نعرف وسيلى .. والفن غايى قيميى ..

وحين أقول هذا ، لا أنفى أن العلم قيمه بما يهذب من نفس الانسان الى حد تجريدها الى أفق الموضوعية .

وهو غايى بما يحرر الانسان من الجهل .

العلم يهذب ويجرد .. والفن يصفى ويقطر وجود الانسان لاستخلاص القيمة .

كان عالم الطبيعة « أدنجتون » يقول : المتصوف والفنان لا يقل موضوعية في تعريف الحقيقة عن العالم الطبيعيى .. كما كان « اينشتاين » يقول : رؤية النبى والفيلسوف والعالم ، للحقيقة واحدة من زوايا مختلفة .

وهكذا لا تعنى المحافظة التى نحرص عليها أن الغرب شر كله، فنحن أصدقاء الإنسان في كل مكان .. ولكن الانسان المعطاء الذى يعلى الخير والحق والجمال ... فبتهوفن بموسيقاه أنبل وأكرم ، وأسمى ، وأطهر ، وأشرف من تجار الحروب باسم الحرية نارة ، وباسم مناهضة الشيوعية تارة ، أخرى ... تلك الخدعة التى كشفها شبابهم نفسه فثار ، عليها فى أوربا وأمريكا ثورة عارمة أعلن عنها فى ملبسه وسلوكه وأسلوب حياته . وألف من بينه الجماعات المختلفة التى تمثل صرخته واحتجاجه ، كجماعات الهييز وجماعة ( الكريشنا ) التى تؤمن بالفلسفات الشرقية القديمة بعامة والهندية بخاصة ، وتدعو الى العودة الى روحانية

الشرق بعد أن أعمت الغرب أطماعه وأفقدته حب السيطرة بشريته ، وأورثته مجتمعاته تعاسة مرة على الرغم من الأضرار التي يضغط عليها كلما أراد شيئاً فيتحقق بسرعة ، كأن كل زر منها خاتم سليمان الذي يعيش أمنية في خيال الظلماء والمحرومين في أساطيرنا القديمة .

هذه الأضرار التي جعلت الإنسان الأوربي في مجتمعه كأنه ترس في آلة ضخمة يدور معها معطل التفكير ، مسلوب الشعور ، فقد في النهاية متعته وحيويته وسعادته ، إذ فقد الإحساس بقيمته وغناؤه عندما حلت الآلة محله في كل شيء ، وحرمته متعة الخلق الكامل .

وحين وجد الشباب الأوربي والأمريكي اليوم نفسه ضائعاً في مجتمعه يسير معه في طريق مسدود ، وقع فريسة للمخدرات والعقاقير هروبا من واقع مزير وحياة عقيمة ، إلى حالة من الاستغراق والاحلام آملاً أن تعوضه عن الإيمان الروحي الذي افتقده في ظل الشيوعية والرأسمالية على السواء .

وقد عقد كتاب ( عصفور من الشرق ) مقارنات طويلة بين الشرق والغرب في أكثر من ناحية .. وفي أكثر من اتجاه من اتجاهات التفكير والسلوك لا بأس من تأملها في هذا الوقت بالذات خاصة الشباب فالكتاب عبارة سنوات في أوروبا حين ذهب إليها مؤلفه شاباً للدراسة فحديثه هنا ليس انطباع اللحظة العابرة أو الملاحظة النسائية ولكنه حصيلة الدراسة والوعى المتأمل والمقارنة الحساسة .

والاستاذ توفيق الحكيم يستهل كتابه بحديثه مع صديقه الفرنسي ( أندريه ) عن الفرق بين الشرقي والغربي في النظر إلى المعبود .  
ان الغربي يدخل الكنيسة كما يقول أندريه كما يدخل القهوة

« هناك محل عام وهنا محل عام ... هناك الأرغن وهنا  
( الأوركسترا ) » ص ١٥

أما الشرقي فانه يعد نفسه لدخول المعبد كنيسة أو مسجدا  
نهبا في عينه « السماء » وليس من السهل كما يقول  
« محسن » — الذى هو الكاتب نفسه — الصعود فى كل لحظة .  
انه لجهود ...

شرق وغرب فى الحب الذى يعلنه الغرب فى أى مكان وإمام  
أى عين حين يغالى به الشرق ويأبى ( أن تعرض العواطف هذا  
العرض ، فى الشوارع والطرق فتبتذل ، وهى التى ينبغى لها  
أن تحفظ فى الصدور كما تحفظ اللآلىء فى الأصداف ) ص ٤٨ — ٤٩

الحب فى الغرب على ككل شىء ولكنه فى نظر محسن  
( احساسات عليا ) وخفقة قلب ، ولهفة روح ، وتطلع عين ، وظمأ  
شوق ، وتمن ورجاء ... ويأس ولقاء أو لا لقاء ... أهل كالنجم  
يبدو حيناً قريباً وهو جد بعيد ... هذا العذاب يراه ( محسن )  
أحلى وأشهى ما فى الحياة .

فرق بين الشرق الذى يؤمن بالآديان وروحانيتهما وبين الغرب  
الذى يؤمن بالعلم والمال وحدهما ...

ان ايمان الشرق العميق بالدين يمثله شهداء المسيحية وأصحاب  
بدر ... وحين تسلم الغرب من الشرق الآديان ( البسها أردية  
موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ،  
واقبضها صولجانات الجباه والجبروت الأرضى ! ان الكنيسة فى  
أوربا كانت — فى يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها  
الرأسمالى لادق نظام . وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت  
المالية ، وتقوضها اذا شاعت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلفة  
المسيح ؟ ) ص ١٦٥ .

ان أوربا هى الوحيدة التى أعدمت فى يوم علماءها حرقاً ،  
واتهمتهم بالسحر والجنون ، وخفقت حرية الرأى حتى فى شئون  
الأدب والفن ، وجعلت من المسيحية التى تبشر بالمحبة والسلام ،  
سلاحاً للفتك أمام محاكم التفتيش .

عرفت حضارات الشرق ( العلم ) و ( العلم التطبيقى ) الحضارة  
التي تشيد الأهرام لا يمكن أن تجهل العلوم النظرية والتطبيقية ،  
ومع ذلك فان ذلك العلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور  
التي تمثل الحياة الأخرى ...

ان حضارات الشرق التى عملت للدنيا والآخرة حضارات  
« كاملة » . أما الحضارة الأوربية بكل غرورها فقد قدمت للناس  
بعض الراحة فى أمور معاشهم ولكنها أخرجت البشرية وسلبتها  
طبيعتها الحقيقية وشاعريتها وصفاء روحها ... اننا بالقطارات  
والطيارات كسبنا السرعة ولكننا خسرنا ثروة النفس التى تنمو  
باتصالها المباشر بالطبيعة ...

\* \* \*

والكتاب يعنى أن انسان الغرب عنده نزعة تحطيمية وهى عدم  
الايان بقيمة أى قيمة ...

ان حضارة الغرب تدرس الاشياء لا الانسان ولهذا لم يكتشف  
الانسان الى اليوم ...

ان مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الانسان المعاصر  
المتشقق نفسياً .

تسود الغرب روح نهلستك أى روح عدمية .

وأوربا وأمريكا فى الحديث تقابلان التعبير التاريخى القديم  
جريكو رومان .. أوربا تقابل الشق الاول : جريكو ، وأمريكا

تقابل « رومان » . فالأمريكان رومان العصر الحديث قوة وعضلات  
وغشامة ... الأمريكى أمامه طريق طويل لكى يتحضر .. أنه  
يملك المال والنفوذ ولكنه لا يملك التراث أو الحضارة .. حتى  
المسيحية التى جاءت من عندنا كانت أكبر منه فلم يهضمها ولم  
يعرف قيمها العليا من محبة وسلام ...

نحن فى الشرق ومصر عندنا قدرة على التكامل تعادل قدرة  
الإنسان الغربى على التجريد وهو عاجز عن التكامل ... عاجز  
عن الرضا .. الطمأنينة ... السعادة الداخلية ...

الغربى عنده علم ووسائل .

ولكن ليس عنده غايات .

ولذلك يجدر بنا عندما نتكلم عن ( روح العصر ) أن ندرك أن  
روح العصر هذه لها بعدان فى الزمان والمكان فروح العصر فى الغرب  
عدمية تحطيمية ولكن روح العصر فى الشرق شئ آخر .. تفاؤل  
وايمان واحساس بالتاريخ وبالقيمة ...

إنسان الغرب فى حاجة الى روح وهو ما أراد يونج أن يقوله

فى كتابه : Modern man in search for a soul

والكاتب فى ( مصفون من الشرق ) ينتقد النظام الصناعى الذى  
أوجد النظام الرأسمالى وينقد أسلوب التفتيت فى الصناعة الذى  
ذهب بمتعة الخلق الكامل وأورث العاملين ملالة التكرار واستشهد  
بنقد أبناء الحضارة الاوربية أنفسهم لها مثل الكاتب الانجليزى  
( الدوس هكسلى ) الذى يصف حضارة أوربا بأنهاكم لا كيف ...

كما نقد الكاتب ( الشيوعية ) على لسان صديقه الروسى الذى  
يقطع بأن جنة الفقراء لن تكون على هذه الأرض .. وأن  
المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض ... لقد عرفت أديان

الشرق النفس الانسانية ففتحت لها ابواب السماء التى بشر بها  
انبياء الشرق .. جزاء للصابرين ومن حسنت أعمالهم .

ولكن « الغرب » أراد هو أيضا أن يكون له انبياءه ، الذين  
يعالجون المشكلة على ضوء جديد ، وكان هذا الضوء منبعثا هذه  
المرّة من باطن الارض ، لا آتيا من أعالي السماء ... هو ضوء  
العلم الحديث ... فجاء « كارل ماركس » ومعه أنجيله الارضى  
« رأس المال » وأراد أن يحقق العدل على هذه الارض فقسم  
« الارض » وحدها بين الناس ونسى ( السماء ) فماذا حدث ؟  
حدث أن أمسك الناس بعضهم برقاب بعض ، ووقعت المجزرة  
بين الطبقات تهافتا على هذه الارض .

وكأنه الذى تفاحة بين أطفال يتلمظون !

وكأنه هذا الكارل ماركس الذى قبله المادية والبغضاء واللهفة  
والعجلة بين الناس ...

أما انبياء الشرق فقد ألقوا زهرة ( الصبر والامل ) فى النفوس .

ان روح ( المسيحية ) كما نبتت فى الشرق : هى المحبة والمثل  
الاعلى ... وروح ( الاسلام ) الايمان والنظام .. ومسيحية اليوم  
فى الغرب هى : ( الماركسية ) .. أما اسلام العصر الحديث فى  
الغرب فهو ( النازية ) .

تلك هى الديانات التى استطاع الغرب أن يخرجها للناس يوم  
أراد أن يزاحم الشرق ويخرج للعالم أديانا .

فى كتاب ( عصفور من الشرق ) روح اشتراكية خيرة فى غير  
عنف ، عادلة فى غير تعسف أو تخريب . فهو يحلم بالسلام والحب  
والرخاء للجميع وينفر من رق رأس المال وتحكمه ...



( ان الغرب يستكشف الارض ، والشرق يستكشف السماء ...  
اننا نجد ذلك الذى أسكن الانسانية ( قارة جديدة ) لكننا لانرى  
مجد ذلك الذى أصعد الانسانية وأسكن الانسانية « السماء » .

ولا يعنى هذا تفضيل الكاتب الشرق على غلاته فقد أحاط  
بضعفه حين استسلم للاستعمار كما أنه لم يتردد فى الاشارة  
بالغرب كلها وجد موضعاً ...

فالمسرح فى الغرب ليس كذلك الذى وصفه عفدنا المويلحى فى  
حديث عيسى بن هشام ، ولكنه مسرح يخيم عليه سكون قدسى  
كسكون المعابد .

وموسيقى بيتهوفن ان هى الا ( وحى السماء يتكلم بمختلف  
المشاعر العظيمة التى رفعت الانسانية الى هذه المرتبة ) . ويؤمن  
على كلمة « نيتشه » فيه ( كل العواطف البشرية السامية فى  
السيفونية الخامسة ) .

\* \* \*

وهناك عصفور من الغرب يجب أن يقرأه الشباب ليستردوا  
ثقتهم بأمتهم . أعنى كتاب ( شمس الله تشرق على الغرب )  
للدكتورة سيجريد هونكه وهو كتاب عالى لو لم يكن علمى المنهج  
والتفكير والأسلوب لما استقبلته اللغات والشعوب هذا  
الاستقبال .

ما هى دلالة المظاهرات الصاخبة التى تقوم فى أشد بلاد أوربا  
تقدماً ورقياً ، ان هذه الظاهرة تعنى افتقاد هذه البلاد للروح ...  
لا أعنى ان هذه العبارة تنسحب على كل من فيها ... ان الانصاف  
يقتضينا أن نقول أن طغيان المادة فى أوربا لم يطمس كل شئ  
فيها كما ان الايمان فى الشرق باعتباره مهبط الاديان السماوية  
كلها لا يسرى فى كل قلب ولا يلهم كل نفس حتى وان أدت

الفرائض في ميكانيكية آلية فكم من صائم بيننا ليس له من صيامه  
الا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من صلاته الا القيسام  
والقعود .

ان الدين حسن الخلق وأن الاعمال بالنيات وأن أنفع الناس  
أنفعهم للناس وأن العمل عبادة وأن التفكير فريضة اسلامية لانها  
فريضة انسانيه وان الانسان اكرم المخلوقات وان احترام العقل  
الانساني واجب ديني فهل ندرك هذه المفاهيم ونفسدناها حقاً  
تدريها ؟ هل نطبقها في حياتنا على المستوى الفردي والمستوى  
العام ؟

اننا نبسمل كثيرا ونحوقل ونشيع العبارات الدينية في حديثنا  
حتى ليخيل الى من يرانا أن اطرافنا تقطر تقوى ولكننا في بلاد  
القبليين والمسجدين والانبياء والرسالات نجد أن الاعم الاكثر من  
المستشفيات والملاجئ والمدارس من عمل الحكومات لا الافراد  
الخيرين . ان أعظم عمل يقوم به الفرد الغنى منا في نظر نفسه  
اذا هزته أريحية أن يبنى مسجدا والمساجد كثيرة والاسلام لم  
يحصر العبادة بين جدران أربعة .

ولو فتشت في التاريخ لوجدت أن عصر بناء المساجد الكثيرة هو  
أشد عصور التاريخ الاسلامي ظلما وعسفا واستبدادا  
فأكثر مخلفات المالك في مصر كانت المساجد ، والممالك  
هم من هم ، كما نعرف ، في الجور والنهب ، والسلب ،  
واستباحة الأنفس والأموال فبناؤهم المساجد ما هو الا تغطية  
أو تكفير عن الذنب .

فنحن في سبيل الاحتفاظ بالنظرة الموضوعية وتوازن الشخصية  
الفكرية يجب ألا نعمم الآراء بغير استثناء ولا نطلقها اطلاقا  
مسطحا يحجب الاعماق ويحجب معها حقائق كثيرة .

نحن نشكو اليوم من أهمية العقل ونففل عن أهمية أخرى لا تقل عنها خطرا وهي أهمية الشعور .. حين تعمر أوثانها بالأمس القريب والبعيد بلفتات إنسانية مضيئة فهناك وقف على الخدم الذين يكسرون بدون عمد آنية مخدمهم وهناك وقف على الحيوان لأنه أعجم لا يبين وكثير غير هذا مما ينم على رهافة الشعور وشغافية النفس .

أقول هذا حتى لا نستقيم الى القول بأن الشرق روح والغرب مادة نفى ذلك الغرب أمثال اللورد نافيلد الذى أتفق الملايين حقيقة لا مجازا على اقامة المستشفيات والملاجىء ووجوه البر الايجابية .

وفي الغرب المادى أمثال العالم الفرنسى جان روستان الذى أثبت فى أبحاثه وجود عالم الروح وأعلن عن وجود قوة خفية تسير الكون .

وفي الغرب المادى متصوفة مثل سويدنبرج يلتقون بالحلاج ورابعة العدوية .. وفي الغرب المادى زهاد كابى العتاهية يصلح شعرهم الروحى غذاء للنفوس كالشاعر الانجليزى وليم بليك .

وفي الغرب المادى أسر كبيرة وكثيرة تحافظ على أداء الفرائض الدينية محافظة دقيقة بل فى الغرب أسر تنذر أحد أبنائها لله فتجد قسسا ورهبانا ينحدرون من أباء ذوى مراكز مدنية مرموقة .

وأسر أخرى محافظة لا تسمح بالاختلاط المفتوح على مصراعيه ولا تبيح الجلسة أو الرؤية الا فى نطاق الاسرة أو وجود أحد المحارم . وقصة اقتران لويس باستور بزوجه خير شاهد على هذا .

ان ستيفان زنجيج فى مذكراته يعزو رقى العلم فى فرنسا الى

الزوجة الفرنسية فهي بما تبذله من ذات نفسها لتوفير الراحة  
لزوجها انها تمنحه السلام النفسى الذى يعينه على الانتاج والعطاء.

ولكننا ننسى هذا كله أو نتناساه ولا نذكر للمجتمع الغربى الا  
الخلاعة المحصورة هناك فى مناطق معينة والا نظام التسرى الذى  
مكن له هناك استحالة الطلاق حين نفعل أخطاءا وأحيانا عن عمد  
بدعوى الوطنية مع أن المرء مرآة أخيه

ليست النظافة فى ديننا مقرونة بالايمان بل هى منه حتى ليخيل  
الى من يقرأ النصوص والتعاليم أن الدين سدها ولحمته النظافة  
والحياء فهل نحن حريصون على مظاهر النظافة حتى فى أنفسنا ؟  
هل من الحياء فضولنا غير النافع الذى يدس أنفه فى ثقب كل باب  
وينفق من وقته فى جمع الاخبار الصغيرة ما لو أنفقه فى تحصيل  
علم أو جنى معرفة لأثرى شخصياتنا فتغير الكثير من أساليبها فى  
الحياة وتعديل تبعا لهذا التغير الكثير من مفاهيم مجتمعاتنا وأختبى  
الكثير من أمراضنا الاجتماعية وتقدمنا خطوات نحو حياة أفضل ؟

ان تقديس العمل واجب ، كما أن تقدير العاملين واجب أيضا  
فهل نحن وذوو المرتبات منا خاصة يلتزمون الإمانة الواجبة فى  
تأدية أعمالهم ؟ وهل عندنا نظام الحوافز الذى يكافئ الجهود  
المخلصة ويستحث الجهود التى على الطريق ؟

ان الذين رأوا منا الغرب على الطبيعة وتعمقوا الاشياء  
والدلالات عرفوا كيف يميزون الحدود . الفاصلة بين الخير فيه والشر  
وعرفوا كيف يأخذون أحسن ما عنده ويضيفونه الى أحسن ما عند  
الشرق لينصلح أمره . ويبصر طريقه فى غير تثبط أو تضليل من  
دعاوى استعلاء أو غرور .

ومن هنا قامت نهضة الشرق على اكتاف رفاعة الطهطاوى وجمال  
الدين الأفغانى ومحمد عبده ثم على اكتاف تلاميذهم من بعدهم .

بل أن الشيخ محمد عبده كان يقول بعد أن عاش في الغرب حين كان يحرر ( العروة الوثقى ) في باريس :

( أن أهل أوروبا هم مسلمو هذا العصر .. أما نحن فكفرتنا ) ..

قد نكون معذورين في نظرنا إلى الغرب بمنظار أسود فإن الاستخفاف ولا أقول الاستعمار قد لوث فكرتنا عنه وأورثنا البغض الشديد لكل ما هو غربي — وإن كان بعضنا يقف في الطرف الآخر متحمسا لكل ما هو غربي كرد فعل ، أو لون من الجمع بين الشيء ونقيضه ، أو لاعتبارات شتى من نوعية الثقافة أو النشأة . قد نكون معذورين ولكننا في مقام تقويم أنفسنا وتمييز ذاتيتنا يجب أن نحرر أرواقتنا وعقلنا من أسر النظريات الشائعة والأقوال السائدة ونعيد النظر في كل شيء في موضوعية وتجريد علمي نزيه .

إن ابن البلد عندنا فلسفته أن يتعامل مع الوجود بغير بحث مكتوب .. أسلوب حياة ... وهو يكره التعقيد والتقليد ويجمع هذا قوله لحدثه إذا تقعر أو تشدق : بلاش فلسفة وهو يعني بلاش بغبة ...

إن داخل كل إنسان مبدأ للحياة ، قد يولد إنسان ويموت دون أن يكشفه ، ولكن هذا لا يعني أنه غير موجود ... وواجبنا أن نعين النشء على الانبعاث السلوكي على مستوى الأفراد ، ونعين الأمة على الانبعاث السلوكي على مستوى الجماعة ...

ومن هنا يتحدد موقفنا من حضارة الغرب ... بمعنى أننا نستطيع أن نستعين بعلوم الغرب وفلسفاته وبالوسائل الحضارية دون أن نفقد ذاتيتنا . فرجلهم ( يونج ) يقول ( لا يمكن للإنسان أن يصير غنيا بالاستجداء ) ...

إن التعارض بين الشرق والغرب ، فأت وقتها كما يقول الأستاذ مريت غالي ( لأن تعارضا أخطر قد برز في مقدمة المشاكل العالمية )

هو الناتج عن مساهمة الخلف بين البلاد الشمالية المتقدمة والثرية،  
والبلاد الجنوبية المتخلفة والفقيرة ، وما التعارض بين شرقنا وغربنا  
في حوض المتوسط سوى جزء من ذلك التعارض العالمى بين  
الشمال والجنوب ، الذى يتوقف على حله مستقبل الجنس البشرى  
وانى اوافق تهما على أن ثنائية الشرق والغرب قد فات وقتها ،  
ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين » .



نريد أن ننظر الى الحياة نظرة مستقبلية لا تجذبها الى الخلف  
والتخلف سلاسل الاوهام .. وذلك من اجل مصلحتنا نحن قبل  
الآخرين ...

لنسال انفسنا : كيف نعيش ؟

## ليس من عيش كمن عجب

كيف نعيش ؟ نحن في طريقنا الى تصحيح وضعنا السياسى من دول الاستعمار ، وثبتت وجودنا الحضارى بين دول المدنية الحديثة في حاجة الى تصحيح كثير من الاوضاع الاخرى واعادة تقييم كثير من المفاهيم والعادات والتصرفات في حياتنا ..

نحن لا نحيا حياتنا كما يحيا الناس .. ان كثيرين منا لا يعرفون معالم بلادنا كما خلقت للسياح وحدهم ... وذلك أن الفرد العادى يتبع عقله عينه فهو لا يفكر الى أبعد مما تنظره تلك العين ... أنه يؤدي عمله المائل أمامه في رتابة مملة لا تجديد فيها ولا ابتكار ولا فن فنادا فرغ منه عاد الى بيته مكدودا من الخمول لا من التعب ، أو انحط على كرسى في مقهى يحتسى الشاي ويلعب الورق ... ولو انتشرت في مدننا الحدائق العامة والنوادي الخاصة والمسابقات الرياضية والفنية ، والندوات الادبية واللقاءات العلمية لتغيرت نظرنا الى اوقات الفراغ وتغير أسلوبنا في العمل أيضا .. ان الأصحاء في البدن والعقل يجدون ويلعبون ويضحكون ويتمتعون بأطياب الحياة التي أحلها الله .

ان الرياضة لعب .. وركوب الخيل لعب ، والسباحة لعب ،

وان الضحك يجدد شباب القلب ويلون الحياة بلون وردى فينشط  
الانسان بعده للعمل .. والعمل الجاد اذ وجدت عنده الطاقة له  
والقدرة عليه ..

ان السفر والرحلات متعة وثقافة معا .. كم من الاسر عندنا  
يعيشون حياتهم على هذا النمط .. بل كم من الاسر يخرج افرادها  
معا ويتساوون في الحقوق والواجبات ، ويتعاونون داخل بيتهم  
الواجد !

كم بيتا من بيوتنا فيه مكتبة للقراءة وفيه آلة موسيقية يعزف  
عليها هاو من افراد الأسرة ؟

لقد رأيت أيام الاحاد في البلاد الاوربية أياما مقدسة فيها الصلاة  
في الكنائس وفيها الصلاة في محراب الطبيعة .. مهرجانات ورحلات  
بالزوارق في البحيرات وقطارات تغدو وقروح بهواة الصعود الى  
قمم الجبال .. والمطاعم ليس فيها مكان خال لان الكل يريد تغييرا  
شاملا .. يريد أن يقضى يوم الاحد كاملا في الخارج ينتقل من متعة  
الى متعة .

كيف نقضى نحن يوم الجمعة ؟

اننا لاينقصنا الصناعات بأنواعها من خفيفة وثقيلة بل ينقصنا  
وفي المقام الاول أن نعرف كيف نعيش .

واذا لم يكن في استطاعتنا أن نطيل أعمارنا أكثر مما قدر لها ففى  
مقدورنا أن نجعلها أغنى ، وأعمق ، وأجمل ، وأهنأ ، وأبقى  
أى نعيشها بالعرض ... أن نملا كل دقيقة من حياتنا بالبهجة ،

الضحك من القلب بهجة ، وادخال السرور على الناس بهجة ،  
والعطاء ماديا وفنيا بهجة ، والخلق بهجة ، وتذوق الجمال والفن بهجة ،  
ومنح الحب بهجة ، واقتالة العثرة بهجة ، والقراءة بهجة ، والرحلة



فى الارض بهجة وكذلك الرحلة فى النفس والرحلة فى الزمن ،  
والرحلة فى الماضى .

الانتصار للحق بهجة ، واقرار العدل بهجة ولو انها غالية  
التمن ...

كم من مباهج تزخر بها الحياة ولا يراها بعض الناس .  
ولكن هذه المباهج غذاء للروح فماذا عن الجسم؟ ما هو اسلوبنا  
فى الطعام ؟

لقد قلت ان المطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية  
فماذا نأكل وكيف نأكل ؟

وليس المقصود بالاكل ملء البطن بالطعام والشراب فذلك  
لا فنى فيه ولا خير منه .. ولكنى أقصد بالاكل نوعيته لاجمعه ...  
الكيف لا الكم .

ان المقصود بالطعام ان يكون غذاء أى يحتوى على عدد معين  
من السعرات الحرارية ويحتوى على نسب معينة من النشويات  
والسكريات والدهنيات بحيث تمد الجسم بالطاقة المطلوبة له .  
فهل يخطر ببالتا هذا كله ونحن نعد طعامنا ثم نتناوله ؟ أم اننا  
ننشد أولا حسن المذاق ؟ ولذة الطعام ؟ هل نأكل مثلاً فى مواعيد  
ثابتة لا تتداخل ولا تختلط ؟ هل نتبع نظاماً معيناً ؟ هل نلقن صغارنا  
آداب المائدة وأسلوب المؤكلة وكيفية استعمال الأدوات المختلفة؟

لقد جنى علينا فى سائر البلاد العربية تقريباً المطبخ التركى  
بدسمة ولذائذه التى تحمل فى ثناياها كثيراً من أمراض المعدة  
والكبد ونحن نعلم جيداً قول النبى صلى الله عليه وسلم ( المعدة  
بيت الداء والحمية رأس الدواء ) وقال فيما يتصل بقواعد الطعام  
( نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع ) وهى قاعدة

صحيحة لا تخيب .. ومن العجيب ان علماء التغذية لم يزدوا عليها شيئاً بعد بحوث طويلة حصيلتها في النهاية عدم انزال طعام على طعام وعدم الامتلاء ..

ان امراضنا كلها لو حللتها ترجع الى : افراط التغذية أو ضعف التغذية أو سوء التغذية وما يتصل بهذا كله من عادات سيئة تتفشى بيننا .

لقد رايت في سويسرا عددا كبيرا من المسنين الذين يتجاوزون السبعين وهم منتصبو القامة . منتظمو المشية ، نشيطو الحركة .. لا يزالون متفتحين للحياة ولهم فيها مشاركة ايجابية . بل اننا في احدى الرحلات الليلية على البحيرة اخترنا نحن أن نأخذ مكاننا داخل الباخرة حين كان رجال ونساء في سن آبائنا بل أجدادنا يجلسون على السطح في الهواء الطلق كما يقولون ... ومن الطريف أن هذا الهواء الطلق كنا نسميه نحن بردا قارسا .

ان هذه الصحة سرها كله في نظام طعامهم الصحي الذي يعتمد على الخضروات الطازجة والفواكه والمسلوق ...

تري هل نأخذ عبرة ؟ مع أننا نعيش في جو حار ، وأرضنا تجود فيها الخضر والفاكهة على مدار السنة ؟

\* \* \*

هذا عن أنفسنا . ونعود الى السؤال مرة أخرى متصلا بأولادنا . كيف نعيش في أطفالنا ؟ أي ماذا نعطي لأطفالنا ؟

هناك يعطون للطفل الكتاب المصور ، والصور الملونة ، واللعب الموجهة التي يجد متعته كلها في فكها وإعادة تركيبها ... يعطونه الطعام الصحي لا الدسم ... يعطونه الحنان الرشيد لا الضمار الذي يفسد شخصيته ويجعلها اتكالية وشديدة الحساسية من فرط ما ألف من التدليل والاستجابة العمياء التي هيئات أن يعثر عليها في الحياة العامة عندها يصبح رجلا أو امرأة ..

هناك يعطون الطفل البرامج الجميلة والافلام الخاصة ويعطونه العلم مدروسا ومشوقا .. هناك القواميس الملونة الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف للزهور والنباتات .. كل شيء هناك مدروس من أجل الطفولة ...

أمامي منهج المحفوظات الانجليزية الموضوعة لاطفال السنة الثالثة بالمرحلة الابتدائية ... وجدت فيها مثلا هذه القطعة عن ( عبور الطريق ) وترجمتها :

قف. وأنظر واسمع  
قبل أن تعبر الطريق  
استعمل عينيك وأذنيك  
ثم استعمل قدمك .  
انظر يسارا ويمينا  
عندما يكون الضوء أحمر قف  
عندما يكون الضوء أصفر استعد  
عندما يكون الضوء أخضر سر آمنا  
وقطعة أخرى تقول تحت عنوان : ( بذرة البرتقال )  
لا ترم أبدا بذرة البرتقالة  
على الأرض أرجوك  
ان قطعة منها تحت كعب  
قد تكسر قدما

بدون تعقيد .

هكذا يعلمونهم الحياة والسلوك بدون خطابية :.. وفي سهولة  
وفي كتاب آخر خاص باللغة رأيت فيه كيف يعلمون الكلمات  
الانجليزية بالشعر الخفيف مثل : ضع حرف كذا مع كذا فيصبح  
عندك قطا .

وضع حرف كذا مع كذا فيصبح عندك كرة .

ومع هذه المسميات صورها ملونة وفي أوضاع مضحكة تسر  
الطفل وتسليه .

هكذا يعلمون لغتهم حين نبدأ نحن تعليم لغتنا لأطفالنا بالنحو  
ونلقنهم في جدية صارمة ان الكلمة تنقسم الى اسم وفعل وحرف  
فاذا وصلنا الى ( الجملة ) فلا نجد في لغتنا التي نطنطن بغناها  
ووفرة مفرداتها الا هذه الجملة التي لا تتغير كأنها تحفة :  
( ضرب زيد عمرا ) !!

وهي سيئة لفظا ومدلولا وأثرا في نفوس طفلة سهلة الالتقاط  
والانطباع .

ثم نلوم أولادنا ، كبارا ، على تصرفاتهم ثم على نفورهم من  
دروس اللغة العربية !!

لخص الاستاذ سامح الخالدي عيوب التعليم في مؤتمر الدراسات  
العربية سنة ١٩٥١ فاذا بهذه العيوب لا تزال مُموسة اليوم أي  
بعد ربع قرن تقريبا . وما قاله عن مدارسنا في البلاد العربية بعامة  
أن ( التدريس فيها ميكانيكي يعتمد على ذاكرة الطالب في الدرجة  
الاولى . والاعتماد على الحفظ هذا من ميراث عصور الانحطاط  
خاصة . كما أن الفرد فيها مهمل ، فشخصية الطلاب مضغوط  
عليها ، ولهذا تؤلف وحدات مكبوتة ، وقد شل فيها ابتكار الطالب  
وتفكيره الحر الطليق وخياله . والروح الرياضية الحقّة معدومة  
فيها ، فاللاعب تلعب للقلبة ، وما زال الفرد فيها هو المهم ،  
وما زال الجمهور يصفق للفرد اللاعب فيها لا للمجموع . كما أن  
التربية الدينية الحقّة المثلثة في المثل العليا لا وجود لها . فالدين  
بمفهومه الحقيقي لا يؤثر تأثيرا فعالا في حياة الطلاب من الناحية

الخلقية . والتدريس الدينى سطحى ، والروح الدينية التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والى انصاف الناس والتنزه عن الصفات مفقودة . وكتب الدين سقيمة لا تفى بالمراد ، ولا تنمى هذه الانظمة الشعور الوطنى ، اى شعور التمسك بالوطن والاستعداد للتضحية من اجله ... الخ ) .

واضيف ان من عيوبنا التركيز على الكلمة وحدها واهمال الصورة ... والصورة المقصودة الـ Image بعد ربع قرن تقريبا اى الصورة المحسوبة ثقافيا .

يجب ان نتجه الى التعليم الموضوعى للطفل بالصورة ... بلغة المنظر . فنعرض له بالصورة الطبيعية الملونة ، **الحيوان** (كموضوع) فى جميع العصور والمناطق : فالحيوان هو ( الحياة ) والله يسمى الدار الآخرة ( الحيوان ) اشارة الى الحياة الاخرى .

يجب ان ننفض عن اطفالنا تراب العادة والمفاهيم الثابتة .

موضوع **العمارة** فى جميع العصور والمناطق ( معبد ، كنيسة ، مسجد ، ملعب ، متحف ، مدرسة ... الخ ) .

والعمارة رمز المدنية والمدينة لانها تساوى الاستقرار .

العمارة مسرحية متعددة الشخوص والارواح .

موضوع **الآلة** اى **العلم والصناعة** فى الفن والحياة مثل ظهور السينما — الكاميرا — التلفزيون — الآلة .

التعليم الموضوعى للطفل نقسمه الى ثلاثة أقسام :

١ — **ما قبل الحضارة** — ويمثله عالم الحيوان .

٢ — **اكتشاف الحضارة** — وتمثله العمارة .

٣ — **الحضارة فى خطر** — وتمثله الآلة .

يكفى أن يعرف الطفل بعد عرض الكثير ، أن هذا جزء من الممكن  
ليصبح عنده احساس بالنقدم عليه يخرج منه تولستوى آخر أو  
غزالي آخر . أن الفن أسلوب في رؤية الوجود وليس (فورم) .

أما المعلم فيجب أن يكون موجها فـالمعلم الملـقن يحجب العمل  
الفنى كما أشرت . وخير وسيلة للتعليم كما يقول تولستوى هى :  
العمل .

هناك يلجأ ون الى طريقة الحفز فى التكليف بالواجبات كأن يقول  
المدرس لتلاميذه : كل منكم يعمل فى المساء ساعة فى الحساب فى  
باب كذا .. ولا يحدد عدد المسائل ، فالذى يحدث عادة أن كل  
طالب يحل عددا من المسائل أكثر كثيرا مما يملأ ساعة ، اظهرا  
لقدراته وتسابقا مع زملائه ، وارضاء للمدرس .. يفعل هذا  
الطالب وهو راض ، بل مزهو ، لأنه يشعر أنه يعمل بمحض  
اختياره وهو فى الحقيقة مدفوع دفعا غير منظور ..

السنا بحاجة فى سائر المجالات الى أسلوب الحوافز بدلا من  
أسلوب الامر والنهى الذى نهواه جميعا ، ونمارسه بمجرد أن  
تسنع فرصة ، وليته يجدى فنان الذى يقرأ مذكرات النابيين منا ،  
أو من غيرنا يروعه أن الاوامر والنواهى التى وقفت فى طريق  
هواياتهم ، سواء فى الاسرة أو فى المدرسة أو حتى فى الحياة العامة ،  
لم تنتههم عن عزمهم بل زادتهم اصرارا ، واشعلت رغبتهم . فتوفيق  
الحكيم أراد أبوه أن يكون قانونيا ، لا أديبا فنانا . وتوفيق الحكيم  
بدوره أراد لابنه اسماعيل أن يكون مهندسا ، فاذا به اليوم عازف  
جيتار وقائد فرقة موسيقية . والموسيقار القصبجى أراد له  
أبوه أن يكون عالما فى الازهر لا موسيقيا .. والدكتور طه حسين  
أراد له أبوه أن يكون عالما فى الازهر ، فاذا به يثور على نظم  
التعليم فيه فى ذلك الوقت ، ويتجه الى الجامعة المصرية ويتعلق  
بها طالبا فاستاذا فعميدا ..

لقد وصل هؤلاء حقا الى بغيتهم ، ولكن بعد تبديد طاقات كثيرة في المقاومة ، ومحاوله الملاعبة والمواعبة بينهم وبين مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة ، لو وفرت هذه الطاقات لتسير في طريقها الاثير عندها ، ل بكر عطاؤها وتضاعف .

ولكن تغيير اسلوبنا لا يأتى عفوا ، بل يجب أن يبدأ من البداية أى من البيت والمدرسة ، فإن مفاهيمنا في التربية ، ومفاهيمنا في التعليم ، آفة من آفات الشخصية المصرية .

ان الطفل هو الانسان الجديد الذى لم يزيفه الكبار . والنظرية التى تقول ان كل انسان يحتوى كيانه فضلا من أى نوع ، نظرية صخيحة تربويا وديمقراطيا . . فلماذا نصر على القاء التعليمات ونسرف فيها ؟ لماذا حين تستبد بنا شهوة تغيير شىء فى الطفل ، لانسأل انفسنا كما يقول « يونج » عما اذا كنا نحن فى حاجة الى التغيير لا هو ؟

ان الإنسان صغيرا أو كبيرا فى حاجة الى « السيادة » . . ان يكون سيد نفسه أى قادرا على العطاء محققا لذاته . . . حتى للقرآن والانجيل يجب حين نقرأهما أن نسمعهما من « الداخل » ، فى عملية تجديد الفكر الدينى كما يقول « اقبال » ، فإن توكيد الروح الذى سعت اليه المسيحية يتحقق لا باستبعاد القوى الخارجية التى تخترقها أنوار الروح بالفعل ، وإنما يتحقق بتنظيم علاقته الإنسان بهذه القوى الخارجية ، على هدى النور المنبعث من العالم الموجود فى أعماق نفسه . . يمثل هذا الأسلوب تربية المدرسة ، شخصية الطفل حين تثبت فيه وعيا خلاقا للقيمة والا أخرجت منه فردا مكررا ضائعا فى الزحام . . وفارق بين الفردية والشخصية .

الشخصية تولد طفلة ثم تنمو ، غداؤها العلم والتجربة والحياة ... وهى قابلة للنمو الى غير حد ...  
أما أسلوب التلقين المتبع فى مدارسنا فانه يصنع قوالب لا شخصيات . واذا كان ناقل الكفر ليس بكافر ، فان ناقل العلم ليس بعالم ... وانها العالم هو الخلاق المبتكر .

الشخصية هى الذات الساعية الى تحقيق ذاتها بالخلق .  
الشخصية تكامل لامكانات البشر أى . غريزة + فكر + روح  
أى بشرية محققة .

يقول الدكتور أحمد زكي فى مؤتمر الدراسات العربية الذى عقد ببيروت سنة ١٩٥١ والذى طبع فى كتاب العرب والحضارة الحديثة .

( ان التعليم عندى مفتاح كل مغلق من مغلق الحياة ، فى شرقنا هذا العربى . ولو أنى خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ، با اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال ، ولكن اختار التعليم يشمل ويعم ، فهو الوسيلة الى المال ، وهو الوسيلة الى الاستقلال ، وهو الوسيلة الى فتح كل باب مغلق يتدفق منه الخير كثيرا وفيرا ... ) .

\*\*\*

ولكن أى تعليم ؟

هل تعلم المدرسة المصرية والعربية ، الطفل حب الطبيعة باعتبارها **الام الكبرى** التى تتطلب منا نحن معشر الابناء أن نبصق وندرس ونتأمل ونتحرك ساعين فى الارض ، متحدين للعوائق فى اعتماد على النفس ؟  
الطبيعة أم ومعلم ومرب ...

أم لا تفطم وليدها ، لانه لا وجود له خارج رحابها ، فالشاعر



العربى حين صور الشمول ، لم يجد الا مظهرا من مظاهرها فقال  
لمدوحه القادر عليه :

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان الفتاى عنك واسع  
ليت المدرسة تعلم الطفل ان الطبيعة كتاب الله الصامت ،  
كما ان القرآن كتاب الله المقروء .

والقراءة فى الحالىن أو الكتابين ، تتطلب النور المادى لرؤية  
الحروف . وتتطلب أكثر النور المعنوى لرؤية ما وراء الحروف ..  
لرؤية المعانى الحقيقية . والنور المعنوى هو الرغبة والشوق  
والحماسة ... انها كالزواج قبول وإيجاب ... كثيرون يقرأون  
ولا يستفيدون كأولئك الذين يتزوجون ولا يسعدون ... نحن  
نزور القبول فى القراءة ، وفى الحياة بشكليات .. تصفح النص  
من الخارج دون الغوص فيه والامتزاج به ، كسؤال العروس بينما  
يجب ان تقبل أولا ... أن تختار ... ترضى ثم يأتى عقد  
القران .... وكم من نساء يتزوجن ويلدن ويعشن فى الحرام على  
الرغم من عقود الزواج ... وكذلك الكتاب الذى يقرؤه عجلا ، مع أن  
القراءة الحقيقية تأمل وتودد وصبر يكون كالرافعة الوجدانية تنقل  
القارئ من حالة عادية الى مرتقى عال .

هل تعلم المدرسة البنت كيف تلبس وكيف تجلس وكيف تتحدث  
وكيف تتزين وكيف تتصرف ومتى تتكلم ومتى تصمت ؟ هل  
تعلمها أن الجهال الغالى ( تركيه ) صعبة من هذه السمات  
جميعا ؟

هل تعلمها أن الحب ليس الفارس والحصان الأبيض ... الخ  
تهويمات القصص والاساطير التى يكتبها أصحابها لتزجية الوقت ،  
أو تسلية الفراغ عند الحالىن والحالمات ؟ وأن الف ليلة  
وليلة قد يكون فيها الكثير من حياة مصرها ولكن عصرنا لا ،

هل تعلم المدرسة ، البنت ، أن مجنون ليلى أو تيس ولبنى ،  
أو جميل بثينة أو كثير عزة ، أو العباس بن الاخنف و « فوز » أو  
ولادة وابن زيدون قصص شعرية ، شاعرة وأنها مع هذا صحيحة ،  
وفيها لمسات انسانية الا أن عصرنا له طبيعة أخرى ؟

هل تعلم المدرسة البنت أن عصرها قطع أشواطاً بعيدة بعد  
( آلام فرتر ) و ( رفائيل ) و ( حياة لا مرتين ) و ( روريمو وجوليت )  
و ( كليوبطرة ) ؟

في سائر اللغات قصص لا تحصى عن الحب .. ومع هذا فالحب  
لا يصلح للاقتباس كفنون الادب ، أو التقليد كالأزياء .

وليست اللغات وحدها فالتاريخ زاخر بقصص الحب ... لم  
ينج منه أحد حتى رجال الأديان .. من عفا منهم كقص سلامة ،  
ومن أسف ، كراسبوتين ...

ومع هذا فالحب ، الحقيقي ، في سائر ألوانه نعمة وعطاء  
وحنان ... والذي يحنو يمنح ولا يسلب ، ويسمو ولا يقسو ،  
ويلين ولا يجفو ، ويتسمح ولا يشتط .

هل تعلم المدرسة أو تسلم بالجنس تطرحه في موضوعية علمية  
مستولة ، بدلا من أن يدور الهمس بين رفقاء العمر وتتخافت  
الاصوات ، ويعلو الضحك المكتوم ، وتتقارب العروس ، ويطل  
الفضول كله من العيون ، وتدمى الشفافة من العض عليها من  
الخلج المصطنع أو الحقيقي ؟ مما يلقي في السروع أن الجنس على  
اطلاقه عيب وفاضح وفادح ؟

ان العيب هو امتهان الجنس والإباحية .

هل تعلم المدرسة البنت والولد على السواء كيف يختار شريك  
الحياة ؟ على أساس من التقاء الشعور والفكر معا ؟ فانه لا يطفىء

القلب مثل تفاوت المستوى الفكرى بين زوجين يكون أحدهما فى واد ، والآخر فى واد آخر ... انها الوحدة القاتلة وان رآهما الناس ، وسقف البيت ، اثنين .

لا يكفى أن يعيش الإنسان بل لا بد أن يحيا .

وعندما يتحول الزواج مع الشيخوخة الى الفة قوية ، وصداقة عميقة تكون مواهب الروح خير بديل عن متعة الجسم التى يكون الزمن قد فرغ من التهامها .. ولكن الزمن نفسه لا يستطيع ممارسة هوايته المفتونة بحفر التجاعيد ، مع الروح الخضراء المتجددة النضرة .

ولكن ليس معنى هذا عبادة العقل وحده فهو أحيانا عند بعض الناس يتسيد على حساب جهود العاطفة أو نضوبها ... وهذا الطراز لا تسعد صحبته .. ان رحلة العمر تحتج الى القلب والعقل معا .. الى الجسم والروح معا ... وافتقاد عنصر من هذه العناصر يسلم الى الشقاء الذى يستعصى على العبادات النفسية .

لابد من هزة عنيفة للمدرسة المصرية فغيها بعد البيت ، يعناد اليوم بناء الشخصية المصرية .

أى يعاد كتابة التاريخ .

وبعد : بعد كل السلبيات التى ذكرت بعضا ولايزال فى النفس حاجات ..

ماذا أقول ؟

ليس عندنا قصد فى القول ، أو تحديد للعبارة . مما يفسد علينا نكاء الهدف وغايته الكبرى ... والا فهل يعقل أن فنزل (بالعبور) الذى وقفت وراءه وراثات أمة وصبرها وتقديرها وتحضرها

وقدرتها القديمة في الادارة ، ثم عذابها بالهزيمة والقهر ولهفتها على الارض والنصر ... هل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذي يمثل ويتمثل هذا كله الى ما نسمعه في وسائل الاعلام من التشديق بالعبور بمناسبة وبغير مناسبة ؟ وما درت أن البغبغة تقلل من الحدث التاريخي التحولى ، وتهبط به الى مادة دعائية أو اعلان ميلامين . ليس عندنا حلم ثقافى ... أو حلم فنى على الرغم من وجود الجامعات وتعددتها .. حتى التراث ، حفظه في مفهومنا ، معناه تجميعه وتشوينه مع أن الحفاظ عليه يعنى تفهمه وذكره واستلهامه .. ان حياة العلم مذكرته .. يروى الغزالي أن أحد الصحابة قال يوم مات عمر : اليوم مات العلم . ولم يكتب عبر كتابا ، ولم يكن أستاذًا في جامعة ، ولكن العلم قرى قلبه ، جوهره .. حين كانت عنده الرؤية الاسلامية الحقيقية .

وبعض التراث ، التقاليد . والتقاليد ليست التقليد ولا هى منه .. وليست الجهود كما يفهمها العامة .. والعامه هنا هم فقراء الفكر ولكن التقاليد عند الخاصة ، وهم هنا أثرياء الفكر لا المال ... وثبات الاجيال وعطاؤها .. انها منطلق لكل جيل متطور نام .

اننا اليوم نتكلم كثيرا عن السياحة ونعنى بالطبع السياحة الخارجية بشقيها أو بشطريها أى زيارة الغرباء لنا وزيارتنا للبلاد الاجنبية .. ولكننا نحتاج الى سياحة أخرى قد لا تدر مالا ولكنها تضيف الينا ثراء لا يقدر ببال أعنى السياحة فى تراثنا فانها مولد جديد لنا ...

يقول الدكتور فؤاد زكريا من مقال «الى متى نغترب عن حاضرنا» الاهرام ٢٨/١١/٧٣ ( فى رأى أن ماضى الامة لا يمكن أن يكون له تأثير حقيقى فى حاضرنا الا اذا كان الخط بينهما متصلا . فقيسة أى اتجاه فكرى ينتهى الى الماضى ، من حيث قدرته على تشكيل الحاضر ، انما تظهر أوضح ما تكون حين يصبح ذلك الاتجاه جزءا

من تاريخ متصل ومن حركة تطور مستمرة تتجاوز نفسها وتصحيح أخطائها خلال مسارها الطويل ، دون أن تتوقف خلال ذلك أو تنقطع ... والتراث الحقيقى فى اعتقادى ، هو ذلك الذى يندمج فى التاريخ التالى ويصبح جزءا منه بحيث يظل الماضى حيا فى الحاضر حتى بعد أن يكون الحاضر قد تخطاه وتجاوز به مراحل ( . )

كتب الدكتور حسين مؤنس قصة رمزية سماها ( إدارة عموم الزير ) ويبدو أن عندنا إدارات عموم الزير ، ووزارات عموم الزير وكأنها أنشئت لتخلق وظائف لموظفين أو تكون مسرحا أو مغرعا . تتفرخ فيه القوى العاملة ، الخريجين ، كل عام من باب تغطية البطالة أو البطانة المقتنعة ... ولناخذ مثلا وزارة السياحة لو أن هذه الوزارة تحررت من الروتين وفهمت السياحة على أنها فن وعلم وصناعة لعرفت كيف تستفيد من كنوز هذا البلد أو على الأقل لتعلمت من بلاد لا تملك من فيوض الطبيعة ومسار التاريخ وآثار الأديان الثلاثة ، ما تملك وأصبحت السياحة فيها مورد مورد رزق ومصدر غنى ...

\* \* \*

عندما كتبت عن المازنى كتابا ، صورت البيئة المصرية فى طفولة المازنى حين كان الشعب يئن من قهر الأجنبي فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ...  
وحيث أكتب عن العشرين الأولى من النصف الثانى للقرن العشرين أجدنى فى الموقف نفسه أى ما كتبت هناك ينطبق هنا :  
قلت فى كتابى « أدب المازنى » .

( ولما كان نظام الحكم فى مصر فردينا فى كل عصورها قبل أن يضع لها دستورا ، ومثل هذا الوضع لا يستقر فيه الحالة الاقتصادية لأنها لا تخضع للتداول الطبيعى وإنما تخضع للرغبة التحكيمية المفضة ... فإذا كان الحاكم حازما جادا ضرب على أيدى العابثين واستقر الأمر له .. وإذا كان ذا نظر عملى بعيد

يدرك شيئا من حال البلاد المحكومة من الناحية الاقتصادية عاد ذلك بالخير على الحياة .. فالحكومة قوامها شخصية الحاكم اذا صلح استقامت الحياة **واذا استبد كان وبالا على المحكومين ..** وهذا يفسر شعور المصريين بان مفاجآت الدهر لا حد لها ، ولا عجب فيهم مهذبون ليس عندهم من الضمان ما يجعلهم يمشون في عملهم ليجنوا الثمره او يجنيها بنوهم . ومثل هذه الحالة تؤدي الى شيء من النهم في الحياة الاقتصادية والخلقية .. وتغري بالكسب بأى وسيلة مشروعة كانت أم غير مشروعة ما دامت المسألة فلايا فلا توازن بين الفرص وانما الغرض هو الوصول من أقصر الطرق . والنتيجة الحتمية لذلك هى ايجاد فروق غير مهيبة .. ايجاد نظام الطبقات .. ايجاد طبقة غالبية وطبقة مغلوبية . والاثار الطبيعية لهذا كله أن تنقطع الصلة بين طبقات المجتمع وتتلوث الحالة النفسية للشعب فلا ثقة نفسية تقرب بعضه الى بعض أو تشيع فيه التعاطف النفسى فيتدافع الى شيء من تواد أو تراحم يخفف من جدة غرائز التهلك والاقتناء والسيطرة السائدة فيه .

وهذا الوضع المادى أثر للوضع السياسى .. وكلاهما أثر في الوضع الادبى .. ومثل هذه الحياة التى نلقى ظلالا من الشك فى العدالة ، تلقى فى الروح أن الارض ليست مجالا لحق يسود لان الثقة فى كل نظام ذاهبة ، وتوهم ان الحياة الدنيا شقاء ومحنة والفرار منها أمنية ، والنقص فيها محتوم .. ولهذا الشك والياس اثره العقلى والعلمى والنفسى والوجدانى .

أما الاثر العقلى فيبدو فى ذلك الطابع الغيبى فى التفكير والذى يتمثل فى مثل قولهم عقب كل شيء ... هكذا أراد الله .

**أما الاثر العلمى** فيبدو فى الخفاء والاحتيال الذى كان يسود الحياة فى مصر ، فالمهارة فى التخفى كانت الطريق الى النجاح فى الحياة العملية . والرغبة فى التخفى لها انعكاسات فى الاثاث المصرى

والابنية المصرية الى عهد ليس ببعيد ففى الازاىك والاصونة سراديب  
متداخلة ، وفى البيوت القديمة لاترى شرفات ظاهرة بل «مشربيات  
حاجبة» فالحياة المصرية كلها كانت قائمة على التخفى بل ان طائفة  
الاخفاء التى يتردد ذكرها فى اقصايصنا هى انعكاس لهذه الرغبة فى  
التخفى .

والقرية المصرية تتجمع بيوتها وتتساند حتى ليسهل الوثب من  
سطح بيت الى آخر ، بينما القرية الغربية متناثرة ، وتجمع بيوت  
القرية المصرية حتى لتبدو قطعة واحدة انما هو انعكاس للخوف  
حتى اذا استنجد احدهم لىبى الجميع ...

اما **الامر النفسى** فيبدو فى النفوس التى لوئها الشك والياس  
والحيرة ... يبدو فى النفوس التى سلبت الطمأنينة والراحة  
ففقدت بذلك كل شىء واصبحت حياتها جحيما لا يطاق .

اما **الامر الوجدانى** فيبدو فى الادب الذى اسف فكذب حين مدح  
الظالم وهو ينقم عليه .

هذه الحياة العقلية والنفسية والوجدانية حدثت الى اضطهاد  
الفلاسفة والعلماء لمحض التفكير مع أن الفلسفة الاسلامية قوامها  
التوفيق بين الدين والعلم ولكن الناس ليس فى نفوسهم ما يوحى  
الثقة بهذا ... هم لا يؤمنون بأن الحياة تجرى وفق نواميس ثابتة  
بل كل شىء عندهم قابل للتغيير ، والكون على حد تعبيرهم بين  
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء والفن قائم على هذا  
وفيه منه اصداء فما نراه من شكوى الزمان ومدح الحاكم المذنب  
فى الادب الكاذب ، والاغاني المهرجة ، وترديد الشعب لمثل هذه  
الامثلة ( تبقى نار تصبح رماد ) و ( ان حلى زادك كله كله ) فالادب  
العامى الذى هو ادب الشعب وظل نفسه ينم عن حيرة وقلق نفسى  
ينتهى الى التفويض والتسليم بقضاء الله ومهاكان الله ليقتضى بهذا .  
واغلبنا لا يفهم المعنى الدينى فهما قريبا ... فان قرأت عليهم :

( ليس للانسان الا ما سعى ) فهموها الى جانب غيرها من آيات التوكل فتغلب عليها .. والمحافظون من اهل الاديان يميلون الى انكار السببية فالآية الكريمة ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ) « سورة فاطر » الباء في رأيهم للالصاق لا للسببية ... وهم يفسرون كل شيء يجرى تحت عيونهم بوحى هذه الغيبية التى يعتنقونها ...

حتى شكوى الزمان كانت صورة لفهمهم الخاطيء للحياة فهم يتوهمون أنه لا يدوم سرور أو حزن ... ولهذا ظل وأثر عالق فينا الى اليوم...يضحك المسرور منا ثم يقول: اللهم اجعله خيرا كأنه يتوقع الشر ما دام سر حيناً ، وكأن الشر فى أعقاب الخير ! لماذا ؟ ومن سوء فهمهم حملهم معنى ( أن شاء الله ) على التواكل ... ان هذه المشيئة ان هى الا تأكيد للعزم فأننا سوف افعل كذا ثم هناك صهام لمن لما يطرأ مما لاقدرة لنا عليه ... ولكن قائلنا يقولها حين ينوى الا يفعل متهريا ... وفى مشيئة الله عن الكذب منتدح ...

حين دهمنا الاستعمار أوهمنا مصريين وشرقيين اننا لاشيء ولا نستحق شيئا فتعددت ظواهر الاتهام فينا ... فان رأوا ناجحاً لا يعدون نجاحه عملاً أو ذا أسباب معقولة بل هو عندهم طفرة ووثبة واعجوبة وأثر محاباة ومحسوبية أو حظ ، ونسينا ان الحظ توحيق من الله ... واذا رأوا فاشلاً لا يردون فشله الى سبب ...

والى هذا الطابع يرجع اكثر عيوبنا فى الحياة والتصرف ... فنحن لا نثق فى الديمقراطية لان الديمقراطية أساسها ثقة الفرد بنفسه وبكيانه وبحقه ، وقد عجزنا أو عجز الكثيرون منا عن فهم هذه المعانى . فتطلعوا الى الآخرة تهرباً من الدنيا ... ولما كان الزهد أقرب طريق الى الاستعلاء فقد تعددت أسبابه وكثرت مظاهره من مخرقة وحرمان وعجز . وكان لهذه الغيبية أصداء فظهرت



مذاهب وفرق وطرق للصوفية وأشايير . . . وزاد الاقبال على  
الاضرحة وتسرب الخطأ فى المفاهيم الى مفهومنا للولاية والاولياء . .  
مع أن الولى قيمة معنوية تجسد كل ما فى عالم الانسان الاعلى  
من نيل وسبو وتضحية وفداء . . .

\*\*\*

لقد وصفت بهذه السطور ، الفترة من أواخر القرن التاسع  
عشر وأوائل القرن العشرين فهل اختلف واقع الحال عن هذا ؟  
قاس أن يضيع من عمر أمة سنين .

والآن :

لا وقت للتحسر

**اعيدوا تشكيل الحاضر**

واختصارا للوقت والجهد

انفتحوا على العالم المتحضر

خذوا خير ما عند الناس بدون عقد

بلا استخذاء فقد أعطينا الغرب ، يوما .

وبلا استعلاء فنحن بشر قد نخطىء حين يصيب غيرنا .

نتفحص أنفسنا

ونواجه الحقيقة

نعيد كتابة التاريخ ؟

## من جديد ..

هذا الكتاب كتبته بعد أن عشت .. بعضه كان ألما وبعضه كان  
أهلا ، وبعض كان معنى يلوح في الخاطر ثم يعز على التحقيق .

ولكنى بالوراثة والدراسة لم أئس فتاريخنا ملئ بالمحن  
التي ارتفعنا عليها ، والأشواق التي تحديناها ، والدموع التي  
جففناها ثم تصالحنا مع الفرح ، وسامحنا الجرح وصافحنا النعمة  
كما تصفو السماء غب المطر .

الدين .. والفن .. والحضارة .. والعصرية .. والتراث ،  
والدراسة واسلوب التعليم .. كلها موضوعات عشتها وشربتها من  
الدراسة والتأمل والتفكير . وعرفت من الحياة والكتاب والبيت  
والجامعة واقعا فيها بتجاربه وأخطائه ومسئوليته ورؤاه .

وانصهر في نفسى هذا كله فغمست قلمي فيه بالصدق كله ،  
وبهصريتي كلها أسجل الأسباب والعلل وأرسم المثل والامل وأتمثل  
اليوم والغد لنا ولأبنائنا .. أما الماضي فقد حمل جيلنا أوزاره وآثاره  
لأنه لم يقو على التيار فجرفه التيار .

لقد سميت الكتاب ( أعيدوا كتابة التاريخ ) وقلبت الصفحات  
كلها ، وعرضت نماذج من الأخطاء الكبيرة التي يفدح ثمنها  
الشعوب .. وقد بتورط في هذا الثمن الفادح أكثر من جيل . يغرمون  
ليغفم الآخرون في الخارج أو الداخل .

وصبر الشعوب طويل ولكن حسابها عندما يحين ، عسير . ولم يعرف الصبر بعد الزمن الطويل ، شعبا كاظما عافيا وان يكن غير معاف ، كشعبنا ... ولكن الحليم اذا غضب ، يتغير التاريخ في محاولة جديدة للكتابة ترشد عليها الأحكام وأصحابها ، ويستقيم ميزان العدل استجابة لأمنية قديمة نادى بها في مصر ، يوما ، الفلاح الفصيح ...

ولكن يبقى بعد هذا أكثر من خط وضعت تحته خطا في هذا الكتاب للتميز والتفكير : **ولكن المعالجة الكاملة سأمرد لها كتابا قائما بذاته أتحدث فيه عن :**

( **الانفتاح الذى لم يذكره أحد** ) أين ومتى ولماذا ؟ والذى لم ننفتح عليه ولم نذكره ، كبير خطر لو انتبهنا اليه وأخذنا به سيتغير التاريخ على هذه الأرض ، بل ، ربما ، فى العالم .

ما زالت هناك فى تاريخنا القريب والبعيد علامات استفهام حائرة لو قدر لها **الاسراء والانراء لغدت علامات طريق ...**

حين أختتم هذا الكتاب ، أعاهد الله والنيل أن **أبدأ كتابا** يليه على طريق الشخصية المصرية وما يمكن أن تحققه لو انفسح الطريق وانفتح الأمل والعمل أمام قدراتها وحرياتها ووسائلها .

انه موضوعى الكبير وهمى الشاغل الذى أعطيه أيامى حتى يعود الانسان المصرى عزيزا كما بدأ .. فبدأ به التاريخ ؟

**بكتورة نعمات أحمد فؤاد**

في هذا الكتاب

[illegible]

## دار الشروق

مطابع منكور وأولاده

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٧٦/٢٩٧٤

## هذا الكتاب

**دعوة كبيرة رائدة** الى اعادة كتابة التاريخ في عملية تنقية ، وتعربية ، وتصحيح من الزيف والتضليل والتحريف . وبهذا اضاف الكتاب الى المكتبة العربية ، القضايا التي غابت عنها من تهيب الكاتبين أو تخرجهم ، أو ضبابية الرؤية ، أو خوف المصير .

**يقدم هذا الكتاب** برؤية جديدة وأسلوب جديد معمق ومكتنز ، على الفوضى في تاريخ مصر : ماذا فيه من أخطاء وخطايا ، ومن هم الجناة الذين أرادوا إمة التاريخ بلا تاريخ .. ؟ .. كيف يصنع الديكتاتور ؟ في عملية تشريح للماضي والحاضر ، صادقة وأمانة وموضوعية ...

**ناقش الكتاب :** المفاهيم الثابتة في التاريخ بأبعادها التاريخية محددًا نصيبها من الصدق أو اللوهم .  
**تناول الكتاب** في روح علمية إنسانية مفهوم مصر للدين والفن ..

**كما واجه الكتاب** في دراسة نزيهة :

الانقياد والمسلمين  
التحرر من الخوف وإبداع الحضارة  
الدولة العصرية

كيف نعيش .. ماذا تعلم مدارسنا ؟

**هذه بعض القضايا** التي أثارها الكتاب في انطلاقة رائدة وجراة متحررة من الخوف والعقد والتقليدية ، والنفاق

طبع الغلاف بطابع الاهرام التجارية